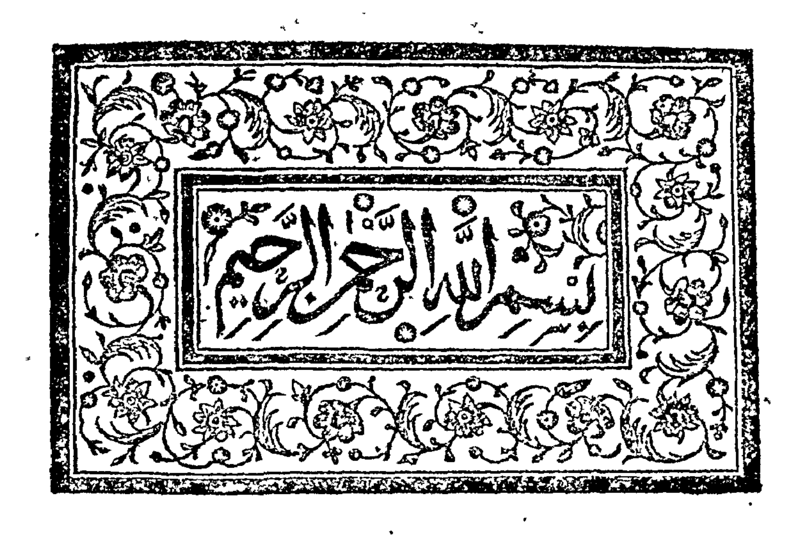


الحمد لله الذي على منوال ارادته وتدبيره تنسج مقاطع الامور* ومن ينبوع قضائه الى لجج قدره تجري تيار الاعاصر والدهور* اذاق بعض بني آدم بأس بعض ليبلوهم ايهم احسن عملا وهو العزيز الغفور* وارسل عليهم في القرن الثامن من الهجرة بحارقتين اقبلت كقطع من الليل المظلم لم يدر راجل ما هي فاذا هي تمور* احمده حمد من كان على شفا حفرة من نارها فانقذه منها* واشكره شكر من ورطه فيها عدله فانجته ايادي فضله عنها* واشهد ان لا اله الا الله الحكم العدل* الذي يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل* واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي ارسله رحمة للعالمين* وجعله رسول

18338

الله وخاتم النبيين * فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون *
ونبأ بما كان في الازل وبما يكون الى يوم يبعثون * واستعاذ من غلبة
الدين وقهر الرجال * ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح
الدجال صلى الله عليه صلوة تذكي المسك الاذفر في صدور
الكتب والتواريخ * وتدني لقائلها في دار الجزاء ثمرات الحسنات
من اعلى الشماريخ * وعلى آله واصحابه الذين افاضوا سيول
الفتح في الاقاليم فغمروها * وشيدوا اركان الاسلام واثاروا الارض
بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان اكثر مما عمروها * وسلم
تسليما غزيرا * دائما ابدا كثيرا * اما بعد فلما كان في التواريخ
عبرة لمن اعتبر * وتنبيه لمن افتكر * واعلام بان قاطن الدنيا على
سفر * واحضار لصورة من مضى وغبر * كيف قدر واقتدر * ونهى
وامر * وبنى وعمر * وختل وختر * وغلب وقهر * وكسر وجبر *
وجمع وادخر * وتكبر وفخر * وكيف عبس وبسر * وضحك واستبشر
* وتقلب في اطواره من الطفولية الى الكبر * الى ان قلبته ايدي
الغير * واختطفته وهو آمن مما يكون من مخاليب القضاء والقدر * فحاط

ما صفا من عيشه الكدر * وتنغص حتى ذهب عنه ما حلا ومر * ان في ذلك لعبرة لمن اعتبر * وتذكرة لمن ادكر * وتبصرة لمن استبصر * وكان من اعجب القضايا * بل من اعظم البلايا * الفتنة التي يحار فيها اللبيب * ويندهش في دجى حنادسها الفطن الاريب * ويسفه فيها الحليم * ويذل فيها العزيز ويهان الكريم * قصة تيمور رأس الفساق * الاعرج الدجال الذي اقام الفتنة شرقا وغربا على ساق * اقبلت الدنيا الدنية عليه فتولى وسعى في الارض فافسد فيها واهلك الحرث والنسل * وتيمم حين عمته النجاسة صعيد الارض فغسل بسيف الطغيان كل اغر محجل فتحققت نجاسته بهذا الغسل * اردت ان اذكر منها ما رأيته * واقص في ذلك ما رويته * اذ كانت احدى الكبر * وام العبر * والداهية التي لا يرضى القضاء في وصفها بذل القدر * والله اسأله الهام الصدق * وسلوك طريق الحق * انه ولي الاجابه * ومسدد سهم المرام الى غرض الاصابه * وهو حسبي ونعم الوكيل *

* فصل في ذكر نسبه وتدريج استيلائه على الممالك وسببه *

اسمه تيمور بتاء مكسورة مثناة فوقا وياء ساكنة مثناة تحتا وواو

ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة هذه طريقة املائه وفي التصريف
زنة بنائه لكن كرة الالفاظ الاعجمية * اذا تداولها صولجان اللغة
العربية * خرطها في الدوران طي بناء اوزانها * ودحرجها كيف
شاء في ميدان لسانها * فقالوا في هذا تارة تمور واخرى تمرلنك *
ولم يجر عليهم في ذلك حرج ولا ضنك * وهو بالتركي الحديد بن
ترغاي بن ابغاي ومسقط رأس ذلك الغدار * قرية تسمى خواجة ايلغار *
وهي من اعمال الكش * ابعدها الله من الحش * والكش مدينة
من مدن ما وراء النهر * عن سمرقند نحو من ثلث عشر شهر * قيل رئي
ليلة ولد كأن شيئا شبيه الخوذة تراآى طائرا في عنان الجو * ثم سقط الى
فضاء البر * ثم انبث على الارض وانتشر * وتطاير منه مثل
الجمر والشرر * وتراكم حتى ملأ البدو والحضر * وقيل لما
سقط الى الارض ذلك السقط * كانت كفاه مملوتين من الدم
العبيط * فسألوا عن احواله الزواجر والقافه * وتفحصوا
عن تأويل ذلك من الكهنة واهل العيافه * فقال بعضهم يكون
شرطيا * وقال بعض ينشأ لصا حراميا * وقال قوم بل قصابا سفاكا *

وقال آخرون بل يصير رجلاً ذا بتاكا * وتظافرت هذه الأقوال *

الى أن آل أمره الى ما آل * وكان هو وابوه من الفدادين *

ومن طائفة أوشاب لا عقل لهم ولا دين * وقيل كانا من الحشم

الرجاله * والأوباش البطاله * وكانت ما وراء النهر مأواهم *

وتلك الضواحي مثواهم * وقيل كان أبوه إسكافاً فقيراً جداً * وكان

هو شاباً حديداً جلداً * ولكنه لما كان به من القلة يتجرم *

وبسبب تلك الاجرام يتضرر ويتضرم * ففي بعض الليالي سرق

غنمة واحتملها * فضربه الراعي في كتفه بسهم فأبطلها * وثنى عليه

بآخر في فخذه فأخطلها * فازداد كسراً على فقره * ولوماً على شره *

ورغبة في الفساد * وحنقاً على العباد والبلاد * وطلب له في ذلك

الأضراب والنظراء * وعشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين

القرناء * مثل عباس وجهان شاه * وقماري وسليمان شاه *

وايدكو تيمور وجاكو وسيف الدين نحوا ربعين * لا دنيا لهم ولا

دين * وكان مع ضيق يده * وقلة عدده وعدده * وضعف بدنه

وحاله * وعدم ماله ورجاله * يذكر لهم انه طالب الملك * ومورد

مُلوكِ الدُّنيا مواردَ الهلك * وهم في ذلك يتناقلون عنه مثل النقل *
وينسبونه الى كثرة الحماقة وقلة العقل * ويدنونه منهم ويقبلون
اليه * ليسخروا منه ويضحكوا عليه

* شعر *

إنّ المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

فشرع فيما يقصده * والقضاء يرشده والقدر ينشده *

* شعر *

لا يؤيسنك من مجدٍ تباعده * فإنّ للمجد تدريجا وترتيبا
إنّ القناة التي شاهدت رفعتها * تنمو فتنبت انبوبا فانبوبا

وكان في بلد الكش شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري وهو معتقد تلك
البلاد * وعليه لكلّ من قصد شيئاً من امر الدين والدنيا الاعتماد *
فذكر ان تيمور وهو فقير عاجز * بين عُريٍ وهمومٍ وذلٍّ ناجز * لم يكن
له سوى ثوب قطني وانه باعه واشترى بثمنه رأس ماعز * وقصد به
الشيخ المشار اليه * وعوّل فيما قصده عليه * وقد ربط بطرف حبلٍ
عنق ذلك العناق * وربق عنق نفسه بالطرف الآخر من ذلك الرباق *

وجعل يتشحط على عصا من جريد * حتى دخل على ذلك الشيخ
المجيد * فصادفه وهو والفقراء مشغولون بالذكر * مستغرقون فيما هم
فيه من الوجد والفكر * فلا زال قائما حتى افاقوا من حالهم * وسكتوا
عن قالهم * فلما وقع نظر الشيخ عليه * سارع الى تقبيل يديه * واكب
على رجليه * فتفكر الشيخ ساعه * ثم رفع رأسه الى الجماعه * وقال
كان هذا الرجل بذل عرضه زعر وضه * واهتمدنا فى طلب ما لا
يساوى عند الله تعالى جناح بعوضه * فنرى ان نمده ولا نحرمه
ولا نرده * فامدوه بالدعاء اسعافا لما طلبه * فاشبهت قضيته قضية
ثعلبه * ورجع من عند الشيخ وخرج * وعرج بعد ما عرج الى
ما عرج * وقيل انه كان فى بعض تحرماته فصل الطريق صورة *
كاصلها معنى وسيرة * وكاد يهلك عطشا وجوعا * وسار على ذلك
اسبوعا * فوقع فى اثناء ذلك على خيل السلطان * فتلقاه الجشار
باللطف والاحسان * وكان تيمور ممن يعرف خصائص الخيل بسماتها *
ويفرق بين هجانها وهجينها بمجرد النظر الى هياتها * فاطلع الجشار
على ذلك منه * واخذ علم ذلك عنه * وزاد فيه رغبة * وطلب منه

ذمام الصحبة * وجهزه الى السلطان مع افراس طلبها منه * واخبره
بفضيلته وما شاهده عنه * فانعم السلطان عليه * ووصى به الجشار
ورده اليه * فلم ينشب الجشار ان مات فتولى تيمور وظيفته * ولا يزال
يترقى عند السلطان حتى تزوج شقيقته * ثم انه غاضبها فى بعض
مكافحته ومقاله * فعيرته بما كان عليه من اول امره وحاله * فسل
السيف ونحا نحوها على انها تفر من بين يديه * فلم تكترث به ولم تلتفت
اليه * فضربها ضربة ازهق بها نفسها * واسكنها رمسها * ثم لم يسعه
الا الخروج والعصيان * والتمرد والطغيان * الى ان كان من
امره ما كان * وكان السلطان اسمه حسين * وهو من بيت الملك
وذات الكلمتين * وتحت مملكته مدينة بلخ وهى من اقصى بلاد
خراسان * ولكن كانت بها دار امرة جازية فى ممالك ما وراء النهر
الى اطراف تركستان * وقيل كان ابوه امير مائة عند السلطان
المذكور * وهو بالجلادة والشهامة بين اجناده مشهور * ويمكن
الجمع بين هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان * وتنقل
الاحوال والحدثان * والاصح ان اباه ترغاى المذكور كان

أحد أركان دولة السلطان * ورأيت في ذيل تاريخ فارسي يدعى المنتخب * وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور وهو شيء عجب * نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيز خان * من جهة النساء حبائل الشيطان * ولما استولى تيمور على ما وراء النهر وفاق الأقران * تزوج بنات الملوك فزادوه في ألقابه كوركان * وهو بلغة المغول الختن * لكونه صاهر الملوك وصار له في بيتهم حركة وسكن * وكان للسلطان المذكور من الوزراء أربعة * عليهم مدار المضرة والمنفعة * هم أعيان الممالك * وبرأيهم يقتفى المسالك * والترك لهم قبائل وشعب * تكاد توازي قبائل العرب * وكل واحد من هؤلاء الوزراء كان من قبيلة * لسراج آرائه في بيوت تعميرها فتيلة * قبيلة أحدهم تسمى ارلات * وقبيلة الثاني تدعى جلابر * وقبيلة الثالث يقال لها قاوجين * وقبيلة الرابع اسمها برلاس * وكان تيمور ابن رابعهم في الناس * ونشأ شابا لبيبا * مصراع * هما ما حاز ما جلب اريبا * وكان يصاحب نظراءه من أولاد الوزراء * ويعاشر أخزابه من فتيان الأمراء * الى أن قال لهم في بعض الليالي * وقد اجتمعوا:

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج * وهو يعدو الى حصن العصيان
وهو سالم فعرج * ويمكن انه في بعض هذه الاوقات * واثناء هذه
الحالات * توجه الى الشيخ شمس الدين المشار اليه * واستمد كما
ذكر فيما عول عليه * فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنة * وفتحته
من مستغلقات الامكنة * انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري
وهمة الشيخ زين الدين الخوافي * وما لقيت بركة الا بالسيد بركة *
وسيأتي ذكر زين الدين وبركة * ثم قال تيمور ما فتحت ابواب
السعادة وانثالت علي * ولا ضحكت عروس فتوحات الدنيا الي *
الا من سهام سجستان * ومن حين اصابني ذلك النقصان انا في ازدياد
الى هذا الاوان * والظاهر ان بدو امره وخروجه في تلك المدة *
كان فيما بين الستين والسبعين والسبع مائة * وقال لي شيخي الامام
العالم العامل الكامل الفاضل * فريد الدهر * ووحيد العصر *
علامة الورى سلطان العلماء علاء الدين * شيخ المحققين والمدققين *
قطب الزمان * مرشد الاوان * ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البخاري
نزيل دمشق ادام الله تعالى ايام حياته * وامد الاسلام والمسلمين

بها من بركاته * في شهور سنة ست وثلثين وثمانمائة ان تيمور قتل
السلطان حسين المذكور * في شعبان سنة احدى وسبعين وسبعمائة *
ومن ذلك الوقت استقل بالملك وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانمائة
على ما سيأتي * فمدة استيلائه ست وثلثون سنة وذلك
خلا مخرجه من مبدأ خروجه وتحرمه الى حين استيلائه ولما خرج صار هو
ورفقاؤه يتحرمون في بلاد ما وراء النهر * ويعاملون الناس بالعدوان
والقهر * فتحرك لهم كل ظاعن وساكن * وضيقوا عليهم تلك
المغاني والاماكن * فقطعوا الجيحون وفروا من ذلك المكان * فاشتغلوا
بالتحرم في بلاد خراسان * فحصلوا في نواحي سجستان * ولا تسأل
عما قاسوا في مفاوز بها وزردوها خان * فذهب بعض الليالي وقد اضر بهم
السغب * واشتعل فيهم من الجوع اللهيب * فدخل حائطا من حوائط
سجستان * قد اوى اليه بعض رعاء الضأن * فاحتمل منها رأسا وادبر *
فشعر به الراعي وابصره * فاتبعه للحين * وضربه بسهمين * اصاب
باحدهما فخذه * وبالآخر كتفه * فلله دره ساعدا اذ ابطل بهذا الضرب
الموزون نصفه * ثم ادركه واخذه * والى سلطان هراة المسمى بملك

بخشبتين او صلبه * فنفذ ضربه امر بصابه * وكان للسلطان ابن رأيه

غير مرتين * يدعى ملك غياث الدين * فشفع فيه * واستوهبه من

أبيه * فقال له ابوه انه لم يصدر عنك ما يدل على صلاحك * ويسفر عن

نجابتك وفلاحك * وهل اجتمعنا في مرامي نماء القساد * لئن ابقيته

ليهلكن العباد والبلاد * فقال انه وما عسى ان يصدر من ضعيف

آدمي * وقد اصيب بالله واحي ورمي * ولا شك ان اجله قد اقترب *

فلا تكونن في موته السبب * فوهبه اياه * فوكل به من داواه *

الى ان اندمل جرحه * وبرئ قرحه * فكان في خدمة ابن سلطان

مراد * من اتقن الخدم واضبط الكفاه * فتوفرت عنده حرمته *

وارتفعت درجته وسمعت كلمته * فعصى من نواب السلطان * نائبه

المتولي على سجستان * فاستدعى تيمور ان يتوجه اليه * فاجابه الى

ذلك وعول عليه * واضاف اليه طائفة من الاعوان * فوصل الى

سجستان * وقبض على نائبها المتمادي في العصيان * واستخلص

اموال تلك البلاد * واخذ من اطاعه من الاجناد * وتلا آية

العصيان بالجهر * وارتحل بمن معه الى ما وراء النهر * وقيل

قد كان * في خدمة ابن السلطان * الى ان ودع ابوه الحيوة

وانتقل * واستقر ولده واستقل * فعند ذلك هرب تيمور الى

ما وراء النهر * وقد قوي منه الراس والظهر * وكان اذ ذاك

قد اجتمع عليه رفقاؤه * وانحاز اليه اصحابه المتخربون وعشراؤه *

فارسل غياث الدين الطلب وراءهم * وقصد ان يكفي المسلمين

شرهم وعناءهم * وهيهات فقد كان سبق العذل

السيف * وضيع اللبن في الصيف *

ذكر عبوره جيحون على فترة وما جرى من عبرات بهذه العبرة *

فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك ممتلئا طاغيا *

ولم يمكنهم التواني لان الطلب كان يتبعهم باغيا * فقال تيمور

لاصحابه النجاء النجاء * ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته ويلق

نفسه في الماء * وتواعدوا الى مكان * وقال توجهوا من غير توان *

فمن لم يأت الموعد * يعلم انه قد فقد * فتهافتوا وخيولهم في ذلك

الماء العجاج * والتيار الزخار ذي الامواج * تهافت الفراش على السراج *

ولم يعلم واحد منهم حال الاخر * ولا اطلع من تقدم منهم على امر

ممن تاخر * وكابدوا اهوال الموت * وشاهدوا اهوال الفوت *
فنجوا ولم ينقص منهم واحد * واجتمعوا الى ذلك الموعد * وذلك
بعد ان امنت منهم البلاد * واطمان في مسالكها كل رائح او غاد *
فجعلوا يتجسسون الاخبار * ويتبعون الآثار * ويحاربون الله و
رسوله * ويصدون عن عبادة ويقطعون سبيله * ولم يزل على ذلك يجري
ويمشي * الى ان وصل مدينة قرشي *

ذكر ما جرى له من خبطه * في دخوله الى قرشي وخلاصه من تلك الورطه *

فقال يوما لاصحابه * وقد اضربه الدهر واضرابه * واخصب
منهم ربع الفساد واعشب * ان بالقرب منا مدينة نخشب * مدينة
ابي تراب النخشبي رحمة الله عليه مدينة مصونه * مسورة محصونه *
لئن ظفرنا بها لتكونن لنا ظهرا واملاذا * وملجا ومعاذا * وان تملكها
موسى لو حصلناه * وابذل لنا ماله وقتلناه * لتقوينا بها اهل خيوله
وعدده * ولحصل لنا فرج بعد شدة * وانا اعلم بها من موارد الماء
دربا * هين المدخل واسع رحبا * فشمروا اذيالهم * وتركوا
في مكان خيلهم * واستعملوا في نيل مرادهم لياليهم * ودخلوا حيس

واجتمع عليهم اصحابهم * وانحاز اليهم في الفساد اضرابهم *
فصاروا نحوا من ثلث مائة * وبمن يتحيز اليهم من اهل الشر فئة *
فارسل السلطان اليهم عسكرا غير مكترث بهم فكسروه * واستولوا
على حصن من الحصون فجعلوه معقلا لكل ما ادخروه * قلت

* شعر *

لا تحقرن شأن العدو وكيده * فلربما صرع الاسود الثعلب * وقيل *
ان البعوضة تدمي مقلة الاسد * وقيل * فربما تفرزنت بالبيدق الشاه *

ذكر من امر في فتنة ذلك الجاف * واستعبده من احرار ملوك الاطراف *

وارسل تيمور الى ولاة بلخشان * وكانت الولاية بها لاخوين اوهما
بها مستقلان * تلقيا ذلك عن ابيهما * وكان السلطان نزعها من
ايديهما * ثم اقرهما فيها على ان يكونا من تحت امره * واستمر من
لاذ بهما عنده فصارا اسيري قهره * فلما راسلهما تيمور طالبا طاعته
اجاباه ودخلا تحت كلمته *

ذكر نهوض المغل على السلطان * وكيف تضعضعت منه الاركان *

ثم ان المغل نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين * فاستعد لهم

وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين * فانكسر السلطان *
فراسلهم ايضا ذلك الجان * واسم حاكمهم قمر الدين خان *
فاجابوا مراده * وانفذوا ما اراده * وسلطوه على السلطان ليستخلص
من يده بلاده * وواعدوه بمصاهرتهم * وامدوه بمظاهرتهم *
ورجعوا الى بلادهم * وقد سلموه زمام قيادهم * فتقويت بذلك
شوكته * وسكنت القلوب هيبته فلم يسع السلطان * الا بذل الجهد
والامكان * في اطفاء نائرته * وقطع دابرته * فجعله نصب عينيه *
وتوجه بنفسه اليه * بعسكر جرار * كالبحر الزخار * حتى انتهى الى
مكان يسمى قاغلغار * وهو صدّان بينهما مضيق * هو الجادة العظمى
والطريق * يسير المار في ذلك مقدار ساعة * وفي وسط الدرب باب
اذا اغلق واحمي فلا شيء مثله في المناعة * وحواليه جبال كل منها
عرنينه قد شمخ * وقدمه قد غاص ثم وتد ورسخ * فصح ان يقال فيه انف
في السماء * واست في الماء * فاخذ العسكر ذلك الدربند * من جهة
سمرقند * وتيمور على الجانب الآخر *
وهو كالمضايق والمحاصر *

ذكر الحيلة التي صنعها * والخديعة التي ابتدعها *

فقال تيمور لاصحابه اني اعرف هنا جادة خفيه * مسالكها ابيه * لا تطأها الخطا * ولا يهتدى اليها القطا * فهلم نسري ليلنا * ونقود في المشرق خيلنا * فنصبحهم من ورائهم وهم آمنون * فان ادركناهم ليلاً فنحن الفائزون * فاجابوه الى ذلك * وشرعوا في قطع تلك الوعور والمسالك * وساروا ليلهم اجمع * وبلغ الفجر المطلع * فادركهم الصباح ولم يدركوا الجيش * فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش * ولم يمكنهم الرجوع * واذنبت الشمس بالطلوع * فوصلوا الى العسكر وقد اخذ في التحميل * وعزم على الرحيل * فقال اصحابه بئس الرأى فعلنا * في قبضة العدو حصلنا * وقد وقعنا في الاشراك * والقينا بايدينا انفسنا الى الهلاك * فقال تيمور لا ضرر * توجهوا نحو العسكر * وانزلوا بمرأى منهم عن خيلكم * واتركوها ترعى واقضوا من ورد النوم والراحة ما فاتكم في ليلكم * فتراموا عن خيلهم كأنهم صرعى * وتركوا خيولهم ترعى * شعر *

* واذا السعادة لاحظتك عيونها * * نم فالمخاوف كلهن امان *

واصطلى بها العنقاء فهي تمائل * وزاغت بها الجوزاء فهي عنان *
فجعل العسكر يرتابهم * ويخال انهم من حزبهم * حتى اذا استراحوا *
وركبوا خيولهم وصاحوا * ووضعوا السيوف في اعدائهم * راكبين
اكتافهم من ورائهم * فقتلوا قتلا ذريعا * وغادروهم جريحا وصريعا *
وعم الخطب اهاليهم * ولم يعلم احد البلاء كيف دهم * واتصل
الخبر بالسلطان * وقد خرج التلافي عن حيز الامكان * فهرب الى
بلخ * وقد سلخ من المملكة اي سلخ * وشرع تيمور في النهب * والغارات
والسلب * ثم ضبط الاثقال * وجمع الاموال * ولم رعاع الناس
والمد ازره * واطاعوه وهم مابين راض وكاره * فاستولى على ممالك
ما وراء النهر * وتسلط على العباد بالغلبة والقهر * واخذ في ترتيب
الجنود والعساكر * واستخلاص الحصون والدساكر * وكان نائب
سمرقند واخذ الاركان * شخصا يدعى علي شير من جهة السلطان
وكاتبه تيمور على ان تكون الممالك بينهما نصفين * ويكون معه
على السلطان حسين * فرضي علي شير بذلك * وقاسمه الولايات
والممالك * وتوجه اليه * وتمثل بين يديه * فزاد في اكرامه *

وبالغ في احترامه *

ذكر توجهه الى بلخشان * واستنصاره بمن فيها على السلطان *

ثم انه ترك علي شير بعد ما ركن اليه * وقصد بلخشان فاستقبله ملكاها
وتمثلا بين يديه * واتحفاه بالهدايا والخدم * وامداه
بالجيوش والحشم * فسار وهما معه من بلخشان * قاصدين
بلخ لمحاصرة السلطان * فتحصن منهم فاحاطوا به من كل مكان *
فاخرج اولادهما الذين كانوا عنده في الرهان * فضرب اعناقهم
بمرأى من ابويهم * ولم يرق لهم ولا من عليهم * ثم انه ضعف
حاله * وقل عنده خيله ورجاله * فنزل مستسلما للقضاء والقدر *
راضيا بما ذهب في قضاء الله مما حلا ومر * فقبض عليه تيمور * وضبط
الامور * ثم رد اميري بلخشان اليها مكرمين * وتوجه الى سمرقند
ومعه السلطان حسين * وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين * بعد
ما خلا من الهجرة سبع مائة سنين * ووصل الى سمرقند واتخذها
دار ملكه * وشرع في تمهيد قواعد الملك ونظمها في نظام سياسته و
سلكه * ثم انه قتل السلطان * واقام من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من

ذرية جنكيزخان * وقبيلة جنكيزخان * هم المتفردون باسم الخان
والسلطان * لأنهم هم قريش الترك لا يليق بأحد أن يتقدم عليهم *
ولا تمكن أحد من انتزاع ذلك الشرف من أيديهم * ولو قدر أحد
على ذلك * لكان تيمور الذي استخلص الممالك وسلك المسالك * فرفع
سيورغاتمش دفعا للمطاعن * وقطعا للسان سنان كل طاعن * وإنما
لقب تيمور الأمير الكبير * وإن كان في أمره كل مأمور منهم وأمير *
والخان في أسره كالجنين في الطين * وشبيه الخلفاء بالنسبة في هذا
الزمان إلى السلاطين * واستمر بعلي شير ونا ثم بابنه سيورغتمش وكان
يكرمه * ويستشيره في الأمور ويقدمه *

ذكر وثوب توقتاميش خان * سلطان الدشت وتركستان *

ثم إن توقتاميش خان سلطان الدشت والتتار * لما رأى ما جرى
بين تيمور والسلطان فازدهم قلبه وغار * وذلك لعلة النسب والجوار *
وهم العسكر الجرار * والجيش الزخار * وتوجه إلى مصاف تيمور
من جهة سغناق وأترار * فخرج إليه تيمور من سمرقند * وتلاقيا
بأطراف تركستان قريبا من نهر خجند * وهو نهر سيحون * وسمرقند

بين نهري سيحون وجيحون * تقابلت بين العسكرين سوق المحاربة *
ولم يتفق بينهم فيها نوع من معاملات المضاربة * ولا زالت رحا الحرب
تدور * الى ان انطحن عسكر تيمور * فبينا عسكره قد انفل * وعقد
جنوده انحل * اذ ابو جهل يقال له السيد بركة قد اقبل * فقال
له تيمور وهو في غاية الضرر * يا سيدي السيد جيشي انكسر * فقال له
السيد لا تخف * ثم نزل السيد عن فرسه ووقف * واخذ كفا من الحصباء *
وركب فرسه الشهباء * ونفضها في وجوه عدوهم المردي * وصاح
بقوله ياغي قاچدي * فصرخ بها ايضا تيمور تابعا لذلك الشيخ النجدي *
وكان عباسي الصوت * فكانه دعا الابل الظماء بحوت بحوت * فعطفت
عساكره عطفة البقر على اولادها * وانحلت في المجالدة مع اضداده
اندادها * ولم يبق في عسكره من جناح ولا قارح * الا وهو يقول ياغي
قاچدي صائح * ثم انهم كروا كرة واحدة * بهمة متعاقدة ونهمة متعاضدة *
فراجع جيش توقتاميش منهزمين * وولوا على اعقابهم مدبرين *
فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف * وسقوهم بها من الفتوح كاسات الحتوف *
وغنموا الاموال والمواشي * واسروا اوساط الروس والحواشي *

ثم رجع تيمور الى سمرقند * وقد ضبط امور تركستان وبلاد نهر خجند *
وعظم لديه السيد بركة * وحكمه في جميع ما استولى عليه وملكه *
وهذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا بمصر حجاما *
فذهب الى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره وتسامى * ومن قائل
انه كان من اهل المدينة الشريفة * ومنهم من يقول انه من اهل مكة
المنيفة * وعلى كل حال فانه كان من اكبر الاعيان * في بلاد ما وراء
النهر وخراسان * لا سيما وقد امد تيمور بهذه النجدة * وخلصه بهذه
الطيرة المصادفة للقضاء والقدر من هذه الشدة * وقال له تيمور
تمن علي * واحتكم لدي * فقال له يا مولانا الامير * ان اوقاف
الحرمين الشريفين في الاقاليم كثير * ومن جملة ذلك اندخوي
في ممالك خراسان * وانا واولادي من جملة مستحقي ذلك الاحسان *
واذا اقيم اصل ذلك وخصمه * وعلم قضمه وخضمه * وضبطت اوقافه *
ومصارف ذلك ومصرافه * ما كانت حصتي وحصة اولادي * اقل من
هذه القصبة في هذا الوادي * فاقطعني اياها فاقطعه اياها * مع
مضافاتها واعمالها وقراها * وهي الى الآن في يد بني اولاده *

واسباطه واحفاده *

ذكر علي شير مع تيمور * وما وقع بينهما من المخالفة والشرور *

ثم ان تيمور وقع بينه وبين علي شير مخالفة * وانحاز الى كلٍ منهما طائفة * فاغتاله تيمور وختله * ثم قبض عليه وقتله * فصفت المراتع والولايات لتيمور بعض الصفا * وهرول الى طاعته من الناس كل وجه ورأس من كان في التأبي وقفا *

ذكر ما جرى لشطار سمرقند والشطار * مع تيمور وكيف احلهم دار البوار *

وكان في سمرقند طائفة من الدعار كثيرون * وهم انواع فمنهم مصارعون ومناقفون وملاكمون ومعالجون * وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن * والعداوة والمقاتلة بينهم قائمة طول الزمن * ولكل طائفة منهما رؤس * وظهور واعضاد وضروس * وكان تيمور مع ابهته يخافهم * لما كان يظهر له عنادهم وخلافهم * فكان اذا قصد جانبا * اقام له في سمرقند نائبا * فاذا بعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة * فخلعوا النائب واخرجوا مع النائب واظهروا المخالفة * فما يرجع تيمور الا وقد انفرط نظامه *

وتخبطت اموره وتشوش مقامه * فيحتاج الى تجليل وتهويل *
وتخريب وتشييل * فيقتل ويعزل * ويعطي ويجزل * ثم يتوجه لتمهيد
ممالكه * وتوطيد مسالكه * فيعودون الى عكرهم * ويؤبون
الى ختلهم ومكرهم * وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار * فضاق
تيمور ذرعا بالاشرار والدعار * فاعمل الحيلة فى اغتيالهم * وكف
اذاهم واستيصالهم * فصنع سورا * ودعا اليه الخلائق كبيرا
وصغيرا * وصنف الناس اصنافا * وجعل كل ذى عمل الى عامله
مضافا * وميز اولئك الدعار مع رؤسائهم على حدة * وفعل معهم ما فعله
انوشروان بن كيقباد بالملاحدة * وارصد له فى اخذ الاطراف
انصارا * وقرر معهم ان كل من ارسله اليهم يولونه دمارا * ويكون
ارساله اليهم على قتله شعارا * ثم انه جعل يدعو رؤس الناس *
ويسقيهم بيده الكاس * ويخلع عليهم افخر اللباس * واذا انتهت
النوبة من اولئك الدعار الى احد * سقاه كاسه وخلع عليه واشار
ان يتوجه الى نحو الرصد * فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل
وثوب الحيوة فهتكوه * وسكبوا عسجد قالبه فى بوطة الفناء فسبكوه *

الى أن أتى على آخرهم * واستوفى بذلك قطع دابرهم * ومحا آثارهم وأطفأ نارهم * فصفت له المشارع * وخلا ملكه عن مجاذب ومنازع * ولم يبق له في ما وراء النهر مانع ولا مدافع *

فصل في تفصيل ممالك سمرقند * وما بين نهري بلخشان وخجند *

فمن ذلك سمرقند وولاياتها * وهي سبعة تومانات والذكان أوجهاتها * وهي تسعة تومانات والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف مقاتل * وفي ما وراء النهر من المدن المشهورة * والأماكن المعتبرة المذكورة * سمرقند وسورها قديما على ما زعموا اثنا عشر فرسخا * وكان ذلك على عهد السلطان * جلال الدين قبل جنكيز خان * ورأيت حد سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور وسماها دمشق ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم * والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة * ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي يسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة * ومن مدن ما وراء النهر مرغينان * وهي كانت التخت قديما وبها كان ايلك خان * ومنها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني

صاحب الهداية رحمه الله تعالى * وخجند وهي على ساحل سيحون *
وترمذ وهي على ساحل جيحون * ونخشب وهي قرشي المذكورة *
والكس وبخارا واندكان وهي اماكن مشهورة * وغير ذلك من الولايات
بلخشان * وممالك خوارزم واقليم صغانيان * الى غير ذلك من
الاطراف الواسعة * والاكناف الشاسعة * وفي عرفهم ما وراء
جيحون الى جهة الشرق توران * وما كان في هذا الطرف الى جهة
الغرب ايران * ولما اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد * كانت توران
لافراسياب وايران لكيكاوس بن كيقباد * وعراق هو مغرب ايران *

ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر * بعد استصفائه ممالك ما وراء النهر *

ولما صفت له ممالك ما وراء النهر * وذلت لاوامره جوامح الدهر *
شرع في استخلاص البلاد * واسترقاق العباد * وجعل ينسج بانامل
الحيل الاشراك والاوهاق * ليصطاد بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين
الآفاق * فاول ما صاهر المغول وصافاهم * وهادنهم وهاداهم *
وتزوج ببنت قمر الدين ملكهم * وصار آمنا من تبعتهم ودركهم *
وهم جيرانه من جهة الشرق * ولا تباين بينه وبينهم ولا فرق *

أذا لعلة وهي الجنسية والمصاهرة والمجاورة حاملة للجهتين * والملة وهي التورة الجنكيزخانية ممشاة في كلتا الدولتين * فامن شرهم * وكفي كيدهم وضرهم *

ذكر تصميمه العزم * وقصده الاطراف والامالك خوارزم *

فحين امن مكرهم * وسد بالمصالحة ثغرهم * صمم العزم * على التوجه الى ممالك خوارزم * وهم مجاوروه غربا بالشام * ومباينوه بتمشية قواعد الاسلام * وتختهم مدينة جرجان * وهي من اعظم البلدان * وهذه المملكة ذات مدن عظيمة * وولايات جسيمة * تختها مجمع الفضلاء * ومحط رحال العلماء * ومقر الظرفاء والشعراء * ومورد الادباء والكبراء * ومعدن جبال الاعتزال * وينبوع بحار اهل التحقيق من ارباب الهدى والضلال * نعمها كثيرة * وخيراتها غزيرة * ووجوه فضائلها مستنيرة * واسم سلطانها حسين صوفي * وهو من الاعتقادات الباطلة عوفي * ومدن ما وراء النهر وضع بعضها قريب من بعض * لانها كلها مبنية باللبن والاجر على الارض * واهل خوارزم كاهل سمرقند في اللطافة * وافضل من اهل سمرقند

في الحشمة والظرافة * يتعاطون المشاعرة والادب * ولهم
في فنون الفضل والمحاسن اشياء عجب * خصوصا في معرفة الموسيقا
والانغام * ويشترك في ذلك الخاص منهم والعام * ومما هو مشهور
عنهم * ان الطفل في المهد منهم * اذا بكى او قال آه * فان ذلك
يكون في شعبة دوكاه * فلما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين
صوفي غائبا عنها * فنهب حواليها وما وصلت يده اليه منها * ولم يقدر
عليها * فلم يكترث بها ولا التفت اليها * ثم لمّ اطراف حاشيته *
وعاد الى مملكته *

ذكر عوده ثانيا الى خوارزم

ثم انه شد حزام الحزم * وكر ثانيا الى خوارزم * باستعداد تام *
وجيش طام * وكان سلطانها ايضا غائبا * واقام لجميلة بكرها خاطبا *
فحاصرها * وضاجرها * وشد على اعناق مسالكها التلابيب *
وكاد ان يتشبث باذيالها منه المخالب * فخرج اليه رجل من
اعيانها * وكان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها * يقال له حسن
بهوربج * والتمس ان يرفع عنهم ذلك الامر المريج * وان يبذل له

ماطلب * فى مقابلة مايزيل من اسبه وسلب * فطلب منه حمل مائتى بغل

فضه * ترفع الى خزائنه نضه * فلم يزل يراجعه * ويلاطفه ويمانعه *

حتى صالحه على ربع سؤاله * وقام المصالح بثلث الثمن ماله وصلب حاله *

ووزن له ذلك فى الحال * واخذ تيمور فى الترحال * وكف عن الايذاء

شياطين جنده * وعزم على التوجه الى سمرقنده

ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراة * الذي خلصه

من الصلب وراود فيه اباه *

ثم انه راسل سلطان هراة ملك غياث الدين الذى كان مغيثه * عملا

بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه * وطلب منه الدخول فى ربقة الطاعه *

وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه * والا قصد دياره *

وبلغه دماره * فارسل ملك غياث الدين يقول * صحبة الرسول *

اما كنت خادمالي واحسنت اليك * واسبلت ذيل احسانى ونعمتي

عليك * فختلت وتنلمت * وفتكت وظلمت * وفعلت فعلتك التي فعلت *

وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب * فان لم تكن انسانا يعرف

الاحسان فلا تكن كالكلب * فعبر جيحون وتوجه اليه * فلم يكن لغياث

الذين قوة الوقوف بين يديه * فارسل الى حشمه وسكان قراه *
فاجتمعوا هم ومواشيهم حول مراه * وحفر خندقا حول البساتين *
محيطا بالرعاع وضعفة المساكين * وحصر نفسه في القلعة * وحسب
ان يكون له بذلك منعة * وذلك لركاكة رأيه اولا وآخرا وجمود
قريحته * وقلة عقله وانعكاس فكره ودولته * قلت * شعر *
من لم يصادف سعده تقديره * تخطفه في تدبيره تدميره *
فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار * ولكن احاطت به العساكر دائرا
مادار * ومكث تيمور في الامن والدعه * ومكثوا في الضيق بعد السعه *
واضطربت الرؤس والحواشي * وبارت الانعام والمواشي * وغص
البلد بالزحام * وهلكت الخواص والعوام * واضناهم الشغب *
وعلاهم الصراخ والصخب * فارسل اليه السلطان * يطلب منه الامان *
وعلم انه اختنق بسببه * وانه اعانه اولا فبلي به * فذكره سابقة
العرفان * وما اسداه اليه من احسان * وطلب منه تأكيد الامان
بالايمان * فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم * وان لا يراق
له دم ولا يمزق له اديم * فخرج اليه * ودخل عليه * وتمثل بين

يدية * فدخل تيمور الى المدينة * وصعد الى قلعتها الحصينة * وصحبته السلطان وقد احاطت به جنود هراة والاعوان * فاشار واحد من ابطال صاحب هراة على السلطان * ان يقتل تيمور ويجعل نفسه فداه * وقال له ما معناه * ان افدى المسلمين بنفسي وما لي * وا قتل هذا الاعرج ولا ابالي * فلم يجبه الى اشارته * واستسلم لقضاء الله تعالى وارادته * وقال ان لله تعالى تصريفا في عباده * ولا بد ان ينفذ فيهم سهم مراده * ولا مفر من القضا * ولا محيد عما قدر الله تعالى وقضى

* شعر *

واذا اتاك من الامور مقدر * وفررت منه فنحوه تتوجه * وهذا اسير لا بد من ظهوره * فلا تبحث عن حقيقة اموره * فمن غالب بالقضاء غلب * ومن ناهب الزمان سلب * ومن قاوى تيار المقدور غرق * ومن استلذ بالغفلة في مشارب اللهو شرق * وذكر في ذلك الوقت مقالة ابيه له واطلع على تحقيقه * ولكن السهم خرج فما امكن رده الى فوقه *

ذكر اجتماع ذلك الجافي * بالشيخ زين الدين ابي بكر الخوافي *

وكان في بعض قدماته خراسان يسمع ان في قصبة خواف * رجلا قد

منحه الله تعالى الألطاف * عالما عاملا * كبيرا فاضلا * ذا كرامات
ظاهرة * وولايات باهرة * وكلمات زاهرة * ومقامات طاهرة *
ومكاشفات صادقة * ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقة *
يدعى الشيخ زين الدين أبا بكر * لطائر اجتهاده في حظيرة القدس
أعلى وكر * فقصد تيمور زيارته * وتوجه إليه وجماعته * فقالوا
للشيخ إن تيمور قادم عليك * وواصل إليك * يقصد رؤيتك *
ويرجو بركتك * فلم يفه الشيخ بلفظه * ولا رفع له لحظه *
فوصل تيمور إليه * ونزل عن فرسه ودخل عليه * والشيخ مشغول
بحاله على عادته * جالس في ذكره على سجادته * فلما انتهى إليه *
قام الشيخ فاحدودب تيمور منكبا على رجليه * فوضع الشيخ على ظهره
يديه * وقال تيمور لولا أن الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة
لخلته انرض * ولقد تصورت أن السماء وقعت على الأرض * وأنا
بينهما رضضت أشد رض * ثم إنه جلس بين يدي ذلك المنتخب * على ركبتي
الأدب * وقال له بالملاطفة في المحاورة * على سبيل الاستفهام لا المناظرة *
يا سيدي الشيخ لم لا تأمرون ملوككم بالعدل والإنصاف * وأن لا يميلوا

الى الجور والاعتساف * فقال له الشيخ امرنا هم وتقدمنا بذلك اليهم * فلم يأتمروا فسلطناك عليهم * فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه العجدبه * وقال ملكت الدنيا ورب الكعبه * وهذا الشيخ هو الموعود بذكره ثم ان تيمور قبض على ملك هراة * واحتاط على ما ملكت يداه * وضبط ولاياتها جانبا جانبا * وقرر لكل جانب نائبا * وتوجه الى سمرقند قافلا بما امكنه * وحبس السلطان في المدينة * واوصد عليه بابها * ووكل بحفظه اصحابها * واضاف اليهم اسنة الحفاظ الزبانية الشداد الغلاظ * وذلك لحلفه ان لا يريق دمه * وان يحفظ له ذممه * فلم يرق له دما * ولكنه قتله في الحبس جوعا وظما *

ذكر عوده الى خراسان * وتخريبه ولايات سجستان *

ثم عاد الى خراسان * وقد عزم على الانتقام من سجستان * فخرج اليه اهلها طالبين الصلح والصلاح * فاجابهم الى ذلك على ان يمدوه بالسلاح * واخرجوا اليه ما عندهم من عدة * ورجوا بذلك الفرج من تلك الشدة * فسلخهم وكتب عليهم قسامات بالغه * ان ما بقي عندهم غدت من السلاح فارغه * فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم *

فاصابهم جنود المنايا عن بكرة ابيهم ثم خربت المدينة فلم يبق بها
شجر ولا مدر * ومحاها فلم يبق لها عين ولا اثر * ورحل عنها
وليس بها داع ولا مجيب * وما فعل ذلك بهم الا لانه اولا منهم
اصيب * وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن
ابي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة الجقمقية * في سنة
ثلث وثلثين وثمان مائة * ان الذين تخلصوا من القتل من اهل
سجستان * بهزيمة او غيبة او بنوع لطيفة من الله تعالى المنان * لما
تراجعوا اليها * بعد رجوع تيمور عنها * ارادوا ان يجمعوا بها فما صلوا
يوم الجمعة وما اهتدوا اليه * حتى ارسلوا الى كرمان من دلهم عليه *

ذكر قصد ذلك الغدار * ممالك سبزوار * وانقيادها اليه * وقدوم واليها عليه *

ثم لما اثار بسجستان ما اثار * قصد بعساكره مدينة سبزوار * وكان
واليها علي حسن الجوربي مستقلا بالامارة وهو رافضي * فما
امكنه الا الاطاعه * واستقبله من الهدايا والخدم بما استطاعه *
فاقره على ولايته * وزاد في رعايته * فصل * وكان من عادة تيمور
ومكره * انه كان في اول امره * اذا نزل بمحل مستضيفا استنسبه * وحفظ

اسمه ونسبه * وقال له اذا بلغك انى استوليت * وعلى الممالك استقليت *
فأتنى بعلامة كذا * فانى اكافيك اذا * فلما انتشر ذكره * وشاع امره *
وفشا فى الدنيا خبره وخبره * هرعت الناس بالعلائم اليه * ووفد
من كل فج عميق عليه * وكان ينزل كل احد منزلته * ويحله مرتبته *

*ذكر ما جرى لذلك الداعرفي سبزوار * مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار*

وكان في مدينة سبزوار * رجل شريف من الشطار * يدعى السيد
محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم دعار * يسمون السربدالية
يعني الشطار * وكان هذا السيد رجلا مشهورا * بالمآثر والفضائل
مذكورا * فقال تيمور عليَّ به * فاني ما جئت الا بسببه * وقد كنت
متشوقا اليه * ومتشوقا لعلم ما لديه * فدعوه له فدخل عليه
فقام اليه واعتنقه * وقابله ببشرة منطلقة * واكرمه وادناه *
وقال في جملة فحواه * يا سيدي السيد قل لي كيف استخلص ممالك
خراسان واحويها * واني احوزها ادانيها واقاصيها * وماذا افعل
حتى يتم لي هذا الامر * وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر * فقال
له السيد يا مولانا الامير * انا رجل فقير وقير * من آل الرسول *

ومن اين انا ومثل الفضول * واني وان قيل لي شريف * رجل عاجز
ضعيف * لا طاقة لي بجوار الملك * ومن انا حتى اتشاوف لمصالح
الملك * وممن داخل الملوك او خارجهم * او عارضهم في امورهم
او مازجهم * كان كالعائم في مجمع البحرين * وكالجاثم في منتطح
الكبشين * والخارج عن لغته لحان * وشتان ما بين المأمون
والطحان * فقال له لا بد ان تدلني على هذه الطريقة * وتخبرني
عن المجاز الى هذه الحقيقة * ولولا انني تفرست فيك ذلك * وتكهنت
ان برأيك تقتنى المسالك * ولولا انك اهل لهذه المعرفة * ما فهت
لك ببنت شفة * ولا استغنيت عنك استغناء النفه عن الرفه * فان
قراماتي اياسيه * وقضاياي كلها قياسيه * فقال ذلك المشير * ايها
الامير * اتسمع في هذه مقالتي * وتتبع اشارتي * فقال ما استشرتك
الا لاتبعك * ولا جاريتك الا لامشي معك * فقال ان اردت ان
يصفو لك المشرب * وتنال الممالك من غير ان تتعب * فعليك
بخواجه علي * ابن المؤيد الطوسي * قطب فلك هذه الممالك *
ومركز دائرة هذه المسالك * فان اقبل عليك بظاهره لم يكن بباطنه

إلا معك * وإن ولى عنك بوجهه فلن يغنيك غيره ولن ينفعك * فكن
على استجلاب خاطره وحضوره اليك ابلغ جاهد * فانه رجل صلب
وظاهره وباطنه واحد * وان طاعة الناس منوطة بطاعته * وافعال الكل
مربوطة باشارته * فما فعل فعلوا * فان حطّ حطّوا وان رحل رحلوا *
وكان مثل الرجل اعني خواجه علي المذكور رجلا شيئا * موليا
حليا * يضرب السكة باسم الاثني عشر اماما * وينتسب باسمائهم
وكان شهما هماما * ثم قال السيد يا امير ادع خواجه علي وان لبى
دعوتك * وحضر حضرتك * فلا تترك من انواع الاحترام والتوقير *
والاكرام والتكبير * شيأ الا واوصله اياه * فانه يحفظ لك ذلك ويرعاه *
وانزله منزلة الملوك العظام * في التعظيم والتوقير والاحترام * ولا تدع
معه شيأ مما يليق بحشمتك * فان ذلك كله عائد الى حرمتك وعظمتك *
ثم خرج السيد من عند تيمور * وجهز قاصده الى الخواجه علي المذكور *
يقول له انه قد مهد له الامور * فان جاءه قاصده فلا يتوقف عن
الطاعة * ولا يقعد عن التوجه اليه ولا ساعة * ويكون منشرح
البال * آمنا سطواته في الحال والمال * فاستعد خواجه علي لقدومه

الوارد * وورود القاصد * وهيأ الخدمات * والتقادم والحمولات *
وضرب باسمه واسم متولاه الدرهم والدينار * وخطب باسمهما في
جوامع الامصار * وفعل لامره منجزا * واقام للطلب مستوفزا *
واذ بقاصد تيمور جاءه منه بكتاب * فيه من الطف كلام والين خطاب *
يستدعيه مع انشراح الصدر * وتوفير التوقير وتكثير البر * فنهض
من ساعته * ملبيا بلسان طاعته * ولم يلبث غير مسافة الطريق *
وقدم بامل فسيح وعهد وثيق * فلما اخبروه بوفوده * جهز لاستقباله
اساورة جنوده * وسر سرورا شديدا * وكأنه استأنف ملكا جديدا *
فلما وصل قدم هدايا فاخرة * وتحفا متكاثرة * وظرائف ملوكيه *
وذخائر كسرويه * فعظمه تعظيما بالغا * واولاه انعاما سابغا *
واسبل على قامة رجائه من خلع اعزازه واكرامه ذيلا سابغا *
واستمر به على ولايته * وزاد في بره وكرامته * فلم يبق في خراسان
امير مدينه * ولا نائب قلعة مكينه * ولا من يشار اليه * الا وقصد
تيمور واقبل عليه * فمن اكابرهم امير محمد حاكم باورد وامير عبد الله
حاكم سرخس وانتشرت هيبته في الآفاق * وبلغت سطوته مازندران

وكيلان * بلاد الري والعراق * وامتلأت منه القلوب والاسماع * وخافه القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع * وكل هذا في مدة قصيرة * وايام قلائل يسيرة * نحوا من سنتين * بعد قتله السلطان حسين *

ذكر مراسلة ذلك الشجاع * سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع *

ولما صفت له بلاد خراسان * واذعن لطاعته كل قاص وداني * راسل شاه شجاع سلطان شيراز وعراق العجم * يطلب منه الطاعة والانقياد وارسال الاموال والخدم * ومن جملة كتابه * وفحوى خطابه * ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام * والجائرين من ملوك الانام * ورفعني على من باراني * ونصرني على من خالفني وعاداني * وقد رأيت وسمعت * فان اجبت واطعت فيها ونعمت * والا فاعلم ان في تقدمي ثلثة اشياء * الخراب والقحط والوباء * واثم كل ذلك عائد عليك * ومنسوب اليك * فلم يسع شاه شجاع الا مهاداته وملاطفته * ومصاهرته ومصافاته * وزوج ابنته بابن تيمور * ولم يتم ذلك السرور لحدوث الشرور * فانقبضت تلك المباسطة * بواسطة افساد الواسطة * وتخريب الخطابة وتحريف المشاطة * قلت

بك بها مضمنا * * شعر *

إذا ما تخبثت لأمر عز واسطة * فاجعل ردفاه واكن منه على وجل *
* واعلم بأن طباع الانس قد جبلت * من الجفاء ومن مكر ومن دخل *
* فلا تثق منهم يوما بواسطة * واشرع بنفسك فيه غير متكل *
* فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل *

ومن عنان الكلام * في هذا المقام * يخرجنا عن المرام * ولكن تمت رياض المحبة زاهرة * وارباض المودة عامرة * وقفول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائرة * واستمروا على ذلك من غير نزاع * الى ان توفي شاه شجاع * وكان شاه شجاع هذا رجلا عالما فاضلا * يقرر الكشاف تقريرا شافيا كاملا * وله شعر رائق * وادب فائق * فمن شعره العربي على ما قيل * شعر *

* ألا ان عهدي في الغرام يطول * واسباب صبري لا تزال تزول *
* أصون هواها كلما ذر شارق * ولكن ما بي قد ينم نحول *
* ومن لم يذق صرف الصبابة في الصبا * علمت يقينا انه لجهول *

* ومن شعره الفارسي *

* ای بکام عاشقان حسنت جمیل * کی کزینم دیگری بر تو بدیل *
* کر زیادت تا نلم عیشم حرام * ور زجور ترا دم زنم خونم سبیل *
* هر کسی تدبیر کاری میکند * ما رها کردیم بانعم الوکیل *

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر * وابوه کان من افراد الناس ومن اهل البر یسکن ضواحی یزد وابرقوه * ذا باس شدید یخافه القریب والبعید ویرجوه * وکان قد نبغ بین یزد وشیراز * حرامی من عرب آل خفاجة سلط علی سالکی الطریقة حقیقة المجاز * یدعی جمال لوک * انقر الغنی واباد الصعلوک * لایبالی بالرجال قلت او کثرت * ولا یکترث بکواکب النبال اذا الکواکب علی رأسه انتثرت * فاباد طائفة من البلاد * واهلك الحرث والنسل والله لایحب الفساد * فکمن له ابو شجاع * فی بعض وهد او بقاع * ثم قد بله مواجهه * وکافحه مشافهه * ونازله فصرعه * وقطع رأسه وانتزعه * فتصل برأسه السلطان * فقدمه علی سائر الاعوان * واقطعه اماکن عنه * وقربه وجعله حاکما لکل شیء * وکان له حاکم اولاد * اقارب واحفاد * کل منهم رئیس مطاع * فمن اولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه شجاع * فصار کل منهم ذا کلمة نافذه * وید مطیة آخذه * ولم یکن

للسلطان ولم يبق وراءه فى امور الملك او ينقب * فلما اقبل عليه
رائد المنية اجابه وولى مدبرا ولم يعقب * وكان اذ ذاك قد نبتت
اوتاد محمد بن مظفر * فتقدم فى السلطنة ومن سواه تأخر * فصار
فى ممالك عراق العجم الملك المطاع * واستقل من غير تشاقق ونزاع
وتصرف فى الممالك كيف شاء * وردّاه الله خلعة قل اللهم مالك
الملك تؤتى الملك من تشاء * ومات فى حيوته ولده شاه مظفر المشهور *
وخلف ولده شاه منصور * ثم جرى بين شاه شجاع وبين ابيه * من النزاع
والشرور ما لا خير فيه * وقبض على ابيه وقهره * وفجعه بكريمتيه
واعدمه بصره * وتمكن من السلطنة واستقر * وكان به مرض جوع
البقر * بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا فى السفر ولا فى الحضر *
وكان كثيرا ما يدعو الله الغفور * ان لا يجمع بينه وبين تيمور *
فلما ادركه الاجل * وطوى فراش الموت منه بساط الامل * احضر من له
من الاقارب والاولاد * وقسم عليهم الممالك والبلاد * فولى ابنه
لصلبه زين العابدين * شيراز وهى كرسى الملك ومقصد الوافدين *
واقطع اخاه السلطان احمد ولايات كرمان * واعطى ابن اخيه شاه

يحيى يزد وابن أخيه شاه منصور أصفهان * وأسند وصيته بذلك إلى تيمور * وخلد ذلك في رق منشور * وأشهد على ذلك من حضر مجمعه * فكان كمن سلم الرمح لأبي زوبعه * ولما أدمج الموت توبة عمر شاه شجاع * انتشرت بين أقاربه شقق الشقاق والنزاع * فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه * واستولى على شيراز وفجعه بكريمتيه * وخالف عمه ونقض حبل عهده * وفعل مع ابنه ما فعله أبوه بجده * وجعل هذه القضية ممهده * والاشتغال بنقضه وإبرامه يخرج عن المقصود * فانمعص تيمور وامتعض * وتجرع الغصص وارتمض * ولكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص *

ذكر توجه تيمور مرة ثالثة * إلى خوارزم بالعساكر العابثة العائثة *

ثم إن تيمور رجل ذا الحزم * وصمم العزم على التوجه إلى خوارزم * وتوجه إلى تلك البلاد * من خراسان على طريق أستراباد * وكان سلطانها أيضاً غائباً * فأراد أن يولي عليهم من جهته نائباً * فخرج إليه حسين المذكور وصالحه * واشترى منه الشرور والمقابحه * وقال له يا مولانا الأمير * كلنا عبيدك أسير * ولكن سلطاننا غائب *

واذا اقيم علينا من جهتك نائب * ثم رجع الينا السلطان * فلا بد
ان يقع بينهما شنآن * واذا كان الامر كذا * فربما يصل اليه منه اذى *
فيكون ذلك سبب تاكيد العداوة * ويزداد بينكما الجفا والقساوة *
فيفضي ذلك على المسلمين * ويقع فساد والله لا يحب المفسدين *
وهب ان حسين صوفي صار نائبك * فكل الخلق يجب عليه ان يراعي
خاطرك وجانبك * ورأيك اعلى * واتباع مرسوماتك اولى * فسمع
تيمور كلامه * وقبل قوله وفوض للرحيل حين امره * وكان لحسن
المذكور ابن غير فالح * له عمل غير صالح * فكانه فتك بحظية من حظايا
السلطان * وذاع ذلك في المكان * وفاح ذكره في انف الزمان *
فلم يعتد بذلك الفعل القبيح حسين * وقال ان لي على السلطان مننا
واي منن * حيث حميت بلده من كل ظلوم كفار * وبذلت في ذلك
مالي وجاهتي ثلاث مرار * فلا بد ان يقابل هذه المصالحة * بالعفو عن
جريمة ولدي [illegible] المسامحة * فلما آب السلطان من سفره * واطلع
على حقيقة الامر وخبره * قبض على حسين وولده وقتلهما * وألقاهما بين
يدي اهل تبريز فاكلوهما * وخرب ديارهما * ونقل الى خزائنه

شعارهما ودثارهما * ثم لم يلبث حسين صوفي ان توفي * وولي بعده
ولده يوسف صوفي * وكان تيمور قبل ذلك قد ظاهرهم * وناصرهم
على مخالفيهم وظاهرهم * وزوج ابنا له يدعى جهانكير * عقيلة
منهم ذات قدر كبير * واصل خطير * ووجه مستنير * احسن من
شيرين واظرف من ولادة * ولكونها من بنات الملوك تدعى خانزاده *
فولدت له محمد سلطان * وكان في نجابته واقباله ساطع البرهان *
فلما شاهد تيمور في شمائله مخائل السعادة * وقد فاق في النجابة
اولاده واحفاده * اقبل دون الكل عليه * وعهد مع وجود اعمامه
اليه * لكن عاجله الدهر بذلك الظلوم * فتوفي قبله في آق شهر من بلاد
[illegible] الروم * وسيأتي ذكر ذلك

ذكر توجه ذلك الباقعة * الى خوارزم مرة رابعة *

فلما سمع تيمور * ما جرى على حسين من الشرور * تحنق وشد الازم *
ووجه ركاب الغضب الى خوارزم * واخذها وقتل سلطانها *
وهد اركانها وخرب بنيانها * وولى على ما بقي منها نائبا من عنده *
ونقل جميع ما امكنه نقله عنها * الى ممالك سمرقند * وتاريخ خراب

خوارزم عذاب * كما ان تاريخ خراب دمشق خراب *
٧٧٣ ٨٠٣

ذكر ما كان ذلك الجان * وراسل به شاه ولي امير ممالك مازندران *

ثم انه لما كان توجه الى خراسان * راسل شاه ولي امير ممالك مازندران *

وكاتب الامراء المستقلين بذلك المكان * فمنهم اسكندر الجلابي *

وارشيوند وابراهيم القمي * واستدعاهم الى حضرته * كما هو

جاري عادته * فاجابه بالضرورة ابراهيم وارشيوند واسكندر *

وتأبى عليه شاه ولي ذلك الغضنفر * فلم يلتفت الى خطابه وخشن

له في جوابه *

ذكر مراسلة شاه ولي سلاطين العراق * وما وقع

في ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق *

ثم ارسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان * والى

السلطان احمد بن الشيخ اويس متولي عراق العرب واذربيجان *

يخبرهما بورود خطابه * وصدور جوابه * ثم قال انا ثغركما * وان

انتظم امري انتظم امركما * وان نزل بي منه بائقة * فانها بممالككما

لاحقة * فان ساعدتماني بمدد * كفيتكما اهل النكد * والا فتصيران

كما قيل * شعر *

* من حلقت لحية جار له * فليسكب الماء على لحيته *

فاما شاه شجاع فاطرح قوله ورماه * وهادن تيمور كما ذكرنا داراه *
واما السلطان احمد فاجاب بجواب مهمل * وقال هذا الاشل الاعرج
الجغتائي ما عساه ان يفعل * ومن اين ومن اين * للاعرج الجغتائي
ان يطأ العراقين * وان بينه وبين هذه البلاد * لخرط القتاد * وكم بين
مكان ومكان * فلا يحل العراق كخراسان * ولئن عقدت على التوجه
الى ديارنا نيته * لتحلن به منيته * ولترحلن عنه امنيته * فانا
قوم لنا الباس والشدة * والعدة والعدد * والى ولقوا لنجدة * ولنا يصلح
التشامخ والتأبي * حتى كانه قال فينا المتنبي * نحن قوم ملجن في زي ناس *
فوق طير لها شخوص الجمال * فلما علم ذلك منهم شاه ولي *
وايقن ان كلا منهما عن شجوه خلي * قال اما انا فوالله لاوافقنه *
بعزم صادق ونفس مطمئنه * فلئن ظفرت به لاندرن بكما في الامصار *
ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار * وان ظفر بي فلاعلي ما يصل اليكما *
فلينزلن القضاء الطام والبلاء العام عليكما * ثم استعد للقائه *

الخيال * وكان القائل منهم يقول لمن كونه اذا علق عليه ارمقاه *
فتأخر عن الماء او تحول من الخلاء * كأن ابا بكر الشاسباني في الماء
او بين العليق ثراه * وقيل لم يتضرر عسكر تيمور في مدة اقامته *
مع كثرة حروبه ومصافاته وابلائه * الا من ثلاثة انفار * اضروا به
وبعساكره غاية الاضرار * واوردوا كثيرا منهم موارد البوار *
احدهم ابوبكر الشاسباني * وثانيهم سيدي علي الكردي وثالثهم امة
التركماني * فاما ابوبكر فمن احد كروا انه في بعض مضايق مازندران *
تغلب عليه الجغتاي من كل مكان * وشدوا عليه وجه المخلص *
وشدوا حبل المقتنص * فالجأوه الى جرف مقابله جرف * مقدار ثمانية
اذرع ما بين الجرف الى الجرف * كأن تعره جب النقير * او وادي قعر
الصغير * فنزل ابوبكر عن جواده المضمر * وطفر وطمر من احدى
الجرفين الى الآخر * بما عليه من السلاح والمغفر * ولم ينل منهم
ضرا * ارتبا كما نبا تأبط شرا * ثم اتصل بجماعته واباد عم * ونقل
الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصادهم * ثم ما ادري
امره الى ما ذا آل * وكيف تقلبت به الاحوال * واما سيدي علي الكردي فا

فإنه كان أميراً في بلاد الكرد * معه طائفة من الخيل الجرد * والرجال
غير المرد * في جبال عاصية * وأماكن وعرة متقاصية * فكان يخرج
هو وجماعته * ومن شملته طاعته ويبرك على فم المضائق * من شوبه
وأثق * ثم يشن على عساكر تيمور الغارات * ويدرك فيهم للمسلمين
الثارات * ويقتطع من حواشيهم * وما يمكنه من مواشيهم * ثم يرجع
إلى أوكاره * بما قضى من أوطاره * ولم يزل على ذلك الثبات في حيوة
تيمور وبعد أن مات * إلى أن أدركته الوفاة فمات * وأما أمة
التركماني فإنه كان من تراكمة قراباغ * وله ابنان قد وضع كل منهما
على قلب تيمور أي داغ * وكانت الحروب والنزال * بينهم وبين أميران
شاه وعساكر الجغتاي لا تزال * وأفنوا من جماعتهم عدداً لا يحصى *
وجانبا فات الاستقصا * إلى أن غدر واحد من المنتسبين إليهم * فطلب
غرتهم ودل عسكر أميران شاه عليهم * فبيتوهم ليلاً * وأراقوا
من دمهم سيلاً * فاستشهد الثلثة في سبيل الله * رحمهم الله *

* قلت * * شعر *

* واصعب فتنة تثبيت الاعدا * وانكى منه تخذيل الدوا

* وقيل شعر *

* وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند *

* وقيل شعر *

* إذا كان هذا بالأقارب فعلكم * فماذا الذي أبقيتم للأباعد *

ذكر توجه تيمور إلى عراق العجم * وخوض شاه منصور بحار ذلك اللجج الخضم *

ولما توفي شاه شجاع * ووقع بين أهله كما مر نزاع * واستقر أمر عراق العجم على شاه منصور * وخلصت ممالك مازندران وولايتها لتيمور * وكان شاه شجاع قد أوصى إلى تيمور بولده زين العابدين كما ذكر * ووكل أمره إليه * وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله من ابن عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه * فاستمال شاه منصور أقاربه * فكلهم صار محاربه * وعاد مجاذبه ومجانبه * وأقام كل منهم يحفظ جانبه * فتهيأ لملاقاته وحده * بنجدة فتى فارس كاملي العدة * بعد أن حصن المدينة * وحوطها بالأهبة المكينة * ورتب خيلها ورجلها * وحرض على التصبر والتربص أهلها * فقال له أكابر أعيانها *

والروس من سكانها * كانك في المقتحم * وسل الحرب قبل التحم *

وقد منعناه من الوصول الينا * ودافعناه عن الهجوم علينا * وربما جهل لنا

به رجالا * وابطلنا من عسكره ابطالا * ثم بماذا تصنع انت بالفتى

تراكب * مع هذا الغمام المتراكم المتراكب * وربما يخل عقلك * او يفل

جندك * فلا ترى لنفسك في الهيجاء * الا طلب الخلاص والنجاء * وتتركنا

لحما على وضم * بعد ان زلت بنا معهم القدم * ولا ينفعنا بعد تاكيد

العداوة الندم * ولا يجبر منا ذلك هذا الكسر * الا بالقتل والنهب

والاسر * فوضع يده على دبوسه شاه منصور * وقال هذا الالف في الكاف

السادسة من ام من يفر من تيمور * اما انا فاقاتل وجندي *

فان خذلني جندي ما قاتلت وحدي وبذلت في ذلك جدي وجهدي *

وغاية عليه وكدي وكدي * فان نصرت نلت قصدي * وان قتلت فلا

علي ممن بقي بعدي * وكانني انا كنت الحاضر * والخاطر في خاطر

الشاعر * حين قال

* اذا هم القى بين عينيه عزمة * وتنكب عن ذكر العواقب جانبا *

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه * واراد بذلك حفظ من له

خضاع في ضياعه * ثم جمع رؤساء شيراز واجنادها * وافلاذ
كبدها واولادها * وقال ان مثل اعد وثقيل * وهو وان كان خارجيا
فهو في بلادنا دخيل * فالرأي اني لا انحصر معه في مكان * ولا اقابله
بضراب او طعان * بل انتقل في الجوانب * واتسلط انا ورعاياي
عليه من كل جانب * فنصفع اكتافهم * ونقطع اطرافهم * ونواظبه
بالنهار ونراقبه بالليل * ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل *
وكلما وجدنا منه غرة * كسرنا منه القفا والغرة * فتارة ننطحه * واخرى
نرمحه * وكرة نجدحه ومرة نجرحه * ونسلبه الهجوع * ونمنعه
الرجوع * فتشتد عليه المضائق * وتنسد عليه الطرق والطرائق * غيران
القصد منكم يا احرار * ويا نمور القفار * ونسور النفار * ان تحتفظوا
بضبط الاسوار * ولا تغفلوا عنها آناء الليل واطراف النهار * فاني
ما دمت بعيدا عنكم لا يقدر واحد منهم منكم * وان حاصركم فيكم
كفاية * واستودعكم الله وهو نعم الوقاية * وغاية ما تكونون في شدة
البوسا * مقدار ما واعد الله تعالى نبيه موسى * ولله هذا الرأي ما كان
امتنه * ورجعه هذا القصد ما كان احسنه * ثم انه خرج ذاهبا * وقصد جانبا *

ذكر رقيقة تصلت تحلمت ونفست * ما ابرمه شاه منصور

من عقد حين حلت *

فبينما هو منه بباب المدينة جائز * نظرته سعلاة من عشرات العجائز *
لمن رقة بالملام * وآذته بالكلام * ونادت بلسان الاعجام * انظروا
الى هذا التركي بحرام * رضي اموالنا * وتحكم في دمائنا * وفارقنا
اخرج ما نحن اليه في مخاليب اهل اثنا * جعل الله حمل السلاح عليه
حراما * ولا انتج له قصدا ولا اسعف له مراما * فقدحت زناده *
وجرحت فؤاده * وتاججت نيران قصده * واحرق الناس تلك بزند
شواظ لهيبه * وثارت نفسه الابية * واخذته حمية الجاهلية *
حتى ذهب لب ذلك الرجل الحازم * وفلطا فاعشى ونولطافه ملازم *
فثنى عنان عزمه * وكر اسنان ازمه * واقسم لا يبرح من المقاومة *
ولا يرجع في مجلس فداء الحرب عن ملازمة المصادمة * ويجعل
ذلك دأبه صباحا ومساء وعشاء * الى ان يعطي الله النصر لمن يشاء *
ثم قابل * ورتب ابطاله وقاتل * وكان في عسكر شاه منصور * امير
عراقي مباشر لتيمور * يدعى محمد بن زين الدين * من العجزة

المعتدين * وجل العساكر كان معه * فسار الى تيمور واكثر

الجند تبعه * فلم يبق منهم الا دون الالف * فما فروا حل منهم

من الزحف * فثبت شاه منصور * بعد ان تضعضعت منه الامور *

فلم تزل نيران الهيجاء تنبطح * وزناد الحرب توريها اذ تنقدح *

وشرار السهام تتطاير * وثمار الرؤس بمناجل السيوف تتطاير

نتناثر * حتى اقبل جيش الليل * وشمر الهزيمة جند النهار الذيل *

فتراجع كل منهم الى وكره * واعمل شاه منصور فكره في مكره *

ذكر ما نقل عن شاه منصور * مما اوقع بعسكر تيمور * من الحرب

والويل * تحت جنح الليل *

فعمد الى فرس جفول * من بين الخيول * اجمع من دهر زمع *

وارمح من عصر جمع * واتى بها عسكر العدو * وقد اخذ الميل في

الهدو * ثم ربط في ذنبها قدرا من النحاس * ملفوفة في قطعة بلاس *

وشد ها شد احكم وثاقها * وضرب راسها نحو العدو وساقها * فبانت

الفرس في العسكر واضطربت * واختلطت الناس واحتربت وانسابت

جداول السيوف في بطون تلك النحور وانسربت * حتى كان الساعة

اقتربت * والسماء عليهم بالشهب انقلبت * والارض بهم اهتزت
وربت * وشاه منصور واقف نحو الهيم * كالباز في البطل عليهم *
يقتل من شاء * ويبيد من تلا * وصاروا كما قيل

* شعر *

* الليل داج والكباش تنتطح * نطاح حِلٍّ ما ارى ما تصطلح *
* فقائم وقاعد ومنبطح * ومن نجا برأسه فقد ربح *

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فنى نحو من عشرة آلاف نفس *
فلما تقوض الليل خيامه * ورفع النهار اعلامه * علموا البلاء كيف
دهاهم * وليت الليل لم يكن فارق ذراهم * ثم ان شاه منصور اصبح
وقد قل ناصره * وذل موازره * فانتخب من جماعته نحوا
من خمس مائة * فجعل يصول بهم صولة الاسد * ويخوض بهم
غمار الموت فلا يلوى امامهم احد على احد * ويميل يسرة ويمنة وينتسب *
ويفصح انا شاه منصور الصابر المحتسب * وتراهم بين يديه حمر مستنفرة *
فرت من قسورة * وقصد مكانا فيه تيمور فهرب منه ودخل بين النساء *
واختفى بينهن وغطى بكساء * فبادرنه وقلن نحن حرم * واشرن

الى طائفة من العسكر المصطدم * وقلن هناك بغيتك * وبين اولئك طلبتك * فالوى راجعا * وتركهن متباعدا * وقصد حيث اشرن اليه * وقد احاطت به جموع العساكر وحلقت عليه * قلت بديها

* شعر *

* وما حز اعناق الرجال سوى النسا * واى بلاء ما لهن به ابلاء *
* وكم نار شر احرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها اصلا *

وكان على فرس فاقتحم القتالا * فضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا * وفرسه السبوح كانت تقاتل معه * وتصدم وتكدم من يقرب منها في تلك المعمعه * وكأنه كان ينشد معنى ما قلته في مرآة الادب

* شعر *

* يد الله قوتني فغلبت يداهم * ومني يدى فيهم بسيفين تضرب *

فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال * افترقت امامه يمينا وشمالا وان كانوا كلهم من اهل الشمال * ولكن

* شعر *

* اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاعظم ما يجنى عليه اجتهاده *

حتى انهكه الحرب * وكلت يداه من الطعن والضرب * وجندلت

على حال ذلك الانسان المقهور * أهو في الأحياء فيخشى نكره * أم
انتقل الى دار الفناء فيأمن مكره * فأمر بتفتيش الجرحى * والتنقيب
عنه بين القتلى والطرحى * الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب *
ويغمد حسام الضياء من الظلام في قراب * فعند ما ضم دينار البيضاء *
تحت ذيل ملاءة الضياء * ومع نساج القدرة في جو الفضاء سدا * والليل
اذا سجى * ونثر على سطح هذا الاديم المينا * دراهم كواكبه الزهراء *
واتسع الظلام واتسق * عثر واحد من الجند على شاه منصور وبه
ادنى رمق * فتشبث شاه منصور بذلك الانسان * بل الشيطان
الخوان * وناداه الامان الامان * انا شاه منصور * فاكتم عني هذه
الامور * وخذ مني هذه الجواهر * وخافت في قضيتي ولا تجاهر *
كأنني لا رأيتك ولا رأيتني * ولا عرفتك ولا عرفتني * وان اخفيت مكاني *
ونقلتني الى اخواني واعواني * كنت لك آمن اغنيتك بعد ما اشتراني *
ومن بعد ما اماتني احياني * وكنت ترى مكافاتي * وتغتنم مصافاتي *
ثم اخرج له من الجواهر * ما يكفيه وذريته الى يوم الآخر * فكان
في قصته واستكشاف غصته * كالمستغيث بعمرو عند كربته * فما علم

الى ان وثب على شاه منصور * واحتز رأسه واتى به الى تيمور * وحكى له
ما جرى بتنجيز المشترى فما صدّقه * ولا فى كلامه استوثقه * بل اخرج
من قبائله وشعوبه * من عرفه به * فعرفوه بشامه * كانت على وجهه
علامه * فلما علم انه شاه منصور بعينه * وتميّز له صدق ذلك الرجل
من مينه * تحنّق وتحيّف * وتحرّق لقتل شاه منصور وتأسف * ثم سأل
ذلك الرجل عن محتده * وعن والده وولده * وعن قبيلته وذويه *
وفخذه ومنزليه * فلما استوضح اخباره * علم نجاره وجاره *
ارسل من يسوقه الى متوالى تلك الدارة * فقتل اهله واولاده * واعوانه
وانصاره * واطفأ جمرة آله واحفاده * واخوانه واصهاره * وقتله شر قتله
ومحا آثاره * واباد رهطه وقومه وقبيلته وخرّب دياره * ثم ارسل الى
اطراف ممالكه بطاقات * يذكر فيها صور تلك المصافات والمواقعات *
وما شاهده من ثبات شاه منصور وثباته * وغشيانه غمرات الحرب
لمضارباته * واما حصل فى واقعة القتال على الجيش من صف مرسلاته *
وكيف زلزلت حملاته العادية بطون وتولت النساء فى فتح اجراته * بعبارات
هائله * وكلمات فى ميادين الفصاحة والبلاغة جائله * ومن هذه المطالعات

تترا في المنازل والمشاهد * وتتلى في المصادر والموارد * يستملى منها درر الآداب * ويعتني بحفظها الكتاب والصبيان في الكتاب * رايت في اخبار بعض المعتنين * انه في شوال سنة خمس وتسعين * ورد رسول صاحب بسطام * يوذن سلطان مصر بالاعلام * ان تيمور * قتل شاه منصور * وانه تولى على شيراز وسائر البلاد * وارسل راسه الى حاكم بغداد * وامره بالطاعة * هو ومن معه من الجماعة * وارسل اليه خلعة * وان يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك في الجمعة * فلبس خلعته وأتمر * ممتثلا كلما به امر * وانه علق راس شاه منصور * بعد ما طافوا به على السور * وما اظن لذلك صحة

ذكر ما وقع من الامور والشرور * بعد واقعة شاه منصور *

فاستولى تيمور على ممالك فارس وارض عراق العجم * وراسل من داناه من اقارب شاه شجاع وملوك الامم * واستمال الخواطر وامن البادي والحاضر * ورحل فجاز * من مدينة شيراز * لضبط نحوالها * وقرر وعيتها خيلها ورجالها * ونادى بالامان * للقاصي والداني * فلبت دعوته ملوك البلاد * ولم يسعهم معه الا الاطاعة

والانقياد * فواصل اليه سلطان احمد من كرمان * وشاه يحيى
من يزد وعصى سلطان ابو اسحق في شيرجان * فانعم وخلع على من
اطاعه وانقاد * ولم يتعرض لمن اظهر العناد * ولم يشق بينه وبين
مخالفيه العصا * واكرم من اطاعه ليوقع بذلك من عصى * وطراح
على شيراز وسائر البلدان بالامان * واقام في كل بلدة من جهته
نائبا وتوجه الى اصبهان * واحسن الى زين العابدين الذي هو
وصيه من ابيه * ووظف له من الجوامك والادرارات
ما يكفيه وذويه *

ذكر ما صنع الزمان * عند حلوله باصبهان *

فلما وصل الى اصبهان * وكانت من اكبر البلدان * مملوة
بالافاضل * محشوة بالاماثل * وبها شخص من علماء الاسلام *
والسادة الاعلام * قد بلغ في العلم الغاية * وفي العمل والاجتهاد
النهاية * افعاله مبرورة * وكراماته مشهورة * ومآثره
مذكورة * ومحاسنه على جبهة الايام مسطورة * وهو معتقد
المسلمين * وكان اسمه امام الدين * وكان اهل اصبهان يذكرون

لَهُ تيمور * وَيحذَرُون من شَرِّهِ اي محذور * فيقول لهم ما دمتُ فيكم

حيّاً * ما يضرُّكم كيدُه شيئاً * فان وفاني الاجل * فكونوا من اذاه

على وجل * اتفق انه في وصول تيمور * توفي الشيخ المذكور * فاصبحت

اصبهان ظلمات بعضها فوق بعض بعد ان كانت نوراً على نور * فتضاعفت

حسرتهم * وتردد افيه كسرتهم * فوقعوا في الحيرة * وصاروا كابي

هريرة * رضي الله عنه حيث يقول

* للناس همّ ولي في اليوم همّان * فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان *

* فخرجوا اليه وصالحوه على حمل اموال * فارسل اليهم لاستخلاصها

الرجال * فوزعوها على الجهات * وفرضوا على الحارات والمحلات *

وتفرق فيهم المستخلصون * فكانوا يعيثون فيهم ويعبثون * واستطالوا

عليهم فجعلوهم كالخدم * وتوصلوا الى ان مدّوا ايديهم الى الحرم *

فانتكوا منهم اي نكاية * فرفع اهل اصبهان الى رئيسهم الشكاية *

وكثرت منهم الشكية * وهم قوم لهم حمية * قالوا الموت على هذه

الحالة * خير من الحيوة مع هذه الاستطالة * فقال لهم رئيسهم اذا اقبل

المساء * فاني اضرب الطبل لكن لا تحت كساء * فاذا سمعتم الطبل قد دق *

فالقول قول حق * فليقبض كل منكم على نزيله * وليحتكم منكم بسمين رأيه
ونزيله * فاتفقوا على هذا الرأي المعكوس * والأمر المنكوس في الطالع
المنحوس * وقصروا أيدي أنظارهم السقيمة * عن قصارى هذه الأمور
الوخيمة * ولما تعرى العنان من ثوب نوره * وأذن الجو قامه
بسموره * ومضى هزيع من الليل * ضرب الرئيس الطبل فحل
بالمستخلصين الويل * فقتلوهم وكانوا نحوا من ستة آلاف * فأصبحوا
وقد غرسوا في دوح العصيان أغصان الخلاف * فأثمر ذلك لهم
الحور بعد الكور * وبان لهم البور فأصبحوا بورا بهذا البور * ولما سل
الفجر حسامه * وحسر النهار لثامه * بلغ تيمور ذلك الصنع المشؤوم *
فنفخ الشيطان منه في الخيشوم * فارتحل من فوره * واستل عضب
غضبه ونثل جعبة جوره * وتوجه إلى المدينة مزمجرا * مضراع *
متكلبا متأسدا متنمرا * فوصل إليها * وأخنى عليها وأمر بالدماء أن
تسفك * وبالحرمات أن تهتك * وبالأرواح أن تسلب * وبالأموال
أن تنهب * وبالعمران أن تخرب * وبالزروع أن تحرق *
وبالضروع أن تخرق * وبالأطفال أن تطرح * وبالأجساد

أن تجرح * وبالأعراض أن تثلم * وبالذمم أن تعلم ولا تسلم *
وأن يطوى بساط الرحمه * وينشر مسح النقمه * فلا يرحم كبير لكبرة *
ولا صغير لصغره * ولا يوقر عالم لعلمه * ولا ذو أدب لفضله وحلمه * ولا شريف
لنسبه * ولا منيف لحسبه * ولا غريب لغربته * ولا قريب لقرابته
وقربته * ولا مسلم لاسلامه * ولا ذمي لإلّ ذمامه * ولا ضعيف لضعفه *
ولا جاهل لركاكة رأيه وسخفه * وبالجملة فلا يبقى على أحد *
ممن هو داخل البلد * وأما أهل المدينة فعلموا أنه ليس للجدال
مجال * فضلا عن ضراب وقتال * وأن قبول الأعذار محال *
وأنه ليس ينجيهم من ريب المنون * مال ولا بنون * ولا يقبل منهم
في تلك الساعه * ولا ينفعهم عدل ولا شفاعه * فتحصنوا بحصون
الاصطبار * وتدرعوا دروع الاعتبار * وتلقوا سهام القضاء
من حنايا المنايا بمجن تسليم المراد * واستقبلوا ضربات القدر
من سيوف الحتوف باعناق التفويض والانقياد * فاطلق في ميادين
رقابهم عنان الصوارم البتار * وجعل مقابرهم بطون الذئاب والضباع
وحواصل الاطيار * ولا زالت عواصف الفناء تجتثهم من أشجار الوجود

فحتى * حضروا على القتلى فكان نحو ستة مرازمن امة يونس بن متى *
فاستغاث بعض الضعفاء * بنواحيه من رؤس الامراء * وقال التقية
في البقية * والرعاية في الرعية * فقال ذلك الامير للسائل الفقير *
اجمعوا بعض الاطفال عند بعض القتلى * فلعل ان يلين قلبه عند
رؤيتهم شيئا ما عسى ولعل * فامتثلوا ما به امر * ووضعوا شرذمة
من الاطفال منهم على الطرق * ثم ركب ذلك الامير مع تيمور واخذ به
على تلك الاطفال ومر * ثم قال انظر يا مخدوم * نظر الراحم الى المرحوم *
فقال ما هؤلاء * اطرحاء الاشقياء * فقال اطفال معصومون *
وامة مرحومون مرجومون * استحر القتل بوالديهم * وحل غضب
مولانا الامير على اكابرهم وذويهم * وهم يستعطفون بعواطفك الملوكية
وصغرهم * ويستشفعون اليك بذلهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم
وكسرهم * ان ترحم لهم * وتبقي على من بقي لهم * فلم يحرجوا با *
ولاابك ما خطابا * ثم مال بعنان فرسه عليهم * ولم يظهر انه بصر بهم
ولا نظر اليهم * وما لبث معه تلك الجنود والعساكر * حتى اتى منهم
على الاول والاخر * فجعلهم طعمة للسنابك * ودقة تحت اقدام

أولئك * ثم جمع الأموال * وارتسق الأعمال * ومال راجعا الى سمرقند بما قل ونال * وكم بين هذه الأمور والقضايا * من دواه وبلايا * واخبار وحكايات وتجهيز سرايا * وتولية وعزل * وابراز المرئي في صورة جد واجد في صورة هزل * وبناء وهدم * ووصل وصرم * وتعمير عامر وتخريب عامر * وتهاون وتغافل * وانحراف وتوازن * ومناجيات مع علماء * ومناظرات مع كبراء * ورفع وضعاء * ووضع شرفاء * وتمهيد قواعد * وتقريب اباعد * وتبعيد اداني * وبروز مراسيم الى كل قاص وداني * الى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر * ولا يضبطه ديوان ولا دفتر *

ذكر ضبطه طرفي المغل والجتا * وما ضبط منه في تلك الاماكن واتى *

ولما وصل الى سمرقند ارسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير * مع سيف الدين الأمير * الى اقصى ما تبلغ اليه مملكته * وتنفذ فيه كلمته * وهو وراء سيحون شرقا سوا * آخذا في تخوم ممالك المغل والجتا والخطا * فتوجهوا من مسيرة شهر * عن ممالك ما وراء النهر * فنزلوا هنالك الوهاد والبقاع * وبنوا فيه لجملة من القلاع * واقصاها بلد يسمى اشبارة * فبنوا فيه حصنا حصينا معقلا للنهب

والغارة * وخطب من بنات الملوك ملكة أخرى * وكانت الأولى تدعى
الملكة الكبرى والأخرى الملكة الصغرى * فأجابهم ملكهم الى ما سأل *
وأناب الى ما طلبه منه بالطاعة وبذل * وارتجت منه أقاليم المغل
والخطا * وذلك لما بلغهم مما فتك * في كل طرف وبتك * من بلاد
الإسلام وسطا * وكان السفير في ذلك الله داد أخا سيف الدين الملكور *
وهو الذي استخلص أموال دمشق ونزل في دار ابن مشكور * وأمر
تيمور ببناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب * وعقد اليها
جسرا على متن النهر بالمراسي والمراكب * وسماها شاه رخية * وهي
في أماكن رخية * وسبب تسمية ابنه شاه رخ بهذا الاسم * ووسم
هذه المدينة بهذا الوسم * انه كان على عادته * مشغولا بلعب الشطرنج
مع بعض حاشيته * وقد أمر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل *
وكانت احدى حظاياه معه وهي حامل * فرمى على خصمه شاه رخا *
فقبل خصمه لذلك وارتخى * وبينما خصمه قد وقع في الأين *
اذا بمبشرين جاءا مخبرين * احدهما يبشره بولد * والآخر يبشره
بتمام عمارة البلد * فسماهما بهذين الاسمين *

وشقهما بين الوشيقين *

ذكر عوده ذلك الاعوان * الى ممالك فارس وخراسان * وفتكه بملوك
عراق العجم * واستصفائه تلك الولايات والامم *

ثم عاد * بعد تمهيد البلاد * وتوطيد قواعد ممالك تركستان *
الى بلاد خراسان * فاستقبله الملوك والامراء * والسلاطين والوزراء *
وسارعوا اليه من كل جانب * ما بين راجل وراكب * ملبين دعوته *
حاذرين سطوته * مغتنمين خدمته * وسلموا الانجاد والاغوار *
والاطواد والقفار * والقرى وسكانها * والمدن وقطانها * والقلاع
العاصيه * وربطوا بين يدي امره كل ناصيه * ممتثلي أوامره * مجتنبي
زواجره * عاقدين نطاق عبوديته بانامل الاخلاص * تابعي رائد
مرضاته على نجائب الولاء والاختصاص * فمنهم من مر ذكره
من المطيعين * ومن كانوا في الشواهق ممتنعين منيعين * ومن جملتهم
اسكندر الجلابي احد ملوك مازندران * وارشيوند الفارسكو في ذلك
الاسد الغضبان * صاحب الجبال * الشوامخ العاصية القلال *
وابراهيم القمي صاحب النجدة * والمعد لكل شدة * واطاعه السلطان

ثم امر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة صبرا * ثم لما اباد هم * ضبط بلادهم * رجع
طريقهم وتلادهم * وقتل اولادهم واحفادهم * واقام في ممالكهم
اولاده * وامراءه واحفاده واسباطه واجناده * وسبب قتله هولاء الملوك
وفتكه * وتمزيقه ستر حيوتهم وهتكه * ان بلاد العجم كانت لا تخلو
عن الملوك الاكابر * ومن ورث الملك والسلطنة كابرا عن كابر * وهي
ممالك واسعه * اطرافها شاسعه * مدنها وافره * وقراها متكاثره *
واوتاد اوتادها راسخه * وعرانين اطوادها شامخه * ومخدرات
قلاعها ناشزه * ومضمرات مكامنها ومعادنها غير بارزة * وكواسر
اكاسرها كاسره * ونواشر جوارحها للظهور ناشره * ونمور دهاريها
طامره * وبدور شطارها طافره * وثعابين ابطالها في جلادها لجدالها
قاهره * وتماسيح اقيالها في بحار الضراب قاهره * فنظر تيمور بعين
بصيرته * في رذيلة تامله ومرآة فكرته * فرأى انه لا يزول ردعا رضها
من شوكة عارض * ولا يصفو ورد ثغر فائضها من شارب معارض *
ولا يثبت له في بنيان ممالكها اساس محكم * ولا ينبت له في بستان
ممالكها غراس ينعم * وكان قصده ابقاء ما بنيها * واجراء امره

على ما اقتضته التورة الجنكيزخانية فيها * فلم يمكن عمل فلاحة لسلطنته
في بسيط ارضها * وسوق انها رأوا اميرة في ضرائب ممالكها طولها
وعرضها * الا بقلع علائق انساب اكابرها * وكسر قوادم اخشاب
احساب اكاسرها * فسعى في استيصال فروعهم واصلهم * واجتهد
في اهلاك حرثهم ونسلهم * وجعل لا يسمع لهم ببزرة نطفة في ارض
رحم الا قلعها * ولا يشم منهم رائحة زهرة في كم كمين الا قطعها * وقيل
انه كان في مجلس فيه اسكندر الجلايري وكأنه كان مجلس نشاط * ومقام
انشراح وانبساط * فسأل اسكندر * في ذلك المحضر * وقال ان حكم
القضاء بافنا ذريتي * من تراه يتعرض لاولادي وذريتي * فاجابه
وهو في حالة الشطح * وقد خلت عليه دماغه ووضع سراج العقل
منها فوق السطح * اول من يتنازع اولادك المشائيم * انا وارشيوند
وابراهيم * فان نجا من مخاليبي منهم احد * فانه لا يخلص من انياب
ابراهيم الاسد * وان افلت احد منهم من ذلك البدن * فانه لا مخرج
له من شراك ارشيوند * وكان ارشيوند وابراهيم غائبين * فلم
يتعرض تيمور لاسكندر بضرر وشين * واراد بالابقاء عليه * وقرعه

مع صاحبيه * فلما اذاق اسكندر ليم ما قال * فقال لا مفر
من قضاء الله ولا مجال * ولا عتب في ذلك علي * انطقني بذلك الله
الذي انطق كل شي * ثم ان اسكندر وابراهيم هربا * فقبض على ارشيوتلد
والقاه في النازعات فصار نبا * وهتك حريم عمره اذجرعه اول الرغد
واقرأه اخر نوح وسبا * ثم ان اسكندر لم يرله اثر * ولا سمع عنه
الى يومنا هذا خبر * وكان كبير الهامه * طويل القامة اذا مشى
بين الناس كانه علامه * حتى قيل ان مثل ذلك القصر المشيد * كان
نحوا من ثلثة اذرع ونصف بالحديد * وابراهيم القمي استمر
على انكماشه * ثم مات على فراشه * فكان ذلك * سبب ابادة الملوك
وابناءهم المهالك * فصل * ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة
شيرجان * وقال ان محمد ومي شاه منصور موجود الى الان * وكان
هذا الكلام * فاشيا في الخاص والعام * فكان كودرز يتوقع ظهوره *
ويزجي على ذلك اعوامه وشهوره * فحاصر تيمور قلعة شيرجان * فلم
يلح له عليها سلطان * فوجه اليها عساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان *
واضاف اليهم عساكر سجستان * وذلك بعد ان شملها العمران *

مربي بالدلال * ألفاظه رائقة * والحاظه راشقة * والأرواح إليه تائقة * وأرباب الألباب له عاشقة * حركاته في القلوب عاتية * ولفتاته للخلق فاتنة * كما قيل

* شعر *

* نسيم عبير في غلالة ماء * وتمثال نور في أديم هواء *

وعمره إذ ذاك ستة أعوام * ولكن مفتتن به الخاص والعام * تعزم ابن كوطي إتلافهما * والحاقهما بأسلافهما * ولم يكتف من تلك الدرة بأنها صارت يتيمة * ولا رق لأمهما التي خربت ديارها لكونها مخدرة كريمة * ولم يكن له مدافع * ولا عنهما ممانع * فطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه * فلم تطب نفس أحد أن تمتد يده بمكروه إليه * ومضى على ذلك مدة * والخلق بسبب هذه القضية في ضيق وشدة * حتى وجد واحد أسود * كأنه للبلاء مرصد * وكأن الشياطين له عبيد * والعفاريت له جنود وحفدة * وثوب ليل القهر من سواده انتسج * وأصل الشجرة التي طلعها كأنه رؤس الشياطين من حبة فؤاده نبت فنتج * يستلذ عند صداء صوته خوار الثيران * ويستحسن عند خيال صورته مشاهدة الغيلان * قلت

رضيع نفطمتها * فلما قربوا الى دماه * جعلت البنت تأن انين الاواه *
ولابها من المضض المبكي * تتشكى وتبكي * ومعهم جمال من بغداذ *
منطوٍ على الفساد * منتوٍ على النكاد * مجبول على الغلاظة والقساوه *
معجون من الفظاظة والغباوه * ممتلئ من البذا * متضلع من الاذى *
لم يخلق الله تعالى في قلبه من الرحمة شيأ فينتزع * ولم يودع لسانه
لفظا من الخير فيستمع * فاخذ تلك البنت من امها * فلاح في وهمها
انه انما اخذها ليخفف من همها * وكانتا راكبة على جمل * ثم انقطع
ساعة عن الثقل * ثم وصل ويده خاليه * وقهقهته عاليه * فاستكشفت
امها حالها * فقال مالي وما لها * فهوى عقلها وهوى * فطرحت نفسها
ونحت نحوها * فاخذتها وانقلبت * واتت بها وركبت * فتناولها
منها مرة اخرى * على ان لا يسومها ضرا * ثم غاب عنها ورجع *
وقد صنع كما صنع * فالقت نفسها ثانيه * وعدت اليها ثانيه * وجاءت
وهي عانيه * وقطوف حتوفها دانيه * فركبت واخذتها * ووضعتها
على كبدها التي منها فلذتها * فاخذها منها مرة ثالثه * بنية
في الفساد عابثه * وحلف لها يمينا حانثه * انه يحملها وينوء * ولا يمسها

يسوء * فحملها ساعه * ثم خرج عن سنة الجماعه * ورمى بها في بعض
البطاح * ومثل بها ما فعله اليهودي بصاحبة الاوضاح * وجاء
ويك الدامغه * بالاثم ملآ ما ومن البنت فارغه * وقد سلبها سلبها * وجلب
الى امها جلبها * فاطرحت نفسها باكيه * ورامت الرجعى جاريه *
فقال لها لا تتعبي * كفيتك هما مارجعي واركبي * فبكت وصاحت *
وانت وناحت * ووقعت في العناء وان كانت استراحت * والناس
على دين ملوكهم * سالكون طرائق سلوكهم *

سبب دخوله الى عراق العرب * وان كان ايذاؤه لا يحتاج الى علة وسبب

ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم * ودانت له الملوك والامم *
وانتهت مراسيمه الى حدود عراق العرب * غضب السلطان احمد صاحب
بغداد واضطرب * فجهز جيشا عرمرما * وجعل رئيسهم اميرا مقداما
مقدما * يدعى سنتائي * فتوجه الجيش نحو الجغتائي * فبلغ
تيمور خبر الجيش وخبره * فسر بذلك قلبه وانشرح صدره * فجعل
ذلك سببا لمهاوشته * وذريعة لمحاربة ملك العراق ومناوشته *
وانفذ جيشا كرارا * بل بحرا زخارا * فتلاقيا بصدق نيه * على مدينة

سلطانيه * فيصدق كل منهما صاحبه الضرب * ويبدلنحره السنة الاسنة وسهام الحرب * واستمد بحر الجغتائي من امواج افواجه واصطدم * فانكسر في قسا طله قنبيات جند سنتاي فانهزم * ووصل كلهم الى بغداد * وتشتتوا في البلاد * فالبس السلطان احمد سنتائي المقنعه * واشهره في بغداد بعد ان ضربه واوجعه * وكف تيمور عن عناده * وقفل متوجها الى بلاده *

ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر * وقد رذلك البحر المائر * لتطمئن منه الاطراف فيحطمها كما يريد ويديرها الدوائر *

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها * وجعل يتنقل في جوانبها ونواحيها * وبنى حواليها قصبات * سماهن باسماء كبار المدن والامهات * وقد صفت له سمرقند وولاياتها * وممالك ما وراء النهر وجهاتها * وتركستان وما فيها من البلاد * ونائبها من جهته يدعى خداداد * وخوارزم التي بها فتك وسطا * وكاشغر وهي في بحر ممالك الخطا * وبلخشان وهي ممالك على حدة * عن ممالك سمرقند متباعدة * واقاليم خراسان * وغالب ممالك مازندران *

ورستمدار وزاولستان وطبرستان * والري وغزني واستراباد *
وسلطانية وسائر تلك البلاد * وجبال الغور المنيعة * وعراق العجم
وفارس الشامخة الرفيعة * وكل ذلك من غير منازع * ولا مجادل
ولا ممانع * وله في كل مملكة من هذه الممالك وال *
او قال وال او نائب معتمد *

نموذج مما كان يحوز * ذلك الظلوم الكفور * من عساكره في الحوز * ويغوص
في الغوز * ثم يفور * بشرور ومن جملة ذلك غوصه فيما وراء النهر
وتخريجه من بلاد اللور *

ثم انه مع اتساع مملكته * وانتشار هيبته وصولته * وشيوع اراجيفه
في الاقطار * وبلوغ تخاويفه الاقاليم والامصار * وثقل انتقاله *
وعدم اختفاء توجهه الى جهة وانتقاله * كان يجري في جسد العالم * مجرى
الشيطان من ابن آدم * ويدب في البلاد * دبيب السم في الاجساد * قلت

* شعر *

* يصوب يمنة ويصيب يسره * وينوي جبهة والقصد نثره *
فبينا يكون له في المشارق بيارق فيالق * اذ لم له في الغرب بوارق

بوائق * بينما نغمات طبوله وضربات أعواده تقرع في جبار العراق

واصبهان وشيراز * واذا بزنات أوتاره وبوقات ابواقه تسمع

في مخالف الروم ومقام الرهاوي وركب الحجاز * فمن ذلك انه مكث

في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين وعمارة القصور * وقد أمنت

منه البلاد واطمأنت الثغور * فلما انتهت أموره * وبلغ الكمال

قصوره * أمر بجمع جنده * الى سمرقند * ثم امرهم ان يصنعوا لهم

قلانس أبتدعها * وطى صورة من التركيب والتصوير اخترعها *

فيلبسونها ويسيرون * وما يبين الى اين يصيرون * ليكون ذلك لهم

شعارا * وقد كان أرصد له في كل جهة من مماليكه خشارا * ثم رحل

عن سمرقند * واشاع انه قاصد ختند * وبلاد الترك وجند * ثم انه

اندمس * في درده وعسكره وانغمس * كأنه في لجة بحر انغمس *

ولم يشعر احد أين عطف * ولا انى قصد المختطف * ولازال في تأويبه

وإسآده * وجوب بلاد بعد بلاد * يجري جري المراكب * ويسير سير

الكواكب * ويطرح ما وقف بوكل من نجائب الجنائب * حتى نبع

من بلاد اللور * ولم يكن لاحد به شعور * وهي بلاد عامرة * خيراتها

متكاثرة * وفواكهها وافرة * اسم قلعتها بروجرد وحاكمها عز الدين
العباسي * وقلعتها وان كانت في الحضيض لكن كانت تساوي بمناعتها
حصون الجبال الرواسي * وهي مجاورة همذان * ومناظرة عراق
العرب كاذربيجان * فاحاط بالقلعة وما حواليها وحاصر مالكها
المتولي عليها * ولما كان صاحبها بلا عدد * ولا عدد ولا اهبة
ولا مدد * وكان في صورة المتوكل المحتسب * واتاه البلاء من حيث
لا يحتسب * لم يسعه الا طلب الامان * والانقياد له والاذعان *
فنزل اليه وسلمه قياده * فقبض عليه وضبط بلاده * ثم ارسله الى
بيمرتنبل وحبسه * وضيق عليه نفسه ونفسه * ثم بعد ذلك بمدة حلفه
ورفع عنه ما نابه * وصالحه على جمل من الخيل والبغال ورده الى بلاده
واسيتنا به * ولما استخلص ذلك الكفور * ولايات تلك الكفور * واصل
السير الى همذان * في اقرب زمان * فوصل اليها واهلها غافلون *
فجاءها البأس بياتا او هم قائلون * فخرج اليه منها رجل شريف يقال له
مجتبى * وكان عند الملوك مصطفى ولديهم مرتضى * فشفع فيهم
فشفعه على ان يبذلوا مال الامان * ويشتروا باموالهم ما من عليهم

به من الارواح والابدان * فامتثلوا امره وفعلوا * وزعموا ذلك

تجمعوه والى خزائنه نقلوا * فدعته نفسه الجانيه * ان طرح عليهم

المال مرة ثانيه * فخرج اليه ذلك الرجل الجليل * ووقف في مقام

الشفاعة مقام البائس الذليل * فقبل شفاعته * ووهبه جماعته *

ثم انه سلك بمكانه وجثم * حتى تلاحق به عسكره والتأم *

ابتداء تخريب ذلك الحرب * اذربيجان ومملكة عراق العرب *

ولما بلغ السلطان احمد بن الشيخ اويس * ما فعله بغنم رعايا جيرانه

اللور وهمذان ان ذلك الاويس * علم انه لابد له من قصد مملكته

ودياره * لانه هو باداته بالشر وطرح على شرارة طائر شراره *

وان عسكره وان كان كالسيل الهامر فانه لا مقاومة له بتجره وتياره *

وانه اذا جاء نهر الله بطالوت عيسي * ولا مقابلة لسحرة فرعون

مع عصا موسى * قلت * شعر *

* السيل يقلع ما يلقاه من شجر * بين الجبال ومنه الصخر ينفطر *

* حتى يوافي عباب البحر تنظره * قد اضمحل فلا يبقى له اثر *

فاستعد للبلاء قبل نزوله * وتأهب له قبل حلوله * فتشمر للهزيمه *

والمكان المكين * فوصل امر العسكر * فابلغوا تيمور هذا الخبر *
فامدهم بنحو اربعين الف مقاتل مشهور * مع اربعة امراء كبيرهم يدعى
قبلغ تيمور * فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التون فيها * وكان
قد خرج الناس للغارة على من في ضواحيها * فبينما هو راجع *
اذا بالنقع ساطع * فلما اطلع طالع الخبر * قال اين المفر * فقيل
كلا لا وزر * فعلم انه لا ملجأ من الله الا اليه * فثبت جاشه وحاشيته
وتوكل عليه * وقال ان الرؤس في مثل هذا المقام * انما يكونون تحت
الاعلام * فاحملوا نحو قلب هؤلاء اللئام * فاما ان تبلغوا او تموتوا
على ظهر الخيل وانتم كرام * اذ لا ينجيكم من هذا الكرب * سوى
الطعن الصادق والضرب * قلت * شعر *

* كريما مت والا مت لئيما * فما والله بعد الموت موت *

فتعاضدوا بهمة صادقة * وعزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى
واثقة * وقد احاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكة * وصاروا في وسطهم
كالمغزل في الفلكة * وقصدوا الراية وحامليها * ومن يليها وذويها *
فساعدهم ساعد سعد اللحيان بنصرته * برحل عنهم القبض الداخل

لسُرّاقِ الشّياطين عيونه الرّواجم * هبطَ من تلك القلال * وسرى سُرى طيف الخيال * ودبّ دبيبَ الشّم في اللّحم * والماءِ في العود والنّار في الفحم * من دَرْبٍ لم تتوهمه الظّنون * بعون من لا تراه العيون * بحيث لا يشعر به الحرس * ولا يبصره العسس * ولا يزل يتلو عليهم آيات الاخفاء * وينفث بطلسماته الاستخفاء * ويتقرّب ويترقب * حتى يلوح له في الحي مضرب * فيقتل ويسلب * وينهب ويهرب * فيكرّ سالما * ويفرغ غانما * فلم يزل ذلك دأبهم ودأبه * حتى اعجز تيمور واصحابه * فلم ير تيمور اوفق من الارتحال * لضيق المجال * وعسر المنال * فارتحل عنها بعد ان رتّب عليها للحصار اليزك * واستمر بالحصار مدة طويلة والقضاء يقول لها اصبري فانها لن تعجزك * قيل انها مكثت في الحصار اثنتي عشر سنة * وسبب اخذه لها ان التون المذكور * كان له اخ بالفسق مشهور * فحصل بينه وبين ام السلطان طاهر * خيانة اوجبت عليهما ما يجب على الفاهر * فاطلع على ذلك طاهر بن السلطان احمد * فقبض عليهما وقتلهما سالكا في ذلك الرأي الاحمد * وكان اذ ذاك التون عن القلعة غائبا * قد خرج منها

وقصد الغارة جانبا * فلما رجع التبون اغلقوا باب القلعة عليه *
ورموا باخيه من فوق السور اليه * واخبروه خبره * وعجره وبجره *
فقال جزاكم الله احسن الجزاء * وجعل حظكم من الخيرات اوفر
الاجزاء * لو كنت عالما فعله * او حاضرا قتلته * وعاملته بما هو اهله *
وفعلت به ما يجب فعله * واحل به من الزمان داهيه * ولاريتكم
العبر فيه * ولا شهرته في خلق الله تعالى وبريته * وناديت عليه
هذا جزاء من يخون ولي نعمته * ثم طلب الدخول * فقطعوه عن
الوصول * فقال اما اخي فانه جنى فذاق ثمرة ما جناه * واما انا
فقلبي على الوفاء بعهدكم من الازل الى حين وفاه * ولم ازل موالي
وليكم * ومعادي عدوكم * فان طردتموني فالى اين اذهب *
وان رددتم رغبتي فيكم ففيمن ارغب * فقالوا ربما ادركتك الحميه *
ولحقتك العصبيه * فتذكرت اخاك * وتفكرت شدة تلك بعد رخاك *
فنقمت * وانتقمت * واعوججت بعد ما استقمت * وتكدر منك
ما صفا * وناهيك قصة الاخوين مع ذات الصفا * وقلت

* شعر *

* ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه * ولكنه يبقى به عقدة الربط *
فانشأ لهم ايمانا واثقه * ان كلماته وعهوده صادقه * فقالوا له
لا تطل فما حييت * مالك عندنا مقيل ولا مبيت * فارجع من حيث
جئت * وهذا آخر العهد منك غضبت ام رضيت * فاخذ يدمدم
ذمره * ويأكل يده ندامة وحسرة * على انه انفق عمره * في طاعة
من لم يعرف قدره * ثم دنى فتدلى * وعبس وتولى * وسيب فرسه
وماله * وفرق خيله ورجاله * ولما لم يكن له ملجا * سوى قلعة النجا *
وقد خرجت من يده * والقت النار في كبده * ضرب اخماسا لاسداس *
فيمن يقصده من الناس * ثم اورى برأيه الزند * ان يقصد مدينة
مرند * وكانت تحت حكم تيمور * وفيها امرة تمور * فسالمها * وقصد
حاكمها * لابسا لبدا * وتاركا مالا وولدا * ولما اتصل بحاكمها
الخبر * احاط به الجبن والخور * فاضطرب واقشعر * واضطرم
واعتكر * واخذ الحذر * ورام المفر * فقيل انه وحده * من غير
رجال وعدة * فرجع عقله اليه * ودخل التون عليه * فاخذ في التفتيش
من اموره * ثم قطع رأسه وارسله الى تيموره * فتحرق لذلك

وانثنى * وتأسف عليه وبكى * وأرسل الى قاتله فعزله * ثم صادره
وقتله * ثم ان السلطان طاهرا لما احدث ما احدث * وتنجس
بهذه الخبائث والخبث * لم يمكنه الاقامة فاذن بالرحيل * وأم
بجماعته قبلة التحويل * اذ نشز عنه محل راحته القلعة فعجز
عن احصان تحصينها * وغبن في انتضاض أبكارها وعونها * وقل جيشه
والنقل * فسل متاعه منها وانسل * فنزل تيمور ربعها *
وفتح له من غير معالجة بابها * فولى فيها من يثق به من الاعوان * ووصى
به لعالة المجاورة الشيخ ابراهيم حاكم شروان * ثم ثنى عنان القصاد *
الى صوب بغداد * فهرب السلطان احمد كما ذكر الى الشام في فئة *
وذلك في شوال سنة خمس وتسعين وسبعمائة * فوصل اليها حادي
عشرة يوم السبت * فكبتها ومن حواليها اي كبت *

ذكر اخبار صاحب بغداد * واسماء آبائه
والاجداد * وكيفية دخوله الى هذه البلاد *

وهو السلطان مغيث الدين احمد بن الشيخ اويس بن الشيخ حسن بن
حسين بن اقبغا بن ايلكان * صاحب بغداد واذربيجان * وما اضيف

الى ذلك * من ولايات وممالك * وابدكان جده الاعلى ابن القان
الكبير انكبين * شرف الدين سبط القان ارغون بن ابغى سعيد *
بكان والده الشيخ ويس * من اهل الديانة والكيس * ملكا عادلا *
وانما ما شجاعا فاضلا * مؤيدا منصورا * صابرا مشكورا * قليل الشر *
كثير البر * صورته كسيرته حسنه * وكانت دولته تسعة عشرة سنه *
وكان محبا للفقراء * معتقدا للعلماء والكبراء * وكان قد ابصر في
منامه * لوقت موافاة حمامه * ثم صد رهور قبيلة عن ولاية بغداد
قاصد بن دياربكر وارزنجان فاشتغل لحلول فوته * ورصد نزول
موته * وخلع من الملك يده * وولاه حسينا ولده * وهو اكبر بنيه *
والافضل من اهله وذويه * ونبذ ادانيه ودنياه * واقبل على طاعة
مولاه * واستعطفه الى الرضى * والعفو عما مضى * ولازم صلوته
وصيامه * وزكوته وقيامه * ولازال يصلي ويصوم * حتى ادركه ذلك
الوقت المعلوم * فاظهر سرة المصون * وتلا اذا جاء اجلهم لايستاخرون
ساعة ولا يستقدمون * ندرج على منده الطريقة الحسنه *
وقد جاوز نيفا وثلاثين سنه * ومن مغرب تبريز افل قمره * وفي سنة

ست وسبعين وسبعمائة وصل الى الشام خبره * واستقر ولده جلال الدين
حسين مكانه * وافاض على رعيته فضله واحسانه * وكان كريم
الشمائل * جسيم الفضائل * وافر الشهامه * ظاهر الكرامه * اراد
ان يمشي على سنن والده * ويحيي ما دثر من رسوم آثاره ومعاهده
فخذلته الاقدار * وخالطت صفو مساعيه الاكدار * وفي سنة
ثلث وثمانين وسبعمائة * وصل من قصاده الى الشام فيهم * ومنهم
القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين
سليمان العبايقي الشافعي * قاضي بغداد وتبريز والصاحب شرف
الدين ابن الحاج عز الدين الحسين الواسطي * وزير السلطان
وغيرهما * ثم في جمادى الآخرة من هذه السنة وثب السلطان احمد
على اخيه المشار اليه فقتله * وقام لينصر الملك والدين مكانه فخذله *
فملأ جفن حيوته من الفناء سنه * وعمره اذ ذاك نيف وعشرون
سنة * ولما استولى السلطان احمد على ممالك العراق * مد يد تعديه
وضم جناح الشفقة والارفاق * وشرع يظلم نفسه ورعيته * وينهمك
في الجور والفساد يومه وليلته * ثم بالغ في الفسق والفجور * فتجاهر

بالمعاصي وتظاهر بالشرور * واتخذ سفك الدما * الى سلب الاقراض وثلم الاعراض سلما * فقيل ان اهل بغداذ محجوه * واستغاثوا بتيمور فاغيثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه * فلم يشعروا الا والتتار قد دهمته * وعساكر الجغتاي خيلا ورجلا حطمته * وذلك يوم السبت الحادي عشر من الشهر المشهور فاقتحموا بخيلهم رجلة وقصدوا الاسوار * ولم يمنعهم ذلك البحر التيار * ورماهم اهل البلد بالسهام * وعلم احمد انه لا ينجيه الا الانهزام * فخرج فيمن يثق به قاصدا الشام * فتبعه من الجغتاي طائفة لئام * فجعل يكر عليهم ويرد عنهم * ويفر منهم فيطمعهم * وحصل بينهم قتال شديد * وقتل من الطائفتين عدد عديد * حتى وصل الى الحلة * فعبر من جسرها نهر دجلة * ثم قطع الجسر * ونجا من ورطة الاسر * واستمرت التتار في عقبه تكاد انوفها تدخل في ذنبه * فوصلوا الى الجسر ووجدوه مقطوعا * فترامو في الماء وخرجوا من الجانب الآخر ولم يزالوا تابعا ومتبوعا * ففاتهم ووصل الى مشهد الامام * وبينه وبين بغداد ثلاثة ايام *

ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر * في بلاد ارزنجان وديار بكر *

وعليها ظالمين * وفيها مارذين * بقصد ما بتلك العفاريت المصاليت *
وواصل السير اليها فوصل في خمسة ايام من تكريت * ومسافة ما بينهما
للمجد * اثنى عشر يوما ان لم يتردد * وكان سلطانها الملك الطاهر تحقق انه
لا يضر من التجأ اليه * وقدم في ثوب الطاعة عاية * فما وسعه الا
التشبث بذيل ذمه * والانتظام في سلك خدمه *

ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الطاهر
* من المحنة والبلاء مع ذلك الغادر الماكر *

لكنه خاف غائلته * فجمع حاشيته وحاغيته * وقال اني ذاهب
الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد * فان ردني حسبما اريد فهو
المراد * وان طالبني بالقلعة * فكونوا مع التأبي والمنعة * واياكم ان
تسلموها اليه * او تعتملوا في الكلام عليه * وان دار الامر بين تسليم
القلعة وبين اتلافي * فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافي في تلافي *
فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم * واتيتم بالهلاك على اولكم
وآخركم * وخسرتم شعاركم ودثاركم * وغبنتم انفسكم ودياركم *
واذا كان كذلك فانا اجعل نفسي فداكم * واكفيكم بروحي

الى رسعل ونصيبين والموصل العتيق * ثم أمر عساكره في جمادى
الآخرة ان يمردوا قاصدين * ويقصدوا ماردين * فسابقوا الطير *
ولاحقوا السير * وجاوزوا بالنهار الانهار * وبالليل السيل فقطعوا القفار
القفار * قطع الهندي * وصلوا في تلك الجبال والقلال بما قاله
الكندي * وهو * سموت اليها بعد ما نام اهلها * سمو حباب الماء
حالا على حال * فوصلوا اليها على غفلة * واحتووا عليها من غير مهلة
وذلك يوم الثلثاء ثاني عشره * وقبل سيل الصبح حسام فجره * وطار
غراب الدجى عن وكره * فصاروا سوار معصم تلك الاسوار * واحاطوا
الى مارها تيك الديار * فعموها رجفا * وساموها خسفا * وهدوها
زحفا * وركوها وجفا * وتعلقوا باهداب ارجائها * وتسلقوا بالسلالم
من ارضها الى سمائها * وكان متسلقهم على الاسوار * من القبلة رابية
اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المنشار * فدخلوا المدينة عنوة
وقهرا * وملأوها فسقا وكفرا * وتربع اهل المدينة الى القلعة * ولم يكن
احد سواهم علوا المنزلة والرفعة * والكوهب ملتجئين الى قرار منها
وخزوا فيها * وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها *

فقتلوا من ظفروا به ذكرا وانثى صغيرا وكبيرا * ولم يرتضوا بما فيها
نهبا وبمن فيها اسيرا * فجالت بعض الناس واظهر لهم بعض الجلادة *
وازداد بتثبيته لهم ان يضم اليها دائب الشهادة * ولا زالت آيات
القتال عليهم تتلى * حتى امتلأت المدينة من الجرحى والقتلى *
واستمر ذلك من قبيل طلوع الشمس * الى ان صار اليوم امس * وحين
التقى على وجنتي الكون عارض الليل * واستوفى اولئك المطففون من
ظلمهم وتعديهم الميزان والكيل * وبادر نون الظلام * يونس الشمس
بالالتقام * طرأ على تلك الحركات السكون * فتراجعوا ونزل العسكر
بمقابل يعزبون * وقد قتل من العسكريين ما سبق العدد * واكثرهم
كان من اهل البلد * فباتوا يعبئون السلاح ويثقفونه * وينتظرون
الصباح ويستبطئونه * الى ان شق الليل مكتوم جيبه * واظهر الظلام
مكنون غيبه * وامر الكون وجه الفضا ان يضرب على جنبتي الآفاق
اطراف شيبه * بكروا بكور الغراب * وبادروا الى الحراب والضراب *
وحصروا اهل المدينة وحاصروها اشد حصر * وهاجموها وانشبوا انيابها
من الظهر فمحوا آثارها بعد العصر * ثم باؤوا بالآثام *

18338

وقد انتشر كظلمهم الظلام *

ايضاح ما اخفاه من الحيله * وظهور زيف تلك الافكار الوبيله *

ولما آب ليله بالخيبه * ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبه * شحذ فكره *

واخذ دبر مكرا * وتاب عن المقابحه * وتاب الى المصالحه * فردع ذلك

بالتبييس * في نهار ذلك الخميس * وارسل اليهم يقول * فمن كتلك

ومع المرسول * تعلموا اهل قلعة ماردين * الضعفاء والعجزة المساكين *

انّنا قد عفونا عنهم واعطيناهم الامان على نفوسهم واموالهم فلما سمعوا

ولئلا يعفوا الناس الادعية ومثل هذه الرسالة نقلتها كما وجدتها * فما انثنت

كبده * ولا نجح قصده * لان رجاله كانوا غير راقدين * وشياطين

بحرسها كانوا كفى ما وردين * فغا وتحول تلك الليلة * في بكرة السبت

الى البشيرية * وارسل الى آمان الجنود * مع اميرلاي على سلطان

محمود * فتوجه بجيش طام * وحاصرها خمسة ايام * وارسل

يستمد عليها * فتوجه بنفسه اليها * واذلها الهوان * فطلبوا

الامان * فامن البوابين * ففتح له الباب * فدخل من باب التل * ووضع

السيف في الكل * فابادا الجميع * العاصي منهم والمطيع * واسروا

الصغار * وهتكوا استار الحرم وحرم الاستار * واذاقوا الناس *
لباس الباس * والتجى بعض الناس الى الجامع * فقتلوا منهم نحوا لفى
ساجد وراكع * ثم حرقوا الجامع * ورحلوا وتركوها بلاقع * ثم ذهبوا
اهابهين * الى قلعة ارجيش * ثم بادروا التحريك * وحطوا على قلعة
اونيك * وفيها مصر بن قرا محمد امير التركمان * فحاصروها واخذوها
بالامان * وذلك في سنة ست وتسعين وسبعمائة بعد عيد رمضان *
ثم قتل كل من كان بها من الجند * وصير مصرا الى سمرقند *

* فصل *

ثم استصحب الملك الطاهر بسوء نية * ورحل سابع ذي القعدة سنة
ست وتسعين وسبعمائة وحبسه في مدينة سلطانية * وحبس عنده
من امرائه الامير ركن الدين * وعز الدين السليماني واستنبوغا
وضياء الدين * وضيق عليه بان يقطع عن اهله خبره * بحيث
لا يدري احد عجره وبجره * ولما تحققه شد الوثاق * قصد التوجه
الى دشت قفجاق * فاجرى نحوها ما اقام من الفتنة على قدم وساق *
ومكث الملك الطاهر سنة * لا يدري احد خبره في يقظة ولا سنة * ثم وقفت

المملكة الكبرى الى سلطانيه * وخففت عنه ما به من ضيق وبليه * وفسحت له في مراسلة جماعته * وحرضته على طلب الدخول في رضى تيمور وطاعته * زاعمة انها ناصحة له وطالبة مصلحته * وكان ذلك من مكايد تيمور وباشارته * ثم رجع تيمور من الشتي في شعبان * سنة ثمان وتسعين فمكث بسلطانية ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى همذان * ومكث بها الى ثالث عشر شهر رمضان * ثم استدعى من سلطانية الملك الطاهر * باكرام تام وانشراح صدر وخاطر * ففكوا قيوده وقيود متعلقيه * وعظموه غاية التعظيم مع ذويه * وتوجه اليه يوم الخميس خامس عشره * ودخل عليه يوم السبت سابع عشره * فتلقاه بالاحترام واعتنقه * واذهب عنه دهشه وقلقه * وقبله في وجهه مرارا * واعتذر اليه مما فعله معه جهارا * وقال له انك لله ولي * ورفيع القدر كابي بكر وعلي * وتحلل منه * عما صدر في حقه عنه * واضافه ستة ايام * وخلع عليه خلع الملوك العظام * وانزله محلا جميلا * واعطاه عطاء جزيلا * من ذلك مائة فرس وعشرة بغال * وستون الف دينار كبكية وستة جمال * وخلعا مزركشة مكللة *

وانعامات وافرة مكملة * ولواء ايخفق على رأسه منصورا * وستة

وخمسين منشورا * كل منشور بتولية بلد * وان لا ينازعه فيه احد *

أول ذلك الرها الى آخر ديار بكر * الى حدود اذربيجان وارمينية

وكل ذلك من الدهاء والمكر * وان جميع حكام تلك البلاد يكون

تحت طاعته * معدودين في جملة خدمه وجماعته * يحملون

اليه الخراج والخدم * ولا ينقلون الا عن امره قدما عن قدم *

بحيث يكون شخص كل من مجاوريه بما افاء الله لظله فيا * ويعفى هو

فلا يتحول الى تيمور ولا الى غيره شيأ * وهذا وان كان في الظاهر

كالاكرام * فانه فيما يؤول اليه وبال عليه وانتقام * وفيه كما ترى ما فيه *

والقاء العداوة بينه وبين مجاوريه * وينجر ذلك الى ان يلتجي

اليه * ويعول في كل اموره عليه * ويدخل لكثرة الاعداء تحت ضبنه *

فيصل اذ ذاك منه الى حضنه * ثم انه شرط عليه * انه كلما طلبه جاء

اليه * ثم عانقه وودعه * وامر امراءه بتشييعه فخرج من الضيق

الى السعة * ثالث عشرين شهر رمضان ليلة الجمعه * سنة ثمان

وتسعين وسبعمائة فوصل الى سلطانيه * في عيشية رضية * وحالة

منيه * ثم عزم على تبريز * في جحفل نفيس عزيز * واجتمع بأميران شاه * فزاد في إكرامه وعطاياه * وشيعه في أحسن هيئة وأيمن طور * فجاء على وسطان وبدليس وأرزن الى الصور * ووصل خبره الى قبائله والعشائر * فابتهج الناس ودقت البشائر * فوصل يوم الجمعة حادي عشرين شوال * وخرج أهل المدينة والأكابر للاستقبال * وسبق الناس ولي عهده الملك الصالح * فدخل المدينة بفال سعيد وأمر ناجح * وتوجه الى مدرسة حسام الدين * وزار والده وأمواته الماضين * وعزم على ترك التخت المنيف * والتوجه الى الحجاز الشريف * فلم يتركه الناس خاصة وعامة * وترامَوا عليه وقبلوا أقدامه * فصعد الى محل كرامته * واستقر في كرسي مملكته * وسيأتي لهذا الشأن مزيد بيان * وما جرى من الأمور * عند قدوم تيمور * وحلول عسكره اللئام * ماردين بعد خرابهم ممالك الشام * قيل لما استقر الملك الظاهر في مملكته * اجتمع عنده جماعة من أدباء ندماء حضرته * فاقترح عليهم أن يقولوا في ذلك شيئاً فقال أولا بدر الدين حسن بن طيفور * شعر *

ملوكها ومما لكها * وبيان ضياعها ومسالكها *

ثم إنه رجع من عراقي العرب والعجم * وقد ثبتت له في ممالكها اية قدم *
وذلك بعد ان قدم عليه الشيخ ابراهيم * وسلمه مقاليد ما بيده
من اقاليم * فتقلد طوق عبوديته * ووقف في مواقف خدمته *
وانتظم في سلك عبيده * واجله محل ولده * وسنذكر كيف تغرب
ومن اي طريق تقرب اليه * فقصد دشت قفجاق * وجد في الوخد
والاعناق * وهو ملك فسيح * يحتوي على مهامه فيح * وسلطانها توقتاميش
وهو الذي كان في حرب تيمور اما م السلاطين المخالفين كالجاليش *
اذ هو اول من بالعداوة بارزه * وفي بلاد تركستان واقفه وناجزه *
وانجده في ذلك كما مر للسيد بركه * وبلاد الدشت تبدي على بلاد قفجاق
ودشت بركه * والدشت باللغة الفارسية اسم للبرية * وبركة
المضاف اليه هو اول سلطان * اسلم ونشر بها رايات الملة الاسلاميه *
وانما كانوا عباد اوثان * واهل شرك لا يعرفون الاسلام
والايمان * ومنهم بقية يعبدون الاصنام الى هذا الاوان * فتوجه
الى ذلك الاقليم * من طريق الدربند الجاري تحت حكم الشيخ

ابراهيم * وهو سلطان ممالك شروان * ونسبه متصل بالملك كسرى
انوشروان * وله قاصد يدعى ابا يزيد * يفضل على جميع اركان
دولته بالقرب اليه ويزيد * هو دستور مملكته * وقطب فلك سلطنته *
استشاره في امور تيمور وما يفعله * ايطيعه ام يتحصن منه ام يقر
يقاتله * فقال له الفرار في رأيي اصوب * والتحصن في الجبال الشواهق
اوثق عندي وانسب * فقال ليس هذا برأي مصيب * انجو انا واترك
رعيتي ليوم عصيب * وماذا اجيب يوم القيامة رب البريه * اذا رعيت
امورهم واضعت الرعيه * ولا عزمت ان اقاتله * وبالحرب والضرب
اقابله * ولكنني اتوجه اليه سريعا * واتمثل بين يديه سامعا لامره
مطيعا * فان ردني الى مكانتي وقررني في ولايتي * فهو قصدي وغايتي *
وان آذاني او عزلني * او حبسني او قتلني * فتكفى الرعية مؤنة القتل
والنهب والاسار * فيولي اذ ذاك عليهم وطء البلاد من يختار *
ثم امر بالاقامات فجمعت * واذن للجيوش فتفرقت وتمنعت * وبمدن
الولايات ان تتزين وتتزوق * وبسكانها برا وبحرا ان تأمن فتتعامل
وتتأنق * وبالخطب ان تقرأ فوق المنابر باسمه * وبالدنانير والدراهم

أن تضرب بوسمه ورسمه * ثم حمل التقادم والخدم * وتوجه
اليه باطيب جاش واثبت قدم * ولما وفد عليه * وتمثل بين يديه *
قدم الهدايا والتحف * وانواع الغرائب والطرف * وعادة الجغتاي
في تقديم الخدم ان يقدموا من كل جنس تسعه * لينالوا بذلك عند
المهدى اليه الكرامة والرفعه * فقدم الشيخ ابراهيم من كل جنس
من اصناف ما قدمه تسعه * ومن المماليك ثمانيه * فقال له المتسلمون
لذلك واين تاسع المماليك فقال التاسع نفسي العانيه * فاعجب
تيمور هذا الكلام * ووقع من قلبه بمكان ومقام * وقال له بل انت
ولدي * وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي * وخلع عليه خلعة سنيه * ورده
الى مملكته مستبشرا ببلوغ الامنيه * ثم فرقت تلك الاقامات * وتوزعت
الفواكه والطعامات * ففضل منها امثال الجبال * عن ذلك العسكر
الذي هو كالحصا والرمال * ثم تركه وسار * الى بلاد الشمال والتتار *
وسبب آخر لقصده تلك الممالك * وان كان لا يحتاج الى ذلك * ان الامير
ايدكو كان عند توقتاميش احد رؤس امراء الميسره * والاعيان
المتخذين في النائبات لدفعها وارباب الرأي والمشوره * وقبيلته

قدعي توبكومات * وقبائل الترك كقبائل العرب واللغات كاللغات *
وكان ايدكو قد احس من مخدومه تغير خاطر خاف منه على نفسه *
وكان توقتاميش شديد الباس فخشي منه حلول باسه * فلم يزل منه
متحرزا * وللفرار اذا رأى منه ما يقتضي ذلك مستوفزا * وجعل يراقبه
ويراقبه * ويداريه ويداريه * ففي بعض ليالي السرور * ونجوم
الكاسات في افلاك الطرب تدور * وسلطان الخمرة * قد انتقل في اقليم
العقل امره * طفح توقتاميش الى ان قال لايدكو * ونور البصيرة يخبو
ويدكو * ان لي ولك يوما * يسومك الخسف سوما * ويوليك من موائد
الحيوة صوما * ويملأ عيون بقائك من سنة الفناء نوما * فغالطه
ايدكو بما حطه * وقال اعيذ مولانا الخاقان * ان يتعقل على عبد
ما خان * وان يذري غرسا هو انشاه * او يهوي اساسا هو بناه *
ثم اظهر التذلل والخشوع * والتمسكن والخضوع * وتحقق ما كان
ظنه * واعمل في وجه الخلاص ذهنه * واستعمل في ذلك آلة الذكاء
والفطنه * وعلم انه ان اهمل امره او امهله اناه * فمكث قليلا واشتغل
السلطان * ثم انسلت من بين الحواشي والاعوان * وخرج

في لجاجه * كانه يريد قضاء حاجه * وأتى اصطبل توقتاميش * بجاش
يجيش ولا يطيش * وعمد الى فرس مسرجه * منجية منجبه * أتيمت
معده * لكل شده * وقال لبعض حاشيته * المؤتمن على سره من فاشيته *
من اراد ان يوافيني * فعند تيمور يلاقيني * ولا تفش هذه الاسرار *
الا بعد ان تحقق انى قطعت القفار * ثم تركه وسار * فلم يشعر به
الا وقد سبق * وركب طبقا عن طبق * وقطع على انوال السير اطول
الشقق * فلم يدركوا منه الآثار * ولا لحقوا منه ولا الغبار * فوصل
الى تيمور وقبل يديه * وعرض حكاياته واخباره كما جرت عليه *
وقال انت تطلب البلاد الشاحطه * والاماكن الوعرة الساقطه *
وتركب في ذلك الاخطار * وتقطع قفار القفار * وتتلو اسفار الاسفار *
وهذا المغنم البارد نصب عينيك * تداركه هنيأ مريا بين يديك وليديك *
ففيم التواني والتناعس * وعلام التغافل والتقاعس * فانهض بعزم
صميم * فانا لك به زعيم * فلا قلعة تمنعك * ولا منعة تقلعك *
ولا قاطع يدفعك * ولا دافع يقطعك * ولا مقابل يقابلك * ولا مقاتل
يقاتلك * فما هو الا اوشاب واوباش * واموال تساق وخزائن بأرجلها

موانٍ * ولا زال يحرضه على ذلك ويطالب * ويفتل منه في الذروة
والغارب * كما فعل معه عثمان قرايلوك حين جاء الى تبريز بوسواسه *
وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان برهان الدين احمد
ومحاصرة سيواسه * كما يذكر * فتهيأ تيمور بها وفي حركه * الى استخلاص
دشت بركه * وكانت بلاداً بالتتار خاصه * وبانواع المواشي وقبائل
الترك غاصه * محفوظة الاطراف * معمورة الاكناف * فسيحة
الارجاء * صحيحة الماء والهواء * حشمها رجاله * وجنودها نباله *
افصح الاتراك لهجه * وازكاهم مهجه * واجملهم جبهه * واكملهم
بهجه * نساؤهم شموس * ورجالهم بدور * وملوكهم رؤس *
واغنياؤهم صدور * لا زور فيهم ولا تدليس * ولا مكر بينهم ولا تلبيس *
دابهم الترحال على العجل * مع امانٍ لا يدانيه وجل * مدنها قليله *
ومراحلها طويله * وحد بلاد الدشت من القبلة بحر قلزم الظلوم
الغشوم * وبحر مصر المنقلب اليهم من بلاد الروم * وهذان
البحران * كادا يلتقيان * لولا ان جبل الجركس بينهما برزخ
لا يبغيان * ومن الشرق تخوم ممالك خوارزم واترار وسغناق *

الى غير ذالك من البلاد والآفاق * آخذاً الى تركستان وبلاد الجتا * متوغلاً الى حدود الصين من ممالك المغول والخطا * ومن الشمال مواضع وبرارٍ وقفار ورمال كالجبال * وكم في ذالك من تيه * تحيّز الطير والوحش فيه * وموكرضي اكابر الزمان غاية لا تدرك * ونهاية لا تسلك * ومن الغرب تخوم بلاد الروس والبلغار * وممالك النصارى والاشرار * ويتصل بتلك التخوم * ما هو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك الروم * وكانت القوافل تخرج من خوارزم وتسير بالعجل * وهم آمنون من غير ريب ولا وجل * والى قريم طولاً ومسيرة ذلك نحو من ثلاثة اشهر * واما عرضا فهو بحر من الرمل امدّه سبعة ابحر * لا يهتدي فيه الخرّيت * ولا يقربه من الدعاميص كل عفريت * فكانت القافلة لا تحمل زاداً ولا عليقا * ولا يصحبون معهم رفيقا * وذلك لكثرة الامم * ووفور الامن والمآكل والمشرب من الحشم * فلا ينصدرون الا عن قبيلة * ولا ينزلون الا عند من يكرم نزيله * وكأنه قيل فيهم *

* شعر *

* متكنفي جنبي عكاظ كليهما * يدعو وليدهم بها عرعار *

وأمّا اليوم فليس بتلك الأماكن * من خوارزم الى قريم من تلك الأمم
والحشم متحرّك ولا ساكن * وليس فيها من انيس * إلا اليعافير
وإلا العيس * وتحت الدشت سراي وهي مدينة إسلاميّة البنيان *
بديعة الأركان * وباقي وصفها * وكان السلطان بركة رحمه الله لما أسلم
بناها * واتّخذها دار الملك واصطفاها * وحمل أمم الدشت على الدخول
في حمى الإسلام ورعاها * فلذلك كانت محلّ كلّ خير وبركة * وأضيفت
بعد إضافتها الى تقجاق والى بركة * انشدني لنفسه مولانا وسيدنا
الخواجه عصام الدين * بن المرحوم مولانا وسيدنا الخواجه عبد
الملك وهو من أولاد الشيخ الجليل برهان الدين * المرغيناني رحمه الله
في حاجي ترخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة
اربع عشرة وثمانمائة وفي يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة
انتهت اليه الرياسة في سمرقند قوله وقد قاسى
في درب الدشت انواع النكال *

* شعر *

* قد كنت اسمع انّ الخير يوجد في * صحراء تعزى الى سلطانها بركة *

بَرَكَتُ نَاقَةٌ تَزَحَّا لِي بِجَانِبِهَا * فَمَا رَأَيْتُ بِهَا فِي وَآخِلٍ بَرَكَه *

وَانْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ مُعَرِّضاً بِمَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا حَافِظِ الدِّينِ

مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْكُرْدِيِّ الْبَزَّازِيِّ تَغَمَّدَهُ اللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ

فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الْمَذْكُورَيْنِ *

* شعر *

* مَتَى تَحْفَظُ النَّاسُ فِي بَلْدَةٍ * مَصَالِحَهَا فِي يَدَيْ حَافِظٍ *

* فَحَافِظُهَا مَا رَسُلْطَانُهَا * وَسُلْطَانُهَا لَيْسَ بِالْحَافِظِ *

وَلَمَّا تَشَرَّفَ بَرَكَةُ خَانٍ بِخِلْعَةِ الْإِسْلَامِ وَرَفَعَ فِي أَطْرَافِ الدَّشْتِ لِلدِّينِ الْحَنِيفِيِّ

الْأَعْلَامَ * اسْتَدْعَى الْعُلَمَاءَ مِنَ الْأَطْرَافِ * وَالْمَشَائِخَ مِنَ الْآفَاقِ وَالْأَكْنَافِ *

لِيُوقِفُوا النَّاسَ عَلَى مَعَالِمِ دِينِهِمْ * وَيُبَصِّرُوهُمْ طَرَائِقَ تَوْحِيدِهِمْ وَيَقِينِهِمْ *

وَبَذَلَ فِي ذَلِكَ الرَّغَبَاتِ * وَأَفَاضَ عَلَى الْوَافِدِينَ مِنْهُمْ بِحَارَ الْهِبَاتِ * وَأَقَامَ

حُرْمَةَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ * وَعَظَّمَ شَعَائِرَ اللهِ تَعَالَى وَشَرَائِعَ الْأَنْبِيَاءِ * وَكَانَ عِنْدَهُ

فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ * وَعِنْدَ أُوزْبَيْكَ بَعْدَهُ وَجَانِي بَيْكَ خَانٍ * مَوْلَانَا قُطْبُ

الدِّينِ الْعَلَّامَةُ الرَّازِيُّ * وَالشَّيْخُ سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيُّ * وَالسَّيِّدُ

جَلَالُ الدِّينِ شَارِحُ الْحَاجِبِيَّةِ * وَغَيْرُهُمْ مِنْ فُضَلَاءِ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ *

ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازي * ومولانا احمد الخجندي *
رحمهم الله فصارت سراي بواسطة هولاء السادات * مجمع العلم ومعدن
السعادات * واجتمع فيها من العلماء والفضلاء * والادباء والظرفاء *
ومن كل صاحب فضيلة * وخصلة نبيلة جميلة * في مدة قليلة * ما لم يجتمع
في سواها * ولا في جامع مصر ولا قراها * وبين بنيان سراي وخرابها
ما بينها من الامكنة * ثلاث وستون سنة * وكانت من اعظم المدن
وضعا * واكثرها للخلق جمعا * حكي ان رجلا من اعيانها هرب له رقيق *
سكن في مكان متنحى عن الطريق * وفتح له حانوتا * يتسبب فيه ويحصل
له قوتا * واستمر ذلك الحين * نحوا من عشر سنين * لم يصادفه فيها
مولاه * ولا اجتمع به ولا رآه * وذلك لعظمها * وكثرة اممها * وهي
على شط نهر منشعب من نهر آتل * الذي اجمع السياحون والمورخون
وقطاع المناهل * انه لم يكن في الانهر الجارية * والمياه العذبة النامية *
اكبر منه وهو ياتي من بلاد الروس * وليس له قابلية قموص اغتيال
النفوس * وينصب في بحر القلزم * وكذلك جيحون وسائر انهار العجم *
مع ان بحر القلزم محصور * وعليه بعض ممالك العجم تدور * مثل

كيلان ومازندران * واستراباد وشروان * واسم نهر سراى سنكلا
ولا يقطع ايضا الا بالمراكب * ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب *
وكم فرق تتفرق من ذلك البحر العريض الطويل * وكل فرق اعظم
من الفراة والنيل *

ذكر وصول ذلك الطوفان * وجحفله الى دشت بعد كسرة توقتاميش خان *

فوصل تيمور الى تلك الدائرة * بالعساكر الجرارة * بل بالبحار
الزخارة * ذوي السهام الطيارة * والسيوف البتارة * والرماح
الخطارة * والاسود الهصارة * والنمور الكرارة * من كل شان الغارة *
مدرك في العدو ثاره * حام حقيقته وجاره * وعرينه وجاره *
وفريسته ونجاره * والج من بحر الحرب غماره * مقاوم امواجه وتياره *
فارسل توقتاميش الى زعماء حشمه * وعظماء امه * وسكان احقافه *
وقطان اطرافه * ورؤس اسرته * وضروس ميمنته وميسرته * فاستدعاهم *
والى المقابلة والمقاتلة دعاهم * فاتوا في ثوب طاعته يرفلون *
وهم من كل حدب ينسلون * واجتمعوا شعوبا وقبائل * ما بين فارس
وراجل * وضارب ونابل * ومقبل وقابل * ومقاتل وقاتل * بمرهف

وذابل * وهم قوم نبال النبال * ونضال النضال * لا يطيشون
سهما * وهم من بني ثعل ازمى * اذا عقدوا الاوتار * اصابوا الاوتار *
وان قصدوا الاوطار * وجدوا المقصد حتم الاوطار * ثم نهض للمصادمة *
واستعد للمقاخمة والمقاومة * بعساكر كالرمال كثرة * وكالجبال قرة *

ذكر ما وقع من الخلاف * في عسكر توقتاميش وقت المصاف *

وحين تواقف الصفان * وتناقف الزحفان * برز من عسكر توقتاميش
احد رؤس الميمنة * له دم على احد الامراء فطلبه منه وفي قتله
استأذنه * فقال له لينعم بالك * وليجب سؤالك * قلت * شعر *

* لكن ترى ما قد طرى * على الورى وما جرى *

فامهلنا حتى اذا انفصلنا * وعلى المراد حصلنا * اعطيتك غريمك *
وناولتك خصيمك * فادرك منه ثارك * واقض اوطارك * قال لا ولكن
الساعة * والا فلا سمع لك ولا طاعة * فقال نحن في كرب مهم * وهو من
مراميك اهم * وخطب ملم * وهو من مصائبك اغم * فاصبر ولا تعجل *
واطمئن ولا توجل * فما يذهب لاحد حق * ولا يضيع مستحق *
فلا تلجئ الاعمى الى الجرف * ولا تكن ممن يعبد الله على حرف *

فكأنك بليل الشدة وقد ادبر * وبصباح الفلاح وقد اسفر * فالزم مكانك * ونازل اقرانك * وتقدم ولا تتأخر * واصدع بما تؤمر * فانجر ذلك الامير * بجمع كثير * واتبعه كل باغ وغاو * وقبيلته كلها واسمها اقتاو * فانطلق يروم * ممالك الروم * فوصل هو وحشمه الى ضواحي ادرنه * واستوطن تلك الامكنه * فاختل لذلك عسكر توقتاميش * وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش * ولم يربدا من اللقاء * وصدق الملتقى * فثبت جاشه وجيشه * وهزم وقاره وطيشه * وقدم من اطلابه الابطال * ورتب الخيالة والرجال * وقوى القلب والجناح * وسدد النبل والصفاح *

* فصل *

واما جيش تيمور * فانه مستغن عن هذه الامور * لان امره معلوم * ووصفه مفهوم * وسطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم * ثم تدانى الجيشان واصطدما * واصطليا بنار الحرب واصطلما * والتفت الاقران بالاقران * وامتدت الاعناق للضراب وشرعت النحور للطعان * واكفهرت الوجوه واغبرت * وكشرت ذئاب الضراب

وادرت * وتهارشت نمور الشرور واسبطرت * وتعانشت اسود الجنود
وازبأرت * واكتست بريش النبال الجلود فاقشعرت * وهوت جباه
الجباه ورؤس الرؤس في محراب الحرب للسجود فخرت * وثار الغبار
وقام القتام * وخاض بحار الدماء كل خاص وعام * وصارت نجوم
السهام * في ظلام القتام * لشياطين الاساطين رجوما وراشق *
ولوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقا وصواعق *
ولا زالت سلاهب المنايا تجوب وتجول * وضراغم السرايا تصوب وتصول *
ونقع السنابك الى الجو راقيا * ونجيع السوافك على الدو جاريا * حتى غدت
الارض ستا والسموات كانها ثمانيا * واستمر هذا اللد والخصام *
نحوا من ثلاثة ايام * ثم انجلى الغبار * عن انهزام جيش توقتاميش
وولى الادبار * وفرت عساكره وانذعرت * وانتشرت جنود تيمور في
ممالك الدشت واستبعرت * واستولى على قبائلها * واتى على ضبط اواخرها
واوائلها * واحتوى على الناطق فمازه * وعلى الصامت فحازه * وجمع
الغنائم * وفرق المغانم * واباح النهب والاسر * واذاع القهر والقسر *
واطفأ فتائلهم * واكفأ مقاولهم * وغير الاوضاع * وحمل ما استطاع *

مِن الأموالِ والأسرى والمتاع * ووصلت طرا شته الى آزاق *
وقدم سراي وسرائجوق وحاجي ترخان وتلك الآفاق *
وعظمت منزلة ايدكو عنده * ثم انفتل قاصدا سمرقند *
وقد صحب ايدكو معه * ورام منه أن يتبعه *

ذكر ايدكو وماصنعه * وكيف خلب تيمور وخدعه *

فارسل ايدكو قاصدا الى أقاربه وجيرانه * وقبائل الميسرة كلهم
من اصحابه واخدانه * من غير ان يكون لتيمور * بذلك شعور *
ان يرحلوا عن مكانهم * ويتشمروا عن اوطانهم * وان يتخذوا جهة عينها
وماكن بينها * صعبة المسالك * كثيرة المهالك * وان امكنهم ان لايقيموا
في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك * فانه ان ظفر بهم تيمور بددشملهم *
وابادهم كلهم * فامتثلوا ما رسم به ايدكو * وارتحلوا ولم يلوزوا *
ولما علم ايدكو ان جماعته نوزوا * وحشمه لتيمور اعجزوا * قال له
يا مولانا الامير * ان لي من الاقارب والحشم الجم الغفير * وانهم غضبي
وجناحي * وبصلاحهم معا يشهم صلاحي * ولا آمن عليهم ان يلقوا
بعدي * من توقتاميش الجور والتعدي * بل لا اشك انه يفنيهم *

ويبيدهم عن بكرة ابيهم * وحيث يمتنع عليه بجاه جنابك جانبي *
ينتقم لسوء طويته من حشمي واقاربي * لان سد اهل هذه البلاد حرانا
الحمية * وفي مضائق البلاء رمانا زق الانكسار انا افحمته * وعلى كل حال
فلا يطيب على قلبي ان يساكنوه * وكيف يهنا لي العيش واصل قاتلي
مجاوروه * فان اقتضت الآراء المنيرة * ارسال قاصد الى تلك
الاماكن والقبائل الكثيرة * صحبة مرسوم شريف * وامر عال منيف *
باستمالة خواطرهم * وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم * والامر بترحالهم *
وترفيه حالهم * فنكون جميعا تحت الظل الشريف * في روض عيش
وريق وريف * ونتخلص من هذا الدشت * الخالي الموحش *
ونقتضي مامضى من الاعمار * ونقضي الباقي في جنات تجري من تحتها
الانهار * فالراي الشريف اعلى * واتباع مايامر به بالماليك اولى *
فقال له تيمور انت عذيقها المرجب وجذيلها المحكك * ومع وجودك انت
من يسلك هذا المسلك * فقال كل الانام عبيدك * وتابع مرادك
ومريدك * ومن تراه لشيء اهلا * كان كل حزن عليه سهلا * فقال بل
انت اولى بهذا الامر فكن ضمينه * اذ لا يغني وما لك في المدينة *

فقال أضف الي واحدا من الأمراء * ليكون لي عليهم وزيرا * مع مراسيم
شريفة * بما تقتضيه الآراء المنيفة * فأجابه وقضى مراده * وأضاف اليه
من أراده * ليقضيا مآربهما وينجزاه * ونحو مطلبهما تجهزا * ولما فصل ايدكو
عن تيمور * استدرك فارطه * وعلم أن ايدكو خلبه عقله وغالطه *
فانفذ اليه قاصدا * أن يكون اليه عائدا * لأمر قد سنح * ورأي
قد جنح * فلما قدم القاصد عليه * وبلغ ما أرسل به اليه * قال له
وللأمير الذي معه * وقد نهى كلا منهما أن يتبعه * ليقضيا مآربكما *
والتقاصا حبكما * وقبلا يديه وأبلغاه * ان أمد اجتماعنا قد انتهى *
واني بريء منه اني أخاف الله * ولم يمكنهما مخاشنته * ولا وسعهما في تلك
المضايقة الشديدة الا ملاينته * فودعاه وانصرفا * وانحرفا وما وقفا *
ولما بلغ تيمور ذلك تضرر وتضرم * وتبرح وتبرم * وحرق عليه الأرم
وتندم * ولات حين مندم * وكاد يقتل نفسه حنقا عليه * وتجرع
كاسات * ويوم يعض الظالم على يديه * ولم يمكنه التقيد به فلم
يتحرك له بحركة * وتوجه الى ممالكه ثم الى سمرقند وتركه * فكان
هذا آخر أموره من دشت بركه * قيل انه لم يخدع تيمور ريب فيه *

ويخليه قولا وفعلا ويطغيه * سوى ايدكو المار ذكره * اقول وسوى
قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي
الآتي حكايته وامره *

تتمة ما جرى في نواحي الشمال * بين توقتاميش وايدكو
من الجدال والقتال * الى ان تغير امر كل منهما وحال *

ولما انفصل تيمور بما حصل * واستقر في مملكته بعد ما وصل * اتصل
ايدكو بحاشيته * وابتهج بعصا غيبته وغاشيته * فاخذ في التفتيش *
عن امور توقتاميش * وتحفظ منه وتحرز * ولما واته انتصب وتجهز *
اذ لم يمكنه رتق ما فتقه * ولا رقع ما خرقه * وايضا ما امنه الاستقلال
بادعاء السلطنة * اذ لو امكن ذلك * لادعاه تيمور الذي ملك
الممالك * فنصب من جهته سلطانا * وشيد في دار الملك خانا * ودعا
رؤس الميسرة ووجوه قبائلها اليه * فلبوا دعوته واقبلوا عليه * اذ كانوا
اقوى من غيرهم * آمنين من ضرر الجغتاي وضيرهم * فقوى بنيان
سلطانه * وعمر بقفول الجنود خانه * وثبت في دار الملك اساسه
وعلت اركانه * واما توقتاميش فبعد ان تراجع وهله * واستقر

في دماغه عقله * ورحل على وره * وحصل هلوره * جمع عساكره *
واستنجد قومه وناصره * فلا زالت ضروب الضراب لحراب الحروب
بينه وبين ايلكو قائمه * وعيون الشكوك لجفون الزمان المتعامي
عن صلحهما نائمه * الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مرة * يدال هذا
على ذاك تارة وذاك على هذا اكرة * فاخذ امر قبائل الك شت
في التناقص والشتات * وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا في الانبثاث
والانبتات * لاسيما وقد تناوشها اسدان * واظل عليها نكدان *
ثم قد كان جلهم ذهب مع تيمور * وامسى وهو في امره محصور * وفي
حصره مأسور * فانقلبت منهم طائفة لا تحصى ولا تحصر * ولا يمكن
ضبطها بديوان ولا دفتر * وانحازت الى الروم والروس * وذلك
لحظهم المشوم وجدهم المعكوس * فصاروا بين مشركين نصارى *
ومسلمين اسارى * كما فعله جبلة بنبي غسان * واسم هذه الطائفة
قرابوغدان * فبواسطة هذه الاسباب * آل عامر الك شت الى الخلا والخراب *
والتفرق والتباب * والانقلاب والانقلاب * وصارت بحيث لو سلكها احد *
من غير دليل ورصد * فانه يهلك على الحقيقة * لاضاعته في المجاز طريقه *

أما صيفا فلأن الرياح للرمال تسفي * فتخفي الطريق على المارة وتعفي *
وأما شتاء فلأن الثلج النازل فيها * يتراكم عليها فيغطيها * إذ كل أرضها
مجاهل * ومنازلها منه أهل * ومراحلها مهامه ومناهل * فتعالى
كل نقب بير * سلوكها مهلك عسير * فكانت الوقعة الخامس عشرة
على ايدكو فتشتت وتشرد * وتبدد روزتبدد * وغرق هو ونحو من خمس
مائة رجل من أخصائه في بحر الرمل فلم يشعر به أحد * واستبد توقتاميش
بالمملكة * وصفا له دشت بركة * وكان مع هذا متشوفا لأخبار ايدكو
وأحواله * متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه في زماله * ومر على ذلك
نحو من نصف سنة * وانقطع أثره عن الأعين وخبره عن الألسنة *
وايدكو كان دعيميص تلك الأعقاص والأحقاف * وممن قطع بسير
أقدامه أديم تلك النعال والأخفاف * فصار يتربص ويتبصر * ويتفكر
معنى ما قاله ويتدبر * وهو * شعر *

* ارقب الأمر وانتظر فرجا * وانتهز وقتها إذا ما جا *
* وامزج الصبر بالتجلي فيه * وارق التوفيق ضارعا راجيا *

* فلما تيقن أن توقتاميش آيسه * وتحقق أن ليث المنايا افترسه *

شرع يتجسس اخباره * ويتتبع * ويستشرف آثاره * ويتطلع * الى ان تحقق من الخبر * انه في متنزه منفرد من العسكر * فامتطى جناح الخيل * وارتدى جنوح الليل * ووصل السير بالسرى * واستبدل السهر بالكرى * بارزا الى الهضاب * فروع الحباب * مقرعا من الربى * اقراع الذنابى * حتى وصل اليه * تيمور وهو لا يعلم * وانقض عليه * كالقضاء المبرم * فلم يفق الا والبلايا احتوشته * واسود المنايا انتوشته * وتناوبته الرماح وافاعي السهام نهشته * فحاولهم قليلا * وجاولهم طويلا * ثم انجدل قتيلا * وكانت هذه المرة من الواقعات السادسة عشر خاتمة التلاق * وحاكمة الفراق * فاستقر امر الدشت على متولى ايدكو * وصار القاصي والداني والكبير والصغير الى مراسيمه يصغو * وتفرقت اولاد توقتاميش في الآفاق * جلال الدين وكريم بردي في الروس وكوبال وباقي اخوته في سغناق * واستمر امر الناس على مراسيم ايدكو يولي السلطنة من شاء * ويعزله منها اذا شاء * ويأمر فلا يخالفه احد * ويحد فلا يجاوز ذلك الحد * فممن ولاه قوتلبغ تيمور خان واخوه شادي بيك خان * ثم فولادخان بن قوتلبغ تيمور

ثم اخوه تيمور خان * وفي ايامه تخبطت الامور * فلم يسلم الا يدكو
زمامه * وقال لا عزله ولا كرامه * انا الكبش المطاع فانى اكون
مطيعا * والثور المتبوع فكيف اصير تبيعا * فالتحم بينهما الشقاق *
ونجم من ذوي الضغينة مخبوا النفاق * وجرت شرور ومحن * وحروب
واحن * وبينا ظلمات الفتن احتبكت * ونجوم الشرور في دياجي الدشت
بين الفريقين اشتبكت * اذ ابدر رايات ولقا الجلاليه * من مشارق
السلالة التوقتاميشيه * بزغ مهللا * وفرع من بلاد الروس مقبلا *
وكانت هذه القضيه في شهور سنة اربع عشرة وثمانمائه * فتعاظمت
الامور * وتفاقمت الشرور * وضعف حال ايدكو وقتله تيمور *
واستمر النفاق والشقاق * بين ملوك ممالك قفجاق * الى ان مات
ايدكو غريقا جريحا * واخرجوه من نهر سيحون بسرابجوق والقوه
طريحا * رحمه الله تعالى * وله حكايات عجيبه * واخبار ونوادر
غريبه * وهمام ذو واقه في اعدائه مصيبه * وافكار ومكائد * ووقعات
مصائد * وله في اصول فقه السياسة نقود وردود * البحث فيها
يخرج عن محصول المقصود * وكان اسمر شديد السمرة ربعه * مستمسك.

البدن شجاعاً مهاباً ذا رفعة * جواداً حسن الابتسامة * ذا رأي مصيب وشهامة * محباً للعلماء والفضلاء * مقرباً للصلحاء والفقراء * يدنيهم بألطف عبارة * وأظرف اشارة * وكان صواماً * وبالليل قواماً * متعلقاً بأذيال الشريعة * قد جعل الكتاب والسنة وأقوال العلماء بينه وبين الله تعالى ذريعة * له نحو من عشرين ولداً كل منهم ملك مطاع * وله ولايات على حدة وجنود وأتباع * وكان في جماعات اللك شي اماماً * نحواً من عشرين عاماً * وأيامه في جبين الدهر غرة * ولياليه في دولته على وجه العصر طرة *

رجعنا الى ما كنا فيه * من أمور تيمور رود واهية *

ولما وصل تيمور الى اذربيجان * وانبث عسكره في ممالك سلطانية وهمذان * واستدعى الملك الطاهر سلطان ماردين وأطلقه * وانعم عليه كما ذكروا ستوثقه * وولاه ما بين الشام والعراق * وأحكم تلك الممالك بما وسعه من المكر والنفاق * ولم يمكنه الاقامة بملك العجم * لما معه من اللك شي من أمم * وجه عنان قصده * الى ممالك سمرقند * فنفض فيها وطابه * وفرغ عما كان ملأ به من اللك شي جرابه *

ثم خرج من غير توان * وقطع جيحون بالطوفان * ووصل الى
خراسان * وواصل السير الى اذربيجان * وتوجه اليه ظهرتن حاكم
اذربيجان * متلقيا طوق مراسمه بجيد الاطاعة والاذعان *
واهمل امر ماردين وتناساها * ولم يتعرض الى ما يتعلق بها
من مدنها وقراها *

ابتداء ثوران ذلك القتام * فيما يتعلق بممالك الشام *

ثم انه قصد الرها * ورام نهبها * فخرج اليه شخص من اعيانها *
ورؤساء قطانها * يقال له الحاج عثمان بن الشكشك فصالحه
واشتراها * بجمل من الاموال وحملها اليه واداها * فعند ذلك ارسل
الى القاضي برهان الدين ابي العباس * احمد الحاكم بقيصرية وتوقات
وسيواس * من الرسل عدة * ومن الكتب شدة * يبرق فيها ويرعد *
ويرغي في بحرها ويزبد * ويقيم بغيها ويقعد * ومن جملة فحواه *
ومضمون ذلك وما حواه * ان يخطبوا باسم محمود خان * اوسيورغاتمش
خان وباسمه * ويضربوا السكة على طرز ذلك ورسمه * كما هو دابه *
ويتحمله رسوله وكتابه * فلم يؤمن له السلطان برسول ولا بكتاب *

ولا تقبل له بجواب عن خطاب * بل قطع رؤس الرؤس من قصاده *
وعلقها في اعناق الباقين واشهرهم في بلاده * ثم جعلهم شطرين *
وقسمهم نصفين * وارسلهم الى جهتين للسلطان الملك الظاهر ابي
سعيد برقوق منهم جزؤ مقسوم * والجزء الآخر الى السلطان ابي يزيد بن
مراد بن اورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم * واخبرهما
بالقضية * عن جليه * وما ورد عليه من خطاب تيمور الممقوت *
وانه جعل في ذلك جوابه السكوت * وقتل قاصديه نكاية * ولم يزده
على هذه الحكاية * وانما فعل ذلك برسله وقصاده * استهوانا به واستعظاما
لما فعله بعباد الله تعالى وبلاده * ثم قال القاضي اعلموا اني جاركما *
وداري ديار كما * وانا ذرة من غباركما * وقطرة من بحاركما *
وما فعلت معه هذا مع ضعف حالي * وقلة مالي ورجالي * وضيق دائرتي
وبلادي * ورقة حاشية طريفي وتلادي * الا اعتمادا على مظاهرتكما *
واتكالا على مناصرتكما * واقامة لاعلام حرمة دولتكما * ونشرا لرايات
هيبة صولتكما * فاني جنة ثغركما * ووقاية نحركما * وشاوش جنودكما *
وجاليش بنودكما * وربيئة طلائعكما * وطليعة وقائعكما * والا فمن

أنى لي مقاومته * وأنى تيسر لي مصادمته * وقد سمعتم أحواله *
وعرفتم مشاهد ته وافعاله * فكم من جيش كسر * وقبيل أسر * وملك
ملك * ومليك أهلك * وستر هتك * ونفس سفك * وحصن فتح *
وفتح منح * ومال نهب * وعز سلب * وصعب أذل * وخطب أحل *
وعقل أزل * وفهم أخل * وجيل هزم * ورأس هدم * ورسول قطع *
ووصل منع * وطود قلع * وطفل فجع * ورأس شدخ * وظهر فضخ *
وعقل فسخ * ونار شب * وريح أهب * وماء أغار * ورهج أثار *
وقلب شوى * وكبد كوى * وجيد قصم * وطرف أعمى وسمع أصم *
وأنى لي بملاطمة سيل العرم * ومصادمة الفيل المغتلم * فإن أنجد تماديه
وجد تمادي * وإن خذلتماني بك لتمادى * ويكفيكما هيبة وشهرة *
ونباهة كما أبهة ونصرة * أن من خذلكما قد أمكما * من كفاكما
ما دهاكما * وإن أصابني والعياذ بالله منه ضرر * أو تطاير إلي من مكتني
من جمرات شرره شرر * ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث *
إلى مفعول به وثان وثالث * قلت * شعر *
* والشر كالنار يبدو وهين تقدحه * شرارة فإذا أبادرته خمدا *

* وإن توانيت من إطفائه كسلاً * أورى فتائل تشوى القلب والكبدا *
* فلو تجمع أهل الأرض كلهم * لما قدروا في إطفائها أبدا *
وإنما أهملت خطابه * وأمهلت جوابه * لتترسما فتقفي * وتأمرا
فانتفي * وتؤسسا فأبني عليه * وتجاوبا فيصل ذلك كله لك مني إليه *

ذكر ما أجاب به السلطان * أبو يزيد بن عثمان * للقاضي
برهان الدين ابى العباس * سلطان ممالك سيواس *

فأما السلطان ابو يزيد بن عثمان فإن هذا الفعل أعجبه * ونغم هذا
القول أطربه * واستحسن هذا الحكم من القاضي واستصوبه * وأرسل
إليه يقول إن ارتدع تيمور عنه وانتهى * وإلا فلنأتينه بجنود
لا قبل له بها * فليقابلنه بعين قريرة * وليثبت له بحسن البصيرة *
وإخلاص السريرة * ولا يجزع من جنوده الغزيرة * فكم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة * وإن اقتضت آراؤه السديدة * وأحكامه
السعيدة * توجه بنفسه إليه * وقدم بالغزاة والمجاهدين عليه *
ليرفع أعلامه * وينفذ أحكامه * ويكون لسيفه يدا * ولجناحه
عضدا * ثم أرسل كتابه * وانتظروا جوابه * وأما الملك الظاهر

فما رأيت له كتابا * ولا حققت منه له جوابا * والظاهر ان
جواب الملك الظاهر ابي سعيد * كان شقيق جواب السلطان الغازي
ابي يزيد * إذ افعالهما واقوالهما فى الباطن والظاهر * كانت من باب
توارد الخاطر * ثم انني رأيت كتابا * يتضمن خطابا وجوابا * وذكر
ان الخطاب من ذلك الغادر * والجواب من الملك الظاهر * وكلاهما
سوى آى الكتاب غير زاه ولا زاهر * اما صورة الخطاب * فهو قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون * اعلموا انا جند الله مخلوقون من سخطه *
مسلطون على من يحل عليه غضبه * لا نرق لشاكى * ولا نرحم عبرة
باكى * قد نزع الله الرحمة من قلوبنا * فالويل كل الويل لمن لم يمتثل
امورنا * فانا قد خربنا البلاد * واهلكنا العباد * واظهرنا فى الارض
الفساد * قلوبنا كالجبال * وعددنا كالرمال * خيولنا سوابق *
ورماحنا خوارق * ملكنا لا يرام * وجارنا لا يضام * فان انتم قبلتم
شرطنا * واصلحتم امرنا * كان لكم ما لنا * وعليكم ما علينا * وان انتم
خالفتم وابيتم * وعلى بغيكم تماديتم * فلا تلومن الا انفسكم *

فالحصون منا لا تمنع * والعسا كر لدينا لا ترد ولا تدفع * ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع * لانكم اكلتم الحرام وضيعتم الجمع * فابشروا بالذلة والجزع * فاليوم تجزون عذاب الهون وقد زعمتم اننا كفرة * فقد ثبت عندنا انكم فجرة * قد سلطنا عليكم من بيده امور مقدرة * واحكام مدبرة * كثيركم عندنا قليل * وعزيزكم عندنا ذليل * قد ملكنا الارض شرقا وغربا * واخذنا منها كل سفينة غصبا * وارسلنا اليكم هذا الكتاب * فاسرعوا في رد الجواب * قبل ان ينكشف الغطاء * ولم يبق لكم باقية فينادي عليكم منادي الفناء * هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا * وقد انصفناكم اذ راسلناكم * ونثرنا جواهر هذا الكلام عليكم * والسلام * وهذه صورة الجواب وقيل هو انشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله وما اظن لذلك صحة * وهو بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء * وتنزع الملك ممن تشاء * وتعز من تشاء وتذل من تشاء * بيدك الخير انك على كل شيء قدير * حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الايلخانية * والسدة العظيمة الكبيرة السلطانية * قولكم انا مخلوقون

من سخطه * مسلطون على من نزل عليه غضبه * لا نرق لشاك * ولا نرحم
عبرة باك * قد نزع الله الرحمة من قلوبكم * فهذا من اكبر عيوبكم *
وهذا من اقبح ما وصفتم به انفسكم * ويكفيكم بهذه الشهادة واعظا
اذا اتعظتم قل يا ايها الكافرون * لا اعبد ما تعبدون * ففي كل كتاب
ذكرتم * وبكل قبيح وصفتم * وزعمتم انكم كافرون * الا لعنة الله
على الكافرين * من تشبه بالاصول لا يبالي بالفروع نحن المؤمنون
حقا لا يصل نا عيب * ولا يداخلنا ريب * القرآن علينا نزل * وهو
ربهم بنا لم نزل * رزقنا عمنا ببركة تأويله * وقد خصنا بفضل تحريمه وتحليله *
انما النار لكم خلقت * ولجلودكم اضرمت * اذا السماء انفطرت *
ومن العجب العجاب * تهديد الليوث بالليوث والسباع بالضباع *
والكماة بالكراع * نحن خيولنا عربية * وهممنا علية * ولنا قناة شديدة
المضارب * ذكرها في المشارق والمغارب * ان قتلناكم فنعم البضاعة *
وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة * ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون * وقولكم قلوبنا كالجبال *
وعددنا كالرمال * فالجزار لا يبالي بكثرة الغنم * وكثير من الحطب

يكفيه فأين من الضرغم * فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله
والله مع الصابرين * الفرار لا من الرزايا * نحن من المنية * في غاية
الأمنية * إن عشنا عشنا سعداء * وإن متنا متنا شهداء * الا إن حزب
الله هم الغالبون * أبعد أمير المؤمنين * وخليفة رب العالمين *
تطلبون منا طاعه * لا سمع لكم ولا طاعه * وطلبتم إن نوضح لكم أمرنا
فهذا الكلام في نظمه تركيك * وفي سلكه تفكيك * لو أشف لبان * قبل
التبيان * أكفر بعد إيمان * أم اتخذ تم ربا ثان * لقد جئتم شيئا إدا *
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * قل لكاتبك
الذي رصع رسالته * ووصف مقالته * حصل الوقوف على كتاب *
كصرير باب * أو طنين ذباب * سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب
مدا * وما لكم عندنا إلا السيف بقوة الله تعالى * ثم إني وجدت
في نسخة مجاميع الشهور تتقادم مدادها * لا يبقى كر العصور على وجه
الزمان من شيبها سوادها * صورة من الكتاب * زهيئة من الخطاب *
من إنشاء نصير الدين الطوسي على لسان هلاكو التتري مرسلا ذلك
الى سلطان مصر *

وصورة الجواب بعينه انشاء من كان في ذلك العصر *

* فصل *

ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق * وزنق
جناحي الغضب وفار دم قلبه ورنق * وغص غضباً فكاد من الغيظ
ان يختنق * ولكن علم ان في الزوايا خبايا * وللاسلام جنوداً وسرايا *
وفي عرين الدين من ليوث المسلمين بقايا * وان امامه اسوداً هواصر *
وجوارح كواسر * فتصبر للزمان ورجع
القهقرى وتربص بهم الدوائر *

ذكر توجه العساكر الشامية * الى دفع تلك الداهية *

بلغ ان ملك الامراء بالشام منوتمر * خرج بالعساكر الى ارزنجان ورجع
وهو مغتنم * ولم يروا في ذلك ضيراً * ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيراً * وعاد من جيش الاسلام كل اسد منصور * وقد اصطاد
من كواكب ما ضاهى صورته وجاءه نور على نور *

ذكر رجوع ذلك الكنود * وقصده استخلاص بلاد الهنود *

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروز شاه * انتقل من زحمة الدنيا

الى رحمة الله * ولم يكن له ولد يكون له خليفه * فسعى تيمور * لأن يتولى بحكم الوفاة والشعور * تلك الوظيفة * ولما فاض صاحب الهند صارت الناس فوضى * ومرج بحرا من الهند وماج فجعل كل يخوض خوضا * فعز بعض الناس وبعضهم ذلوا * ثم اتفقوا على تولية وزير اسمه ملو * فراب من امر الناس ما انصدع * ورفع من استحق الرفع وخفض من بغير استحقاق ارتفع * فعصى عليه اخو شارنك خان * متولي مدينة ملتان * ووقع بينهم التخالف * وافترق ملأ الهنود فرقا وطوائف * فكان اختلافهم لتيمور احسن مساعد

واقوى عضد وساعد * قلت * شعر *

وتشتت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب *

وحين وصل تيمور الى ملتان * عصى عليه شارنك خان * فاقام يحاصرها * وقعد يضاجرها * وكانت عساكرها جمة * ولياليها كتائبها السود مدلهمة * حتى قيل ان من جملة عسكرها الثقيل * كان ثمانمائة فيل * مع ان كل امير من اطراف الهند * ورئيس من اكناف السند * كان قد لفلف اذياله * ولملم رجاله ورجاله * وضبط لحوائجه اثقاله *

وربطوا حوائجه افياله * واستمر ذلك اللدد والخصام * نحوا من ثلثة

... اعوام * الى ان استخلصها * ومن يده خلصها * ...

... * فصل * ...

ولما استولى ملو واستقر امر الهند عليه * وبلغه توجه تيمور اليه * جد

واجتهد * واعد العدد والعدد * واستمد الامداد والمدد * وانفق

مالا لبدا * وحسب ان لن يقدر عليه احد * وفرق الاموال * وجمع

الخيل والرجال * واحضر ما في مملكته من الافيال * ثم حصن مدائنه *

ومكن كائنه * وشد على الافيال للمقابلة ابراجا * واحكم في تدريبها

الى ما صلة طريقة فقه فيها ذهب ومنها جاء * وجد تيمور في السير *

حتى كاد يسبق الطير * اذ لم يكن له في ذلك الارب من يجيبه * ولا

في عساكر سلطان الهند من يقربه * فلما بلغ الهنود بالجنود * برزت

اليه بالجنود الهنود * وقدموا الفيول * لتنفير الخيول * وقد بنوا

على كل فيل من الاتراس برجا * وعبوا في كل برج من المقاتلين من يخشى

في المضائق ويرجى * بعد ما جعلوها من اكبر بركستوانات في حصار *

وعلقوا عليها من القلاقل والاجراس الهائلة ما يدعوا العفاريت

إلى الفرار * وشذا في خراطيمها سيوفا يصلح ان يقال إنها سيوف الهند * تدعو الحروس شعلة لهيبها فتخرلها ساجدة فيحق ان يقال لها نار السند * وهذا خارج عما لتلك الافيلة من الانياب * التي هي في الحروب كالحراب * اذ هي في اداء ما وجب عليها بنصاب كامل * وسهامها التي هي مصيبة في نحور من يقابلها تقصم كلي نابل وذابل * فكانت تلك الافيال * في وصف القتال * كأنها جبل باسودها ماشيه * او صياصي لجنودها جاريه * واطواد بنمورها عاديه * او بحار بافواج امواجها رائحة جائيه * او ظلل من الغمام بصواعقها هاميه * اوليالي الفراق بنوائبها السود ساريه * وخلفها من الهنود * فوارس الحرب * وابطال الطعن والضرب * سود الاسود * وطلس الذئاب ونمش الفهود * بالذابل الخطي * والصارم الهندي * والنبل الخلنجي * مع قلب ذكي وجنان جري * وعزم قوي وصبر رضي *

ذكر ما فعله ذلك المحتال * من الخديعة في اجفال الافيال *

وحين اطلع تيمور على هذه الحال * وتحقق ان شقة عساكر الهند نسجت

على هذا المنوال * اعمل المكيدة * في قلع فئة المصيدة * ومزق لهم بمزقة
قد رطنتها اخفر من العصيدة * فهل أ أولا في الاختيال * بل نوع مكيدة
الافيال * فاستعمل الفكر الجليل * في اصطناع شوكات من حديد *
مثلثة الاطراف * متتابعة الاوصاف * كأنها في شكلها الخبيث *
طرق القائلين بالتثليث * او وضع اصحاب الاوفاق * أعد ادهم
المنسوبة الى الوفاق * فصنعوا له من ذلك الالوف * ثم عمد الى مجال
الفيول في الصفوف * فنشر ذلك لها ليلا * وجلب لاهلها حربا وويلا *
ورقم لذلك خطا * ورسم ان يفعل ذلك الحد لا يعداه * ثم ركب اطلابه
وابطاله * ورتب اسوده واشباله * وهذب خيله وشذب رجاله *
وارصد شمالا ويمينا * من عسكره للعدو كمينا * وحين بث سلطان
السيارة في جوانب الآفاق خيله * وضم جيش الظلام رجالة انجمه
وشمر للهزيمة ذيله * مشى عسكره الى ذلك الحد رويدا حتى وصل اليه *
ولما تراءى الجمعان نكص على عقبيه * ثم نكب بالخيول * على طريق
الفيول * فتصوروا ان خيوله اجفلت * وشمس نصرته انكسفت *
وكواكب جيشه افلت * فاقلعوا قلاع الفيول * فانهزمت انهزام

السيول * وساقوا خلف عساكره سوقا * على ذلك الشوك الملقى * واتبع

الفيالة * من الجنود الرجالة والخيالة * فلما واصلت سيول الفيول

من مطارح الشوك الى المقاوم * واخذ ذلك الشوك في تقبيل ايدبها

وارجلها وتشبث بتلك المناسم * واخست قوائمها بشوكها * رجعت

القهقرى بل ولت الادبار لعدم عقلها * فنهنهوها ونهوها عن التولي

فلم يفد ها النهي والنهنهة * وصارت في التقدم الى جهة العدو

كفيل ابرهة * ثم لم يسعها لما اضرها الشوك في تلك الحرار * الا التولي

من الزحف والفرار * فحطمت الفيول * الرجال والخيول * وصارت

القتلى كالجبال والدماء في اوديتها سيول * وخرج عليهم الكمين *

من ذات الشمال وذات اليمين * فابادوا سائرهم * والحقوا

باولهم آخرهم * وقيل ان بلاد الهند ليس فيها اباعر * وان منظرها ينفر

الفيل فيصير ابعد نافر * فامر تيمور ان يهيأ خمس مائة بعير جفول * وتعبأ

رواحلها والحمول * قصبا حشوا بفتائل وقطن بالدهن مبلول *

وان تساق امام الركبان * الى ان يتراءى الجمعان * فاما تصافوا ولم

يبق الا القتال * امران تطلق النيران في تلك الحشايا والاحمال *

وتساق الى جهة مواجهة الافيال * فلما احس البعران * بحرارة
النيران * رغت ورقصت * ونحو الفيول شخصت * وصارت كما قيل

* شعر *

* كأنك من جمال بني اقيش * يقعقع بين رجليها بشن *

فلما رأت الفيلة النيران * وسمعت رغاء البعران * ونظرت الى
الابل كيف خلقت * وشاهدتها وقد فنت ورقصت * وباخفافها
صفقت * الوت على عقبها ناكصه * لسائقيها واهصه * ولراكبيها واقصه *
فحطمت الخياله * وهشمت الرجاله * وتلا الكافرون آية النصر
على اصحاب الفيل * وارسلوا عليهم من السهام طيرا ابابيل * فلم ينتفعوا
بالافيال * بل افنت الافيال غالب الخيل والرجال * ثم تراجعت
عساكر الهنود * وابطال الخيالة من الجنود * واتبوا الكتائب وبندوا
البنود * ثم ترامّوا وتصافّوا * وتصامّوا وتحافّوا * وهم ما بين مجوسي
ومسلم * ومبارز منتسب ومناد بالشعار معلم * وكل في سواد اللون من الحديد
كقطع الليل المظلم * ثم تدانوا مع التتار وتزاحفوا * وبعد المراشقة
بالسهام بالرماح تناقفوا * ثم بالسيوف تضاربوا * ثم تلاتبوا وتواثبوا * ثم تراموا

عن ظهور الخيل * واعتكر في ذلك القتام النهار بالليل * ولا زالت تختلف بينهم الضربات * وتصول فيهم الحملات * وتحمل منهم الصولات * حتى تلا لسان القضاء والقدر إن في اختلاف الليل والنهار لآيات * ثم تناهى الاقتحام * وانفرج الازدحام * واسفرت القضية عن أن برد حامي الهند فانهزم جيش حام * وحل بالهنود الويل * ومحا الله آية الليل * ولما تفرقت الهنود وفلوا * وانتهى عقد حكمهم في المحاربة فحلوا * وقتلت سرواتهم وهرب سلطانهم ملو * ثبت تيمور وحكمه في بلاده * الى الآن كما ثبت أوتاده في سمرقند * فجمع اقيالها * وربط افيالها * وضبط احوالها * وما غفل عن ضبط ما عليها وما لها * وسلم افيالها اقيالها * ثم توجه تيموتجاها وهي مدينة دهلي * مصر عظيم جمع فنون الفضل وارباب الفخر الجلي * معقل التجار * ومعدن الجواهر والبهار * فتبعت عليه بالحصار * فاحاط بذلك السواد الاعظم * من عساكره السواد الاعظم * ومن معه من الخلائق والامم * فقيل ان هذه العساكر والخلائق مع عظمها وكثرتها * لم يقدروا أن يكتنفوها لسعة دائرتها * وانه اخفى ما من احد

جوانبها بالمحاصرة * وتم الجانب الآخر ثلاثة ايام في المجاذبة
والمشاجرة * ولم يدر من في الجانب المحاصر * لبعد المدى وكثرة الامم
ما فعل بالجانب الآخر *

ذكر وصول الخبر الى ذلك المعقوق * بوفاة الملكين ابي العباس احمد والملك الظاهر برقوق *

وبينما هو قد استولى على كرسي الهند وامصاره * واحتوى على ممالكه
واقطاره * وبلغت مراسيمه اعماق انجاده واغواره * وانبث جيشه
في ولاياتها سهلا ووعرا * وظهر فسادهم في رعاياها برا وبحرا * اذ
وفد عليه المبشر من جانب الشام * ان القاضي برهان الدين احمد
السيواسي والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام *
فسر بذلك صدره وانشرح * وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح *
فتنجز بسرعة امور الهند * ونقل الى مملكته من فيها من العساكر
والجند * بما اخذه من الاثقال * ونفائس الاموال * ووزع ذلك
الجمهور * من ذلك الجند المأسور * على اطراف ما وراء النهر
من الحدود والثغور * واقام في الهند نائبا من غير وجل * ثم حل

عن سمرقند قاصدا الى الشام على عجل * ومعه من الهند رؤس اجنادها
ووجوه اعيانها * وسلطان اقيالها واقيال سلطانها * ثم انه صار قرير
العين بتلك الطوائف الطافيه * في اوائل سنة اثنين وثمانمائه *
متوا نصب بذلك الطوفان * من جيحون الى خراسان * وكان قد قرر
ولده لصلبه اميران شاه بمملكة تبريز وتلك الديار * والسلطان
احمد قد رجع الى بغداد وهو مستوفز للفرار * وسبب حركته الى بلاد
الشام * ما فعله القاضي برهان الدين حاكم سيواس بقصاده الاغتام *
لانه اراد ان يغمد مقصده ويغطي عن الناس مصدره ومورده *

قلت بديها * شعر *

* وانى يختفي للشمس ضوء * عن الابصار في ضحو النهار *
* وكيف يستر ذفر المسك يحشو * خياشيم الورى في يوم حار *
* واني يختفي للطبل صوت * عن الاسماع في وقت النقار *

فان قصده كان بعيد المدد * طويل الامد * محتاجا الى اعداد اهبة
السلوك * ويخشى ان تضاهي غزوة تبوك * واظهر سببا ابطن فيه
ما رامه من مكره ودواهيه * واشاع ذلك واذاع * فامتلأت منه القلوب *

والأسماع * ذكر معنى كتاب وفد وهو في الهند عليه * زعموا أن ولده
اميران شاه ارسله اليه * وذلك ان ابنه اميران شاه المذكور راسله *
وانهى اليه يقول على ما قيل في بعض ما قاوله وحاوله * انك قد عجزت
لكبر سنك * وشمول الضعف لبدنك ووهنك * عن اقامة شعائر
الرياسه * والقيام بأعباء الايالة والسياسه * والاولى بحالك ان كنت
من المتقين * ان تقعد في زاوية مسجد وتعبد ربك حتى يأتيك اليقين *
وتقدم في اولادك واحفادك * من يكفيك امر رعيتك واجنادك *
ويقوم بحفظ مملكتك وبلادك * وانى لك بلاد وممالك * وانت
من قريب هالك * فان كان لك عين باصره * وبصيرة في نقد الاشياء
ماهره * فاترك الدنيا واشتغل بعمل الآخره * ولو ملكت ملك شداد *
ورجع اليك اقتدار العمالقة وعاد * وساعدك النمرود والعون *
حتى تبلغ مقام هامان وفرعون * ورفع اليك خراج الربع المسكون *
حتى تفوق في جمع المال قارون * وصرت في خراب البلاد كبختنصر *
الذي طول الله تعالى له فقصر * وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار *
وقضيت من ذاك غاية الاوطار * وصار عمرك فيها أطول الاعمار *

وخدمتك فيها ملوكها الاغمار * فقصر جنك قيصر * وكسر كسر لا عنه فانكسر * وتبعك تبع والنجاشي * وساط الملوك والاقيال غلى والك خدما وحواشي * وفغرلك فغفور بالثناء فاه * واحنيت على الخان وخاقان فوجه كل في رقعة دستك شاه * واذعن الفرعون مصر وسلطانها * وجبي الك على يد خيرا لدين ايران الله ونورانها * وآل امرك الى ان كان لك سكان الاقاليم قطانها * اليس مآل تطاول قصورك الى القصور * ونهاية كمالك النقص وحيوتك موت وسكناك القبور *

قلت * شعر *

*تعش ماشئت في الدنيا وادرك * بها ما رمت من صيت وصوت *
* فحبل العيش موصول بقطع * وخيل العمر معقود بموت *

وقيل * شعر *

* قميص من القطن من خلة * وشربة ماء قراح وقوت *
* ينال به المرء ما يرتجي * وهذا كثير على من يموت *

فاين انت من نوح وطول عمره * ونياحته على قومه بحسن عبوديته وشكره * ولقمان في وعظه ولده * وتربيته لطول الحياة * وداود

في ملكه الفسيح * مع قيامه باوامر الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح *
وسليمان بعده وحكمه على الانس والجن والطير والوحش والريح * وذي
القرنين الذي ملك المشرقين * وبلغ المغربين وبنى السد بين الصدفين *
ودوخ البلاد * وملك العباد * واين محلك من سيد الانبياء * وخاتم
الرسل وصفوة الاصفياء * المرسل رحمة للعالمين * الكائن نبيا وآدم
بين الماء والطين * محمد المصطفى * واحمد المجتبى * الذي زويت له مشارق
الارض ومغاربها * وتمثل بين يديه شاهدها وغائبها * وفتحت له خزائنها *
وعرض عليه ظاهرها وكامنها * وكانت جنوده الملائكة الكرام * وآمن به الانس
والجن والطير والوحش والهوام * وايده الله الكريم المتعال * بان ارسل
لطاعته ملك الجبال * وكان حامل رايات نصره نسيم الصبا باليمين
والشمال * فملك الجبابرة بالهيبة والقهر * وكانت الاكاسرة والقياصرة
تهابه من مسيرة شهر * وايده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين
والانصار * وتولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما
في الغار * وان الله سبحانه به اسرى * في بعض الليالي من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى * وكان مركوبه الشريف البراق * ثم عرج به

الى السبع الطباق * وقرن اسمه الكريم مع اسمه * وتعبد عباده
بما شرعه الى يوم القيامة من غير تغير لحده ورسمه * وخلق لاجله
الكائنات * وانار بوجهه الموجودات * ولم يخلق فى الكون اشرف منه
ولا افخر * وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر * واظهر من معجزاته
ان اشبع الجم الغفير * من قرص الشعير * وسقى الكثير من الرجال *
مما نبع من بين اصابعه من الماء الزلال * وانشق له القمر * وسعى
اليه الشجر * وآمن به الضب وسلم عليه الحجر * ولن تحصى معجزاته *
وتحصر كراماته * وناهيك بمعجزته المؤيدة * وكرامته المؤبدة المخلدة *
على ممر الزمان * الباقية ما دار الحدثان * الساكنة ما تحرك الملوان * وهو
القرآن المجيد * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد * وهذه منازله فى الدنيا * غير ما ادخر له فى العقبى *
وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى *
مع ان الله تعالى اخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصرته فلو ادركوه
لم يسعهم الا اتباعه وامتثال امره * فهو دعوة ابراهيم الخليل * ومتوسل
موسى وعلماء بني اسرائيل * والمبشر بقدومه على لسان عيسى فى الانجيل *

وحامل لواء حمد ربه يوم لقائه * فآدم ومن دونه تحت لوائه *
وهو صاحب الحوض المورود * والمخاطب من ربه في موقف الشفاعة
والمقام المحمود * بمعنى ما قلت مفوفاً مقتبساً * شعر *

* قل تسمع اشفع تشفع سل تنله تجب * تفويف خلعة عز واقتبس نعمي *

فانظر الى هؤلاء السادة * معادن الخير ومفاتيح السعادة * هل رغبوا في الدنيا
واعتمدوا عليها * او نظروا الا بعين الاحتقار والاعتبار اليها * او هل كان
نظرهم غيرا لتعظيم لامر الله * والشفقة على خلق الله * وناهيك بالخلفاء
الراشدين * واعظم بالعمرين * اللذين كانا في هذه الامة بمنزلة
القمرين * وهلم جرا بالخلفاء العادلين * والملوك الكاملين والسلاطين
الفاضلين * الذين تولوا فرعوا بحقوق الله تعالى في عباده *
وحموا عباد الله عن الظلم في بلاده * واسسوا قواعد الخير * وساروا
في نهج العدل والانصاف احسن سير * فمضوا على ذلك وبقيت
آثارهم * واحيت بعد موتهم ايامهم اخبارهم * فمضى على ذلك
مثل الاولين * وبقي لهم لسان صدق في الآخرين *
[illegible] اذ صنعوا * بموجب ما سمعوا

* شعر *

* فكن حديثا حسنا ذكره * فانما الناس احاديث *

وانت وان كنت تسلطت على الخلق * فقد عدلنا ايضا ولكن عن الحق * وزعيت ولكن اموالهم وزروعهم * وخشيت ولكن بالنار قلوبهم وضلوعهم * واسست ولكن قواعد الفتن * وسرت ولكن على سيرامات السنن * ومع هذا فلو عرجت الى السبع الشداد * ما بلغت منزلة فرعون وشداد * ولو رفعت قصور رك على شوامخ الاطواد * ما ضاهيت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد * فانظر لمن نهى وامر * ثم مضى وغبر * ولا تكن ممن طغى وفجر * وتولى او كفر * واقتنع بهذا الخطاب * عن الجواب * واعط القوس باريها * واترك البلاد لبانيها * وتولى الله ورسوله والذين آمنوا والا فانت اذا ممن تولى في الارض ليفسد فيها * فاني اذ ذاك امشي اليك * واضرب على يديك * وامنعك من السعي في الفساد بان اسوى بين رجليك * مع قلة آداب جرائمها كبيرة عبارتها ذنوبها كبيرة * فلما وقف تيمور على هذا الكتاب * وجه الى تبريز عنان الركاب * وكان عند اميرانشاه من المعتدين * جماعة سعوا في الارض

مقبلين * منهم قطب الموصلي اعجوبة الزمان الدوار * واستاذ علم
الموسيقي والادوار * اذا استنطق اليراعة * اسكت اهل البراعة *
واذا وضع الناي بفيه * سحق عودا سحق رايه * وان اخذ في الاغاني *
اغنى عن الغواني * تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عني انيني * فتشير
يراعته بالاصبع وتقول على عيني * ثم ينفخ فيها الروح * فيشفي كل قلب
مجروح * ويداوي كل فؤاد مقروح * فان اقامت قامتها الرشيقة
راقية في سماعها * تحني الجنك ظهره خاضعا لطيب استماعها *
وان فتحت فاه للتقرير اسماع القلوب الحانه * يميل العود عنقه مصغيا
اليها عاركا لما ناله من الادب آذانه * قيل انه كان يؤدي جميع الانغام
الفروع والمركبات والشعب والاصول * من كل نقب من انقب الماصول *
وله مصنفات في ادوار المقامات * وجرت بينه وبين الاستاذ عبد القادر
المراغي مباحثات * وكان اميران شاه به مغرما * يعد صحبته والعشرة
معه مغنما * وكان تيمور لا يعجبه العجب * ولا يستهويه اللهو
والطرب * فقال ابن القطب انقل عقل اميران شاه * وكذا فعل عبد
القادر واحمد بن الشيخ اويس الطغاة * فوصل ذلك الطاغ * سابع عشر شهر

ربيع الاول سنة اثنين وثمانمائة الى قراباغ * فاناخ بها ركابه * واراح

بها دوابه * وضبط ممالك اذربيجان * وقتل اولئك المفسدين من اهل

العدوان * ولم يتعرض لاميران شاه * لانه ولده وهو انشاه * وبينهما

امور منشابهات لا يعلم تاويلها الا الله * ثم توجه بتلك الخميس *

ثاني جمادى الاخرة يوم الخميس * وادخل مدينة تفليس * وقصد

بلاد الكرج * وهدم ما استولى عليه من قلعة وبرج * وقلعهم

الى الصياصي * والقلاع العواصي * وقتل من ظفر به من طائع وعاصي *

وجزهم ما بين رؤس ونواصي * ثم ثنى عنان الفساد * وحرش البغاة

على بغداد * فهرب السلطان احمد من ذلك اللجب * الى قرا يوسف

في ثامن عشرين شهر رجب * فسكن تيمور زعازعه * بوطن بتلك

مراقبه ومنازعه * وتمهل في السير * واستعمل في نحوه مع مناظريه

مباحث سوء وغير * وصار يتجاول ويتشدد وهو يتغافل

[illegible] * شعر * [illegible] * [illegible]

* يا موقعين بشعلتي ابتعادي وانتم * مرادي بالاسعدي [illegible] ولا علويا *

فتراجع السلطان احمد وقرا يوسف يوما الى مدينة السلام * متصورين

أنه لم يخرج من بلاد الكرج اللئام * فلما تحققا منه الخروج *
وكانا حققا أنه إذا عرج على شيء فما يعوج * طار طائرهما نحو الروم *
وتركا ديارهما ينعق فيها الغراب والبوم * فتوجه ذانك القشعمان *
إلى مصيف التركمان * فاغمد السيف * وكف عن الحيف وصوم الصيف *

ذكر ما وقع * من الفتن والبدع * وما سل الشرور من
حسام * بعد موت سلطان سيواس والشام *

وكان إذ ذاك قد تخبط أمر الناس * ووقع الاضطراب ببلاد مصر والشام
إلى سيواس * أما مصر والشام فلموت سلطانهما * وأما سيواس فلقتل برهانها * وكان موتهما متفقا ريب الزمان * كموت قرا يوسف
والملك المؤيد الشيخ أبي الفتح غياث الدين محمد بن عثمان * فإن ما بين
موت هؤلاء الملوك العظام * كان نحوا من نصف عام * وكذا
[illegible] كان ما بين موتي ذينك السلطانين *

ذكر نبذة من أمور القاضي * وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الأراضي *
وسبب قتل القاضي برهان الدين * مخالفة وقعت بينه وبين عثمان
قرايلوك رأس المعتدين * وسيزداد بيانها * إذا أتى مكانها * وهو أ

السلطان ابوه كان قائمقاماً عند السلطان ارتنا حاكم قيصرية وبعض ممالك قرمان * وكان بين الامراء والوزراء ذا مكانة وامكان * وكان ابنه برهان الدين احمد المذكور في عنفوان شبابه * من طلبة العلم الشريف واصحابه * المجتهدين في تحصيله واكتسابه * فتوجه الى مصر لاقتناء العلوم * وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم * وكان ذا فطنة وقادة * وقريحة نقادة * ومقلة غير رقادة * فحصل من العلوم عليه * في اذنى مدة * فبينما هو في مصر يسير * اذ هو بفقير جالس على الطريق كسير * فناوله شيئاً يسد به خلته * ويجبر به فقره وكسرته * فكاشفه ذلك الفقير بلفظ معلوم * وكشف له عن السر المكتوم * وقال لا تغفل فيّ هذه الديار فانك سلطان الروم * فصادع بهذا الكلام قلبه * فاخذ في اعداد الاهبة * وقطع العلائق * ورد الطرق صحبة الرفاق * ولما وصل الى سيواس * ابتهج به والده واعيان الناس * وشيد له بين الخلق اشد بنيان واشد اساس * وشرع في القاء الدروس * ومصاحبة الاعيان والرؤوس * وكان ذا همة ابيه * وراحة سخية * ونفس زكية * وخصائل رضيه * وشمائل مرضيه *

وتحرير شاف * وتقرير واف * يحقق كلام العلماء * ويدقق النظر
في مقالات الفضلاء * وله مصنفات في المعقول * ولطائف في المنقول *
ينظم الشعر الرقيق * ويعطي عليه العطاء الجليل * ويعجبه اللفظ
الدقيق * ويثيب عليه الثواب الجزيل * وهو في ذلك يتزيا بزي الاجناد *
ويسلك طريقة الامراء من الركوب والاصطياد * ويلازم ابواب السلطان *
ويتخذ الخدم والاعوان * فمات السلطان عن ولد صغير * فاجلسوه
على السرير * وكان عنده من اعيان الامراء * ورؤس الوزراء *
اناس منهم غضنفر بن مظفر وفريدون وابن المؤيد وحاجي كلدي
وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن اكبرهم ابو القاضي برهان الدين فصار
هؤلاء الامراء * والرؤس من الوزراء والكبراء * يدبرون مصالح
الرعية * ولا يفصلون الا بالاتفاق ما يقع من قضية * فمات ابو القاضي
برهان الدين وتولى ولده مكانه * وفاق بالعلم وحسن السياسة اباه
واقرانه * ففرق ولايات ذلك الاقليم * على ابن المؤيد وحاجي كلدي
وحاجي ابراهيم * وبقي حوالي السلطان محمد * فريدون وغضنفر
وبرهان الدين احمد * ثم توفي السلطان محمد * عن غير ولد * فبقيت

الولاية بين الثلاثة * على سبيل الاشتراك ووراثة * وقلما اتفق ضرتان
على زوج واحد والتقتا * ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وما آفة
فقير * يلتفون في حصير * ومكان لا يسعهما اقليم كبير * فاراد برهان
الدين الاستبداد بالملك والاستقلال * فنصب لشريكيه اشراك الاحتيال *
اذ الملك عقيم * فرصد لذلك الطالع المستقيم * ونظر نظرة في النجوم
فقال اني سقيم * فرأى شريكاه ان العيادة عبادة * فطلبا بعيادته
الحسنى وزادهم هو الزيادة * فعاداه وقد عاداهما * وما راعاه ولكن
داراهما وما راعاهما * فلما خلا عليه وقد ارصد لهما رصدا * واعد لهما
من الرجال المعلمة عددا * وقتلهما وقد حصلا في قبضة الاشراك *
واخلص توحيد السلطنة الاحدية من الاشراك * فقوي بالتوحيد
سلطانه * واضاءت بالدين حجته وبرهانه * ولكن ناوأه الانداد *
وتعصى عليه من انواب اكفاؤه واضداده * واظهر كل من العداوة
باعداؤه وحساده * وقالوا هذه مرتبة لم ينلها آباؤه ولا اجداده * ونحن
كلنا سواسية اذ انتمينا * فانى يكون له الملك علينا * وحسن الرياسة
هو الغل القمل * وتجانس الاكفاء جرح لا يندمل * فمنهم شيخ نجيب

وانتهت الى المزاحمة والمناقرة * فنقض العهود والذمم * وامتنع من حمل التقادم والخدم * وتمنع في الاماكن العاصية بمن معه من المتراكمة والحشم * فلم يكترث به السلطان * لانه كان اقل الاعوان * وجعل يتوجه تارة الى اماسية واخرى الى ارزنجان * وكان بالقرب من سيواس مضيف * منظره ظريف * وتربته نظيف * وماؤه خفيف * وهواؤه لطيف * كأن الخلد خلع على اكتاف رياضه سندسه الاخضر * والفردوس فجر في خلال اشجاره من نهره الكوثر * على جداوله من رضاب الجنات شبه * وفي ربوة جبهته للابصار دهشات وللبصائر نزهة *

* قلت * شعر *

عليه شقيق قد زها فكأنه * صحون عقيق ترعت بالعنابر *

فقصد قرايلوك * ورام في طريقه السلوك * فمر على سيواس * وبها القاضي ابو العباس * فجاز بركابه * ولم يعبأ به * فالتهب تموز قيظه * وكاد يتميز من غيظه * وقال بلغ من هذا العواء ان يلج برج الاسد * ويقدم قدامي وانا حال بهذا البلد * ثم امر جماعته بالركوب * وقصد عليه الوثوب * واستفزه الغضب والطيش * ان ركب

ويسبق الجيش * فقال له بعض من معه من الجماعة * لو ثبت مولانا
السلطان ساعة * حتى يتلاحق العسكر * كان احزم واوفق واجدر *
وان كان حرمة مولانا السلطان فيها كفاية ولها آية * لكن قرايلوك
تركماني ذو دهاء وكيد * فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام * ولم يزل
هاجما وراءه حتى هجم الظلام * فكر عليه قرايلوك بجماعته * فقبض
عليه باليد من ساعته * ولم يدر بحاله العسكر * وتفرق
امراؤه وجنده شذر مذر *

ذكر ما كان نواه قرايلوك من الرأي المصيب *
ورجوعه عنه لسوء طويته بشيخ خبيث *

ثم ان قرايلوك عزم ان يجدد معه العهد والميثاق * ويقلع غراس
الخلاف ويؤسس بنيان الصداقة والوفاق * ويرده الى مكانه *
ويصير كما كان اولا من انصاره واعوانه * ويعلم بذلك السلطان انه
له ناصح * فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح * واذا بشيخ خبيث الذي
كان متولي قلعة توقات * وحاصره السلطان وضيق عليه مسالك
الطرقات * ثم قهره وغلبه * واخذ قلعته وبالكراهة استصحبه *

وجد فرصة فانتهزها * وكان في قلبه كمائن غصة فابرزها * فجاء

الى قرا يلوك * ووقف في خدمته كالمملوك * وقال أعيذ عالم عقلك

ان يزل * ودليل فهمك ان يضل * ومصيب رأيك ان يصاب * وجميل

فكرك ان يعاب * قد امكن الله من العدو * وانى لك مع

هذا سكون وهدو * قلت * شعر *

* ما الدهر الا ساعة وتنقضي * والمرء فيها حازم او نادم *

فلئن ابقيت عليه لا يبقي عليك * ولئن نظرت اليه بعين الرحمة

فالله لا ينظر اليك * فانه رجل غبي * وبانواع المكر واصناف الخديعة عبى *

عسر القياد واىبك لا ينجع فيه الخير وابي * ومتى والعياذ بالله

مكانه منك * اكان يرق لك او يصفح عنك * هيهات قد اراه الله المحال *

فقد وقع لك مجال * فما كل اوان * يسمح بالمراد الزمان * والدهر

فرص واكثره غصص * فاياك ان تفوت الفرصة * لتقع في الغصة

واي غصة * ولا ينفعك الندم * اذا زلت بك القدم * وتفكر فيما اقول *

واستنبط دليل هذه المسئلة من المعقول * واستبق شرفك الرفيع بازالة

دمه * وحسن استار حرمك باتلاف حرمه * وقد كرر يا امير * امور

قابوس بن وشمكير * ولازال ذلك الشيطان * يحسن له الرأي في قتل
السلطان * ويقول هذا الرأي انفع لك وعليك اجود * كما فعل بسطام
امير الكرد بقرا يوسف لما قبض على السلطان احمد * فرجع قرا يلوك
عن رأيه لما خدعه وداهاه * فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف
رحمه الله * وكان قتل قرا يوسف السلطان احمد بن الشيخ اويس
في عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثمانمائة والقصة مشهورة * وكان
السلطان رحمه الله كما ذكرناه اولا * عالما فاضلا كريما متفضلا * محققا
في التقرير * مدققا في التحرير * قريبا من الناس * مع كونه
شديد الباس * رقيق الحاشية اديبا * شاعرا ظريفا لبيبا اريبا * جوادا
مقداما * قرما هماما * [illegible] الدنيا وما بها * يهب الالوف ولا يهابها *
يحب العلماء ويجالسهم * ويدني الفقراء ويكايسهم * قد جعل يوم
الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصة * لا يدخل
عليه معهم غيرهم من تلك الامم الغاصة * وكان قد اقلع قبل وفاته
عن جميع ما كان عليه * وتاب الى الله تعالى ورجع اليه * وله مصنفات
منها الترجيع على التلويح * وكان عنده نديم للفضل خرير * بغدادي

الأمل بن علي عبد العزيز * وكان أعجوبة الزمان * وفي لطائف
النثر والنظم فارسياً وعربياً طرفة الدوران * سرقه من بغداد
نفس السلطان احمد بن الشيخ أويس * فكان عنده رأس تلامذته
وعين أهل الفضل والكيس * والقاضي كان يربي الفضلاء * متطلباً
من كل جهة الأدباء والشعراء * وكان أهل الفضل والأدب يفدون
عليه من كل فج * حتى صار مقامه كعبة الحاج لا كعبة الحج *
وصورة سرقته له انه لما سمع بأوصاف أحبه فأراد قربه فالتمسه
من مخدومه * فلم تسمح نفس السلطان احمد بمفارقة نديمه *
ثم احتشى من القاضي رهبه * وجاف لشدة ذهنه هربه * فرضي به
وخرج عليه * وأقام له رقباء يحفظونه من خلفه ومن بين يديه *
فأرسل القاضي اليه رسولاً ذكيا * فناجاه نداء خفيا * وأجزل له
العطيه * ووعده مواعيد سنيه * وفرق ما بين السلطانين من الحسن
والقبح * كفرق ما بين البحرين العذب والملح * والموين المسا والصبح *
فلبى دعوته بالقبول * وواعده للخروج بعض القفول * ثم خرج
في لهيب الحر وقد رقد * والسلطان احمد عند الحريم قد رقد * ووضع

ثيابه على ساحل دجلة * ووجهه الى داخل النهر في الطين رجله *
ثم غاص في الماء وتحدر * وخرج من مكان آخر * ولحق برفقائه * واختفى
بينهم اختفاء اليربوع في نافقائه * فطلبه السلطان احمد * ففتشوا
عليه فلم يوجد * فبالغوا في طلابه * الى ان وقفوا على ثيابه *
ورأوا آثار رجليه في الطين * فلم يشكوا ان الموج اختطفه فكان
من المغرقين * فكفوا قدم السعي عن طلبه * ولم يطلعوا على احد بسببه *
ثم بعد ايام يسيرة * اخرج غريق بحر ادراسه بسيواس عند القاضي
برهان الدين من تحت الحصيرة * نغرقه في ابحر نواله * واسبغ
عليه ذيل كرمه وافضاله * فصار عنده مقدما * ولديه مبجلا
معظما * الف له تاريخا بديعا * سلك فيه مهيعا رفيعا * وانتهج
منتهجا منيعا * ذكر فيه من بدء امره الى قرب وفاته * مع مواقفه
ووقائعه ومصاداته * وشحه بظريف كناياته * ولطيف استعاراته *
ونصيع لغاته وبليغ كلماته * ورشيق اشاراته ودقيق عباراته *
مد فيه عنان اللسان * وهو موجود في ممالك قرمان * في اربع
مجلدات ذكر ذلك لي من غاص بحره * واستخرج دره * ووقف

في تاريخ العتبي في اليمين * السلطان محمود بن سبكتكين * وان

هذه احسن من ذلك اسلوبا * واغزر ينبوعا * واعذب مشروبا *

مع انني لم اقف عليهما * ولا وصلت لقصر الباع اليهما * ثم ان الشيخ عبد

العزيز من ابعد تهذيب هذه النائرة * انتقل الى القاهرة * ولم يبرح

على الابراح * ومعاقرة راح الاتراح * حتى خامرته نشأة الوجد

فصاح * وتردى من سطح عال فطاح * ومات متأسرا ميتة

صاحب الصحاح * والله اعلم *

ذكر ما وقع من الفساد في الدنيا والدين * بعد قتل قرا يلوك

السلطان برهان الدين *

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في اولاده من يصلح للرياسة *

ويتقلد احكام السلطنة والسياسة * فرجع قرا يلوك الى سيواس * ودعا

الى نفسه الناس * فلم يجيبوه * ولعنوه وسبوه * فاخذ يحاصرهم

ويقاتلهم * ويضيق عليهم ويعاندهم * فاستمدوا عليه التتار

فامدوهم * واتت طائفة منهم فنجدوهم * فكسرهم قرا يلوك ففروا *

واستنجدوا واطوا نفيهم وكروا * واقبلوا بالقض والقضيض * وملأوا البقاع

والتخفيض * فلم يكن لقرا يلوك على جبهة قتالهم طوق * فدخل عليهم
من تحت وجاءهم من فوق * وتوجه الى تيمور * وكان بحر جيشه
في اذربيجان يمور * وقبل يديه * وانتمى اليه * وجعل ينادده
الى هذه البلاد ويذمر * كما فعل معه الامير ايدكو * فحك له في الله بره *
فاجابه اجابة برصيصا بامره *

ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس الى يسلكون ومن يملكون *

ثم ان اهل سيواس * والاعيان من رؤسائها والاكياس * تشاوروا
فيمن يملكون قيادهم * والى من يسلمون بلادهم * لسلطان مصر ام
لابن قرمان * ام للسلطان الغازي بايزيد بن عثمان * ثم اتفق رأيهم
السديد * على المرحوم يلدريم بايزيد * فارسلوا اليه قاصدا *
واستنهضوه اليهم وافدا * وانشدوه * وقد استنجدوه *

* شعر *

* وكم ابصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري *

فتوجه من ساعته اليهم * وقدم بالعساكر والجنود عليهم * ومهد القواعد
والاركان * وولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان * واضاف اليه

خمسة انفار * من امرائه الكبار * يعقوب بن اورانبس وحمزة

بن بجار وقوج علي ومصطفى ودوادار * واستمال خواطر الاعيان *

وتوجه الى ارزنجان * فهرب منها طهرتن المذكور * وقصد في انهزامه

تيمور * فاستولى ابن عثمان * على مدينة ارزنجان * واخذ اموال

طهرتن وذخائره وحرمه * ومكن منهن سواسه وغلمانه وخدمه *

ورجع بالاموال والحمول * واشتغل بمحاصرة استنبول *

* فصـــل *

فتبه قرا يلوك وطهرتن * من تيمور نائم الفتن * وان كان المتحرك منهم

في الفساد ما سكن * حتى توجه الى هذه البلاد * وعم فساده البلاد

والعباد * فوصلوا الى ارزنجان واردين * ثم ارتحلوا ونزلوا مقابل

ماردين * فعصى عليه الملك الظاهر * لما كان قاساه اولا من طاعة

ذلك الغادر * فندم على اطلاقه اول مرة * كما سيندم يوم القيمة

ولم تنفعه الندامة والحسرة * وكان ذلك في سنة اثنتين وثمانمائة *

والخلف قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية وانحاز الى كل فئة *

وتفرقت آراؤهم ايادي سبا * ومال هواء كل منهم الى دبور وشمال

رضيا * واهملوا امور الرعايا * وغفلوا عن حلول الرزايا *

قلت * شعر *

* من يهمل الاعداء ويأمن كيدهم * مثل النووم وراءه مستيقظ *

قلت * شعر *

* واللص ليس له دليل سائر * نحو الذي يبغي كنوم الحازم *

ثم قتل هو تيمر ملك الامراء بالشام المحروس * اعيان الامراء والاعلام الروس * في شهر رمضان من العام المذكور * وبيان هذه الامور في كتب التواريخ مسطور *

قلت * شعر *

* واذا العرين تصرمت آساده * عوت الثعالب فيه آمنة الردى *

ذكر قصد ذلك الغدار * سيواس وما يليها من هذه الديار *

ثم ان تيمور وجه عنان الباس * نحو مدينة سيواس * وبها كما ذكر امير سليمان * بن بايزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان * فارسل يخبر اباه بهذا الامر المهول * ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر استنبول * فلم يطق ان يمد اليه يدا * لاحتياجه الى المدد ولبعد المدى * فاستحضر من جنده

أهل المنعة * وحصن المدينة والقلعة * واستعد للقتال واستمد للحصار * وفرق رؤس أمرائه على أبدان الأسوار * وجهز تيمور من جيشه العيون * ليتحقق ما هو عنده مظنون * ولما كشفت جيوشه لأمير سليمان زينها * فرلما أن رأى عينها * فعزم على التوجه الى أبيه * واشترط مع امرائه وذويه * انهم يحفظون له البلد * ريثما يجهز لهم العدد والعدد * فلم يسعهم إلا الموافقة * والتخلف وعدم المرافقة * فرام لنفسه الخلاص * وأفلت وله حصاص * فوصل اليها تيمور بتلك السيول الهامية * سابع عشر ذي الحجة سنة اثنين وثمانمائة * ولما حل بسيوا من رجله الشومى * قال أنا فاتح هذه المدينة في ثمانية عشر يوما * ثم أقام في محاصرتها علامات الحشر * وفتحها في اليوم الثامن عشر * بعد ما عثى فيها وعاث * وذلك يوم الخميس خامس المحرم سنة ثلاث * وبعد أن حلف للمقاتلة أن لا يريق دمهم * وانه يرعى ذممهم ويحفظ حرمهم وحريمهم * ولما فرغت المقاتلة * واستمكن من المقاتلة * ربطهم في الوثاق سربا * وحفر لهم في الأرض سربا * وألقاهم أحياء في تلك الأخاديد * كما ألقي في قليب بدر الصناديد * وعدد

ممن لقي في تلك الحفر * كان ثلاثة آلاف نفر * ثم اطلق عنان النهاب *
واتبع النهب الى والخراب * وكانت هذه المدينة من اظرف الامصار *
في احسن الاقطار * ذات عمائر مكينة * واماكن حصينة * ومآثر
مشهودة * ومشاهد له معهودة * ماؤها رائق * وهواؤها للامزجة
موافق * وسكانها من الخلائق يتعانون التوقير والاحتشام *
ويتعاطون اسباب التكلف والاحترام * وهي متاخمة ثلاث تخوم *
الشام واذربيجان والروم * فالآن فقد حلت بها الغير * وتفرق
اهلها شذر مذر * وانعكست امورها * فهي خاوية على عروشها *

ذكر انعجام صواعق البلاء الطام

من غمام الغرام على ممالك الشام *

ولما استنقى سيواس لحما ونقيا * وامتصها حصدا ورعيا * فوق
سهام الانتقام الى نحو ممالك الشام * ودان قيل كالجراد
المنتشر * فالجراد كان من اعوانها * او كالنهر * فسيل الماء
جار من فرندها وخرصانها * او كالفراش الا ان الفراش يحترق عند
تطاير سهامها * او كالقطر الا انه في الدأم تضل انعقاد قتامها *

رجال توران * وابطال ايران * ونمور تركستان * وببور بلخشان * وصقور الدشت والخطا * ونسور المغول وكواسر الجته واناعي خجند وثعابين ايدكان * وهوام خوارزم وجوارح جرجان * وعقبان صغانيان * وضواري حصار شادمان * وفوارس فارس واسود خراسان * وضباع الجبل وليوث مازندران * وسباع الجبال وتماسيح رستمدار وطالقان * واصل قبائل خوز وكرمان * وطلس ارباب ظباء البهة اصفهان * وذئاب الري وغزنين وهمذان * وافيال الهند والسند وملتان * وكباش ولايات اللور * وثيران شواهق الغور * وعقارب شهرزور * وحرارات عسكر مكرم وجندي سابور *

* شعر *

* قوم اذا الشرا بدنا جنبه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا *

جمع ما اضيف اليهم من اعيار الخدم * وفراعل التراكمة والاوباش والحشم * وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم * وحفالة عباد الاوثان وانجاس مجوس الامم * مالا يكتنفه ديوان * ولا يحيط به دفتر حسبان * وبالجملة فانه الدجال ومعه ياجوج وماجوج *

والرياح العقيمة الهوج فتوجه والنصر قائده * والسعد رائده * والقضاء موافقه
والقدر مساعده * ومشيئة الله تعالى سائقته * وإرادة الله عز وجل
في تدبير العباد والبلاد سابقته * فبلغ خبره البلاد الشامية * واتصل
ذلك بالديار المصرية * فورد مرسوم شريف الى نائب الشام * وسائر
النواب والحكام * وغزاة الدين وحماة الإسلام * ان يتوجهوا الى
حلب * ويقيموا عليه الجلب * ويجتهدوا في دفعه * ويتعاونوا على
منعه * فتجهز نائب الشام سيدي سودون مع النواب والعسكر * ورحلوا
الى حلب سنة ثلاث وثمانمائة في شهر صفر * ووصل تيمور الى بهسنا *
لنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا * وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرين ليلة *
فأخذها ولكن كف عنها للطيفة ربانية ثبوره وويله * ثم وطئ مدينة
ملطية فأبادها * ودك أطوادها * ثم حل كعبه المشوم * بقلعة الروم *
وكان نائبها الناصري * محمد بن موسى بن شهري * وسنذكر ما جرى له معه
مشبعا * وكيف اجتهد في مجاهدته وسعى * فأقام بها يوما * فلم
ينتج له روما * ولم يحتفل لها بحصار وهياج * وقال هي أهون على من
تبالة على الحجاج * وذلك انه لما رآها من بعيد * قال فيها ما قاله

من لم يصل الى العنا قبل * والحق انه لما رآها * قال ان الله لما بناها
ادخرها لنفسه واصطفاها * ثم انجاب ذلك السحاب * الى عين تاب *
وكان نائبها ازكماس * رجلا شديد الباس * فحصنها واستعد *
وباشر القتال بنفسه واستبد * ثم خرج فهرب الى حلب *
فلم يرسل وراءه الطلب *

ذكر ما ارسل من كتاب وشنيع خطاب * الى النواب
بحلب وهو في عين تاب *

ثم ارسل الى النواب * قاصدا وهو في عين تاب * وصحبته مرسوم *
بانواع التفخيم موسوم * وباصناف التهويل مرقوم * ومن جملته
ان يطيعوا اوامره * ويكفوا عن القتال والمشاجرة * ويخطبوا باسم
محمود خان * وباسم الامير الكبير تيمور كوركان * ويرسلوا اليه
اطلاميش الذي كان عنده قبان * واقتنصه التركمان * وارسله الى مصر
لحضرة السلطان * واطلاميش هذا زوج بنت اخت تيمور * وكان جاء
الى الشام قبل وقوع هذه الشرور * وفيما بين ذلك امور * كان لها بطون
فصار لها ظهور * وكان اولا في مصر محبوسا * ونال ضرا وبوسا *

ثم صار معززا مكرما * معظما مقدما * وكان تيمور عليه مغضبا *
وجعل ذلك حجة للمعاداة وسببا * ثم شرع يقول * وهو يجول *
في ميدان هذه الرسالة ويصول * إنه هو ولي سياسة الأنام * وإن
من نصبه هو الخليفة والإمام * وإنه ينبغي ان يكون هو المتبوع
والمطاع * وما سواه من ملوك الأرض له خدام وأتباع * وأنى لغيره
درية الرياسه * وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسه * مع كثير
من التهويل * والحشو والتطويل * وكان يعلم ان اجابتهم سؤاله محال *
وانه طلب منهم ما لا ينال * ولكن قصد بذلك قرع باب الجدال *
وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال * فلم يجيبوه بالمقال *
ولكنهم قصدوا مبادرته بالفعال * ولم يلتفت سيدي سودون لما يقول * وضرب
على رؤوس الأشهاد عنق الرسول * واستعدوا للمبارزة * واستعملوا المناجزة

ذكر ما تشاور عليه النواب * وهم في حلب وتيمور في عين تاب *

ثم إن النواب والأمراء * ورؤوس الأجناد والكبراء * تشاوروا كيف
يكافحونه * وفي أي ميدان يناطحونه * فقال بعضهم عندما الرأي
الأسد * ان نحصن البلد * ونكون على أسوارها بالرصد * نحرس بروج

أفلاكها * حراسة السماء بأملاكها * فإن رأينا حواليها من شياطين العدو واحدا * أرسلنا عليه من رجوم السهام ونجوم المكاحل شهابا رصدا * وقال آخر هذا عين الحصر * وعلامة العجز والكسر * بل نحلق حواليها * ونمنع العدو أن يصل إليها * ويكون ذلك أفسح للمجال * واشرح للجدال * ثم ذكر كل من أولئك * ما عن له في ذلك * وخلطوا غث القول بسمينه * وساقوا هجان الرأي مع هجينه * فقال الملك المؤيد * شيخ الخاصكي وكان ذا رأي مسدد * وهو إذ ذاك نائب طرابلس يا معشر الاصحاب * وأسود الحرب وفوارس الضراب * اعلموا أن أمركم خطر * وعدوكم داعر عسر * داهية دهياء * معضلة عضلاء * جنده ثقيل * وفكره وبيل * ومصابه عريض طويل * فخذوا حذركم * واعملوا في دفعه بحسن الحيلة فكركم * فإن صائب الأفكار * يفعل ما لا يفعله الصارم البتار * ومشاورة الأذكياء * مقدحة الفكر * ومباحثة العلماء * مقدمة النظر * إن هذا لبحر ما يحده بر * وجيشه عددا كالقطر والذر * وهو وإن كان كالوابل الصيب * لكنه أعمى لأنه في بلادنا غريب * فعندي الرأي الصائب * أن نحصن

المدينة من كل جانب * ونكون خارجها مجتمعين في جانب واحد *
وكلنا له مراقب مراصد * ثم نحفر حولنا خنادق * ونجعل أسوارها
البيادق والبوارق * ونطير إلى الآفاق أجنحة البطائق * إلى الأعراب
والأكراد * والتراكمة زمعا شرار البلاد * فيتسلطون عليه
من الجوانب * ويثب عليه كل راجل وراكب * ويصير ما بين
قاتل وناهب * وخاطف وسالب * فإن أقام وأتى له ذلك ففي
شر مقام * وإن تقدم إلينا صافحناه بسواعد الأسنة وأكف الزرق
وأنامل السهام * وإن رجع وهو المرام رجع بخيبة * وأقيمت لنا عند
سلطاننا الحرمة والهيبة * وإن كان لسلطاننا علينا عرج * فلنا بحمد
الله سلطان وفي سلطاننا فرج * وأقل الأشياء أن نماليه ونتحرز من جنده *
فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده * وهذا الرأي الأسد * بعينه
كان رأي شاه منصور الأسد * فقال تمرداش وهو نائب المدينة * ما هذه
الآراء مكينة ولا هذه الأفكار رصينة * بل المناضلة خير من المطاولة *
والمناجزة * في هذه المواطن قبل المحاجزة * ومقام المنازلة * لا تجدي
فيه المغازلة * ولكل مقام مقال * ولكل مجال جدال * وهذا طير

في قفص * وصيد مقتنص * فاغتنموا فيه الفرص * وناوشوه بالحرب *
وسابقوه بالطعن والضرب * لئلا يتوهم فينا الخور * ويستنشق من ركود
ريحنا عرف الظفر * فاجمعوا امركم واعجلوا * ولا تنازعوا فتفشلوا *
وانهضوا وبادروا * واصبروا وصابروا * فانتم بحمد الله اهل النجدة
واولوا الباس والشدة * وكل منكم في موقف المناضلة مغن ومحام * وعلمه
في افاضة دماء الاعداء اعظم منار * وله في ذلك كفاية * وهل آية ونهاية *
وغيره له بل آيه * وهو لجمع الاسلام كثير واقي وجامع كاف ووقايه *
تحثوا السنة سيوفكم الى تكليم الروم فهي في لفظها كافية شافيه *
وتصرف اسنان اسنتكم في مضاعفة كل ذي فعل معتل فهي في تصريف
عللها شافية كافيه * فان كسرنا ظفرنا بالمنال * وكفى الله المؤمنين
القتال * وتلك من الله معونه * وقد كفينا عساكر المصريين المؤنه *
وكان ذلك اعلى لحرمتنا * واقوى في ورود النصر لشوكتنا * واذكى
لريح نصرنا وازكى * وابكى لعينه السخينة وانكى * وان كانت والعياذ
بالله الاخرى * فلا علينا اذا بذلنا مجهودا واقمنا عذرا * ومحب ومنا
يدرك ثارنا * ويحيي آثارنا * فتوكلوا على الله العزيز الجبار *

فحل بذلك الخميس * تاسع شهر الربيع الاول يوم الخميس * وبرز من ذلك
العسكر * طايفة نحوا من الفي نفر * فتقدم لهم من الاسود الشاميه *
نحو من ثلثمائه * فقاتلوهم بالصفاح * وشكوهم بالرماح * فبددوهم
وطردوهم * وجددوهم وشردوهم * ثم اصبحوا يوم الجمعة فبرز
من عسكره نحو من خمسة آلاف * الى مصاف الثقاف * فتقدم اليهم
طايفة اخرى * ارسالا وتترى * فالتحم بينهم النطاح * واشتبكت
بين الطايفتين انامل الرماح * فازدحموا واقتحموا * واشتبك واذا التحموا *
ولازالت اقلام الخط * في الواح الصدور تخط * والقضبان الصوارم لرؤس
تلك الاقلام والاعلام تقط * ومشاريط النبال لما ميل اليها ما ارتبط *
والارض من اثقال اجبال القتال تابط * حتى تجلى ليل الظلام والقتام
واغطشا * فتراجعوا وقد اعطي الله النصر لمن يشا * وجرى من دماء العبيد
مع فرق نهران * وفقد من العساكر الاسلاميه نفران * ثم اصبحوا يوم
السبت حادي عشره وقد تعبيت الجنود الشاميه * والعساكر الاسلامية
السلطانيه * بالعدة البالغه * والاهبة السابغه * والخيول المسومه *
والرماح المقومه * والاعلام المعلمه * ولم يعوزوا لتلك الصنادل *

تروى شمة من النصر والتأييد * فنحوا قصده * وقصد وارده وصده *

واقبلت عساكره والسعد الميمون طائره * والقضاء موازره والقدر

مظاهره * بالجنود المذكورة * والجيوش المعهودة المنصورة *

تؤمهم الاقيال * وأقيال القتال * واذا به قد أضمر لهم الويل *

وعبى عساكره تحت جنح الليل * وبثهم فيهم وارسل عليهم وقابلهم بمقدمتهم

وشغلهم باوائلهم * واحاط الباقون بهم فاتوهم من بين ايديهم

ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم * فمشى عليهم مشي الموسى

على الشعر * ومحى سعى الله باطل الزرع الاخضر * وكان هذا الجولان *

على قرية حيلان * ولما اهتمش امر الناس وهاش * وجاشت الهوشة

والاهتحاش * وتهارشت الاسود وانتطحت الكباش * ذرت الميمنة

وكان رأسها تمرداش * فانكسر العسكر وطاش * واخذ الابطال من الدهشة

الارتعاش * وغلبتهم الحيرة والانبهار * فلم يلبثوا الا ساعة من نهار *

ثم ولوا الدبر * وصارت لا قلام رماحه ظهورهم الزبر * واستمروا اماهم

يتواثبون * وعسكره وراءهم يتخاطبون *

بمعنى ما قلت * شعر *

* جعلنا ظهور القوم في الحرب ارجها * رقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا *
فقصدوا المدينة من الباب المفتوح * وهم ما بين مهشوم ومجروح *
والسيوف تشققهم * والرماح تدقهم * وقد سالت بدماءهم الاباطح *
وتترس من شايلحقهم كل كاسر وجارح * فوصلوا الى باب المدينة وانكسروا *
وصاروا فيه يدا واحدة وتكردسوا * ولا زال يدوس بعضهم بعضا *
حتى صارت العتبة العليا من الباب ارضا * فانسدت الابواب بالقتلى *
ولم يمكن الدخول منها اصلا * فتشتتوا في البلاد * وتفرقوا في المهامه
والاطواد * وكسر باب انطاكية المماليك الاغتام * وخرجوا منه
قاصدين بلاد الشام * فوصل فلهم الى دمشق في ابشع صورة * وحكوا
في كيفية هذه الوقعة اشنع سيرة * وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا *
وضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستامنوا * ونزلوا بواسطة تمرداش
اليه * وقد غسل كل منهم من الحيوة يديه * ثم انه مشى على هينته *
مع وقاره ورزانته وسكينته * ودخل حلب * ونال منها ما طلب *
وفاز بالروح والسلب * ولما نزل النواب اليه * قبض على سيدي
سودون وشيخ المحمودي والاتمرداش فخلع عليه * وقبض

على التونبغا العثماني نائب صفد * وعلى عمر بن الطحان نائب غزة وجعل
الكل في صفد * وشرع في استخلاص الاموال * وضبط الاثقال
والانفال * وقد ملأت القلوب هواجس هيبته * وانتشر في الآفاق
شرار صولته * ثم انه لم يكتف بما ازهقه من النفوس * حتى بنى المآذن
من الرؤوس * وسبب ذلك ان ذا قرابة البريد الذي ارسله الى
حلب * وضرب نائب الشام عنقه وسلبه السلب * ذكر تيمور بقصته *
واراد القود من اهل حلب الذي قرابته * فاجاب سؤاله فمكنه * فصار
يختار منهم ان يفعل فيه ما استحسنه * فقتل طائفة منهم وبنى
من رؤوسهم كذا وكذا مئذنة *

زيادة ايضاح لهذه المحنة * مما نقلته من تاريخ ابن الشحنة *

قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان من كتب في الديوان من عساكر
تيمور ثمانمائة الف نفس ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان
نائبها الناصري محمد بن موسى بن شهري وانه عصى عليه وكان يخرج
للغارات ثم قال ما نصه بحروفه وكان قد ابلغ عجائب تمرلنك وطواشيه
مدة اقامته على بهسنا وقتل منهم جماعة وارسل رؤوسهم الى حلب

وكسر توماناً كان جهزه اليه اقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بانفسهم
في الفراة وجهز تمرلنك كتابه الى المشار اليه ونصه يقول فيه اني خرجت
من اقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد امامي وسائر ملوك البلاد حضروا
الي وانت سلطت على جماعتي من يشوش عليهم ويقتل من ظفر به
منهم والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك
فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه والا نزلنا عليك
وخربنا بلادك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فاستعد لما يحيط بك
ان ابيت الحضور * فامسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت
الى كلام تمرلنك فمشى اليه اوائل عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم
وكسرهم وفي اليوم الثاني حضر تمرلنك على قلعة المسلمين وبرز اليه
المشار اليه وقاتله قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة رأى فيها منه
تمرلنك شدة حزم ورجع عن محاربته واخذ في مخادعته وملاطفته
وطلب منه الصلح وان يرسل اليه خيلا ومالا لاجل حرمته فلم ينخدع منه
وتنازل معه الى ان طلب منه جانبا فلم يعطه وعاد خائبا واخذ

فلم يوافقوا على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاء العدو
وحضر قاصد تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه ويوم
الجمعة حصل بين الاطراف تناوش يسير فلما كان يوم السبت حادي
عشر شهر الربيع الاول زحف تمرلنك بجيوشه وقبيلته فولى المسلمون
نحو المدينة وازدحموا في الابواب ومات منهم خلق عظيم والعدو
وراءهم يقتل ويأسر واخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف وصعد نواب
المملكة وخواص الناس الى القلعة وكان اهل حلب قد جعلوا غالب
اموالهم فيها وفي يوم الثلثاء رابع عشر شهر ربيع الاول اخذ القلعة
بالامان والايمان التي ليس معها ايمان وفي ثاني يوم صعد اليها
وآخر النها ر طلب علماءها وقضاتها فحضرنا اليه ثم اوقفنا ساعة
ثم امر بجلوسنا وطلب من معه من اهل العلم فقال لاميرهم عنده
وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي والده من العلماء
المشهورين بسمرقند قل لهم اني سائلهم عن مسئلة سألت عنها علماء
سمرقند وبخارا وهراة وسائر البلاد التي افتتحتها فلم يفصحوا عن جواب
فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني الا اعلمكم وافضلكم وليعرف ما يتكلم فانني

خالطت العلماء ولي بهم اختصاص والفة ولي في العلم طلب قديم
وكان بلغنا عنه انه يتعنت العلماء في الاسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم
او تعذيبهم فقال القاضي شرف الدين موسى الانصاري الشافعي عني هذا
شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان فقال لي عبد الجبار
سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم
فوجم الجميع وقلنا في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت وسكت
القوم ففتح الله علي بجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما اجاب به سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي صاحبي القاضي شرف الدين
موسى الانصاري بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا
سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا محدث زماني
قلت هذا عالمنا قد اختل عقله وهو معذور فان هذا سؤال لا يمكن الجواب
عنه في هذا المقام ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك والقى تمرلنك
الي سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف اجاب قلت جاء اعرابي

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فاينا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد ثم قال تمرلنك خوب خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال اني رجل نصف آدمي وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الأمة ولا تقتل احدا فقال والله اني لا اقتل احدا قصدا وانما انتم قتلتم انفسكم في الابواب والله لا اقتل احدا منكم وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا فطمع كل من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فاسر الي القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعي فلم افرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فأينا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد ثم قال تمرلنك خوب خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال اني رجل نصف آدمي وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الأمة ولا تقتل احدا فقال والله اني لا اقتل احدا قصدا وانما انتم قتلتم انفسكم في الابواب والله لا اقتل احدا منكم وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا فطمع كل من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فاسر اليّ القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعي فلم افرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي

القلعة ففعلوا ما اوصاهم به الا انهم لم ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي
ولي الحكم منهم بحلب وكان يدعى الامير موسى بن حاجي طغاي
اني اخاف عليكما والذي فهمته من سياق كلام تمرلنك انه اذا امر بسوء
قتل بسرعة ولا يحيد عنه واذا امر بخير فالامر فيه لمن وليه *
وفي اول يوم من الربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق
وثاني يوم ارسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون في امر مريج
وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تمرلنك ارسل يطلب من عسكره رؤسا
من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي اخذها فلما
وصلنا اليه جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عمر فسألنا عن طلبنا
فقال يريد يستفتيكم في قتل نائب دمشق الذي قتل رسوله فقلت
هذه رؤس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير استفتاء وهو حلف ان لا يقتل
منا احدا قصد افعاله ونحن ننظره وبين يديه لحم سليق في طبق
يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء الينا شخص بشيء من ذلك اللحم فلم
نفرغ من اكله الا وزعجة قائمة وتمرلنك صوته عال وساق شخص هكذا
وآخر هكذا وجاءنا امير يعتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار

مابين مقيدٍ ومزنجيرٍ مسجونٍ ومرسمٍ عليه ونزل تمرلنك من القلعة واقام بدار النيابة وصنع وليمة على زي المغل ووقف سائر الملوك والنواب في خدمته وادار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون في عقابٍ وعذابٍ وسبيٍ وقتلٍ واسرٍ وخرجوا معهم ومدارسهم وبيوتهم في هدمٍ وحرقٍ وتخريبٍ ونبشٍ الى آخر شهر الربيع الاول * ثم طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين واعاد السؤال عن علي ومعاوية فقلت له لاشك ان الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد تمت بعلي فقال تمرلنك قل علي على الحق ومعاوية ظالم قلت قال صاحب الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسر لذلك وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال ان هذين الرجلين نزولٌ عندكم بحلب فاحسنوا اليهما والى الزامهما واصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا احدا من اذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في المدرسة يعني السلطانية التي تجاه

عز الدين وكان من اكبر امرائه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق

من معك فاطلب من شئت وكثير لا روح معكم الى مشهد الحسين واقيم

عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا احد وكان القاضي شرف الدين

لا يفارقني فطلبنا باقي القضاة واجتمع معنا نحو من الفي مسلم وتوجهنا

الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه واقمنا ننظر الى النار وهي تضرم

في ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق بها احد فنزلنا اليها فلم نر بها احدا

فاستوحشنا وما قدرنا على الاقامة بها من النتن والوحشة

ولم نقدر على السلوك في الطرقات من ذلك *

* شعر *

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر *

وكانت نواب بلاد الشام معه ماسورين وانفلتوا اولا باول وما ت

سودون بالبطن معه في قبة يلبغا واستقر في نيابة دمشق تنكري وردي

والله اعلم * هذا ما نقلته من كلام ابن الشحنة *

كما وجدته *

ذكر ورود مثال الخبر الى اقلق * ووصول استنبوغا الى زادار *

رُؤُسِ المُسلِمِينَ وإِنَّما امَرَ بقَطعِ رُؤُسِ القَتلى وأَنْ يَجعَلَ مِنها قُبَّةٌ اقامَةٌ
لِحُرمَتِهِ على جارِي عادَتِهِ ففهموا مِنهُ غيرَ ما ارادَ وانَّه قال أَطلقتكم
فامضُوا حَيثُ شِئتُم * وركبَ تمرلنك من ساعَتِهِ وتوجَّه نحوَ دِمشق
فعدنا الى القلعَةِ ورأَينا المصلحَةَ في الإقامَةِ بِها وأَخذ الامير موسى
أَحسنَ اللهُ اليهِ في الإِحسانِ الينا وقبولِ شفاعَتِنا وتفقدِ احوالِنا مدةَ
اقامَتِهِ بحلب وقلعتِها وتجيئنا الاخبار انَّ سلطانَ المسلمينَ الملكَ الناصرَ
فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تمرلنك ومرَّة تجيء بالعكس الى ان
انجلت القضيَّةُ عن توجُّهِ السلطانِ الى مِصرَ بعد ان قاتل مع تمرلنك
قتالاً عظيماً اشرفَ تمرلنك منه على الكسر والهزيمةِ وانما حصل من بعضِ
أُمرائِهِ خيانةٌ كانَ ذلك سببَ توجهِهِ آخذ ابالحزم ودخل تمرلنك الى
دمشق ونهبها واحرقها وفعل فيها فوقَ ما فعل بحلب ولم يدخل طرابلس
بل أُحضر له منها مالٌ ولا جاوزَ فلسطين وعاد نحو حلب راجعاً طالباً
بلاده * ولمَّا كانَ سابع عشر شعبانَ من السنةِ المذكورةِ وصل تمرلنك
عائداً من الشام الى الجبول شرقي حلب ولم يدخلها بل امرا لمقيمين
بِها من جهتِهِ بتخريبِها واحراقِ المدينةِ ففعلوا وطلبني الامير

واما عساكر مصر فانهم كاملوا العدة * وسابغوا العدة * وفيهم للمسلمين فرج

بعد الشدة * فقالا نحن بعد البليا والتي من شرة سلمنا * وما شهدنا الا بما

علمنا * وكل منا انصح عما ادى اليه اجتهاده وابان * ووالله انه

في نصيحته المسلمين الذي يرا لعرفان * وقد نصحنا كم ان كنتم مفلحين *

ولكن لا تحبون الناصحين * واستمروا الناس في التردد والتشاعب *

والتفرق والتبديد والتشاغب * فبعضهم توجه نحو الاماكن البعيدة *

وتوجه بعض الى الديار المصرية * وبعض تشبث باذيال الجبال

العاصية * وتحصن آخرون بالاماكن الغامضة القاصية *

ذكر خروج السلطان الملك الناصر * من القاهرة بجنود

الاسلام والعساكر *

ثم ان السلطان * خرج من غير توان * وتوجه بالعساكر والاستعداد

التام * الى جهة بلاد الشام * فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشهم *

وزال استيحاشهم * ورد غالب من كان برح منهم * وانفرج الكرب

والضيق عنهم * واما اولوا العزم * وذووا الراي السديد والحزم *

فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان * بل طلبوا لنفسهم الامان * وانتظرا

وعبد القصار الى جلق *

فورد من حلب استنبوغا الدوادار * والفتح الامر الملقوبعبد
القصار * وقالا معاشر المسلمين * الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين *
من يقتل رطي حدا * فليطلب لنفسه طريق النجا * ومن اطاق ان يشير
ذيله فلا يبيتن في دمشق ليله * ولا يغالط نفسه بالمن امنه * فليس
الخبر كالمعاينه * فتفرقت الاراء * واختلفت الاهواء * وماج
امر الناس موجا * وتفرقوا كما هوداً بهم فوجا فوجا * فبعض الناس
انتصح * وجهزامره وانتزح * وبعضهم كابر واصر * وكشر انيابه
لاستنبوغا وعبد القصار واهر * واردوا رجم هذين الناصحين *
وان يسقوهما كاس حين * وقالوا انما اردتما بذلك تبديد الناس
وتشريدهم * واجلاءهم عن اوطانهم وتجريدهم * وتفريق كلمتهم
وتمزيق جلدتهم * والا فالامن حاصل * والسلطان بحمد الله واصل *
والنواب في حلب كانوا شرذمة قليله * ولم يتم لهم معه الفكر والحيله *
مع انه حصل من بعضهم مخامره * ولم يوجد من الباقين مناصحة
ومظاهره * ولم يكن لهم راس * فلا تاخذوا في هذه المسئلة بالقياس *

تسع وثلاثين وثمانمائة عند وصولنا الى حماة بالجامع النوري بها
من الجانب الشرقي على حائطه القبلي نقشا على رخامة بالفارسي
ما ترجمته * وسبب تصوير هذا التسطير * هو ان الله تعالى يسر لنا
فتح البلاد * حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد *
فجاورنا سلطان مصر ثم راسلناه وبعثنا اليه قصادنا بانواع التحف
والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك
ان تنعقد المودة بين الجانبين * وتتأكد الصداقة من الطرفين *
ثم بعد ذلك بمدة قبض بعض التراكمة على اناس من جهتنا وارسلهم
الى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا
لاستخلاص متعلقينا من ايدي مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماة
في العشرين من شهر الربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة *

* فصـــــل *

ثم وصل الى حمص فلم يتعرض بها لتشتيت وتبديل * ووهبها لسيدي
خالد بن الوليد *
قلت بديها * شعر *

بما يتوالى من حادثات الزمان * وكأن انامل الله مر الله اثر * كتبت
لهم على مرآة الخاطر ما انشده الشاعر * شعر *

* الا انما الايام ابناء واحد * وهذي الليالي كلها اخوات *
* فلا تطلبن من عند يوم وليلة * خلاف الذي مرت به السنوات *

وقلت * شعر *

ان ابتغي ما في الزمان الآتي * نقس على الماضي من الاوقات

* فصــــــل *

ولما حجز تيمور امر حلب * ضبط اثقالها وما اخذ منها من مال وسلب *
ووضعه في القلعه * ووكل به بعض امرائه من ذوي الشجاعة والمنعه *
وهو الامير موسى بن حاجي طغاي * وكان ذا عزم شديد ورأي *
وتوجه بذلك العسكر الطام * غرة شهر الربيع الآخر الى جهة الشام *
فوصل الى حماه * ونهب ما حوت يداه * ولم يحتفل بامر نهب واسر *
ولا باسراع في مسير * بل سار رويدا * وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا *

* حكاية *

رأيت حين توجهنا الى بلاد الروم في اوائل شهر الربيع الاول سنة

الصلح بين يديه * فلم يلتفت الى هذا المقال * وارسل فيهم جوارح
النهب والاستيصال * ثم ارتحل مجريا ذلك البحر الزخار * والسيل
التيار والطوفان الثرثار * حتى اشرف على دمشق من قبة سيار *
ووصلت العساكر المصرية * والجنود الاسلامية * وقد ملأوا الفضاء *
واشرق الكون منهم واضاء * فيالق سهامها لحب قلب من نوى
الخلاف فالقه * وصواعق سيوفها في عقاص كل عقص صاعقه *
واسنة رماحها الرتق سماء الارواح عن ارض الاشباح فاتقه *
وقد طلبوا الاطلاب * وحزبوا الاحزاب * وعبوا الميمنة والميسرة *
ورتبوا المقدمة والمؤخرة * وسووا القلب والجناح * وملأوا البطاح
والبراح * وساروا بالمقانب المكتبه * والكتائب المقنبه * والكواكب
المكوكبه * والمراكب الموكبه * والمراتب المقربه * والمقربات
المرتبه * والسلاهب المجنبه * والنجائب التي هي على اكل اللجم
مستلهبه * وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم * ومن النسور
القشاعم *

* قلت * شعر *

* ألا لا تجاوروا النحس * يا حيا وكن جارهم في القبور *
* ألم تر حمص وسكانها * تجوا من بها زبلا يا تمور *
* لا تهجاوروا خالد ا * ومن جاور الاتقيا لا يبور *
وخرج اليه شخص من آحاد الناس * يدعى عمر بن الرواس *
فاستجلب خاطره * وكأنه قدم اليه تقدمة فاخره * فولاه امور
البلد * وركن اليه واعتمد * وولى قضاء تلك البلاد * رئيسا يسمى
شمس الدين بن الحداد * ونادى بالامان * للقاصي والدان *
وتبايعوا بها وتشاروا * وفي استفادة ربح الامن لم يتماروا * ثم ان نائب
الشام ضعف معه ومات على قبة يلبغا * ونائب طرابلس هرب منه
والخلاص ابتغى * فوصل الى مدينته * واستقر في ولايته * فاضطرم
غضبا * واستشاط لهبا * واشتعل قيظ غيظه * وقتل كل من وكله بحفظه *
واسعر بهم سقر * وكانوا ستة عشر * واما تمرداش فانه داراه ومارحه *
وهرب منه في قارا * واستمر علاء الدين التونبغا العثماني نائب صفد *
وزين الدين نائب غزة وغيرهما معه في صفد * ثم ساروا مارتبك *
حتى نزل على بعلبك * فخرج اهلها ودخلوا عليه * وتراموا طالبين

الصلح بين يديه * فلم يلتفت الى هذا المقال * وارسل فيهم جوارح النهب والاستيصال * ثم ارتحل مجريا ذلك البحر الزخار * والسيل التيار والطوفان الثرثار * حتى اشرف على دمشق من قبة سيار * ووصلت العساكر المصرية * والجنود الاسلامية * وقد ملأوا الفضاء * واشرق الكون منهم واضاء * فيا لق سها مها الحب قلب من نوى الخلاف فالقه * وصواعق سيوفها في عقاص كل عقص صاعقه * واسنة رماحها الرتق سماء الارواح عن ارض الاشباح فاتقه * وقد طلبوا الاطلاب * وحزبوا الاحزاب * وعبوا الميمنة والميسرة * ورتبوا المقدمة والمؤخرة * وسووا القلب والجناح * وملأوا البطاح والبراح * وساروا بالمقانب المكتبة * والكتائب المقنبة * والكواكب المكوكبة * والمراكب الموكبة * والمراتب المقربة * والمقربات المرتبة * والسلاهب المجنبة * والنجائب التي هي على اكل اللجم مستلهبة * وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم * ومن النسور القشاعم *

* قلت * شعر *

* وربَّ ذي ملجّب كالطّود ذي حنق * كأنّه البحر في أثنا دغابات *

* بحران في كلّ موج منهما أسد * يلاعب الموت في كفيه حيات *

* كلّ يرى العين معناه وصورته * عند النزال وان ينزل فشطفات *

* إن يسر تلق السما في الارض دائرة * اوسار تعقد ارضا منه غبرات *

وقد تنكبوا هنا يا المنايا وتقلد واسيوف الحتوف واعتقلوا الذ وابل

النواهل * وثبتوا حيث نبتوا وكأنهم خلقوا من كواهل الصواهل *

* قلت * شعر *

* كأنّ الجو ثوب لازوردي * يزركش نسجه قصب الرماح *

فان عقد القتام عليه ليلا * أرتك صفاحه لمع الصباح *

* كأنّ نجومه النشاب ترمي * شياطين الكفاح لدى النطاح *

ولازالت أفواج هذه الامواج * على هذا المنهاج متلاطمه * وأثباج هذا

البحر العجاج * تحت العجاج متصادمه * وكلّ ينادي بطريق المفهوم *

وما منا الا له مقام معلوم * فوصلت غيلان الوغى * الى قبة يلبغا *

يوم الاحد العاشر * من شهر الربيع الآخر * عام ثلاثة وثمانمائة

من الهجرة * فنزل كلّ من العساكر يمنة ويسرة * واستقرت العساكر

والامراء الاسلامية * في البيوت والمساكن * ونزلت الجنود
التتارية * غربي دمشق من داريا والخولة وما يلي تلك الاماكن *
ودخل بعض اثقال السلطان الى البلد * وتحصنت القلعة والمدينة
بالسلاح والعدد * ثم اخذ كل من الجيشين حذره * وتجهز للمقابلة
والمقاتلة امره * وحفروا الخنادق * وسد كل على الآخر افواه المضائق *
وشرعوا في المهاوشة والمناوشة * والمهارشة والمعانشة * ثم امر السلطان
العساكر * بالبروز من المدينة الى الظاهر * وجعل يخرج من المدينة
رؤساء اعيانها * وتنحاز في المقاتلة الى سلطانها * والاطفال الصغار
والرجال * يجأرون الى الجبال * وينادون بحرقة * كل ليلة في الازقة *
يا الله يا رحمن * انصر مولانا السلطان * والناس في اضطراب
وحركات * يستنزلون النصر والبركات * ويستغيثون الليل والنهار *
يا مجاهدون الاسوار * واستشهد من رؤساء البلد في تلك الايام *
قاضي القضاة برهان الدين الشاذلي المالكي الحاكم بالشام * وشلت
يد قاضي القضاة شرف الدين عيسى المالكي بضربة حسام * وجعلوا
يأتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه * وبما فعلوا منهم من ناطق

وصامت فيشهرونه *

ذكر واقعة وقعت * ومعركة صدعت * لو انها نفعت *

ثم في بعض الايام * تقدم من اولئك الاغنام * نحو من عشرة آلاف * وزحفوا الى ميدان المصاف * فنهض لهم من العساكر الشاميه * نحو من خمس مائه * ثم اتبعهم الامير استنبا ي في نحو من ثلاث مائه *

* شعر *

* اسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا * جبال اذا ارسوا بحار اذا سروا *
* شموس اذا الاعوايد ورا اذا انجلوا * رياح اذا هبوا غمام اذا همو ا *
* صقور اذا انقضوا نمور اذا سموا * رعود ادا صاحوا صواعق ان رموا *

مع كل منهم خطار تتمجد قد ود الملاح لخطراته * وبتار يتعلم سفك الدما من لحظاته * وحنية تضاهي حاجبه * وسهام في تشبهها باجفانه صائبه * وترس لين اللمس * اذا تغطى به رأيت البدر على شمس * وعليه خوذه * كانها من لعاب وجنته ماخوذه * او من بوارق طلعته مفلوذه * اذا نظر الطرف اليها يأخذ بالانبهار * يكاد سنابرقها يذهب بالابصار * ولبوس اشبه لابسه * وصار رملا نبسه * ظاهره حرير

ناعم بشرته * وباطنه حديد كقلبه في قسوته * وقد امتطوا الفحول * من نجائب الخيول * فكأن بدور تلك الجموع * مع الرماح المتهيئة * الأسنة عروس تجلى تحت الشموع * وتوجهوا الى حومة الوغى * وتلا قوافي واد خلف قبة يلبغا *

* فصــــل *

ولما رأت هذه الأسود تلك الذئاب والكلاب * كانوا كالمؤمنين وقد رأوا الأحزاب * فبان منهم صحيح الضرب وعلله * وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله * فاحاط اولئك بهؤلاء لكثرة الغلبه * وادار وا لقرضهم على هذه البحور الدائرة المجتلبه * وحين صاروا في خبن هذه الدائرة كالعروض * اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدائرة بالضرب العضوض * فاول ما اضمروا لهم في ذلك الزحف * قطف الرأس وخبل العقل وقطع الكف * فصلموا بالرمح الطويل عقلهم * وثلموا بالرشق المديد شكلهم * وبتروا بالعضب البسيط وافرهم * وشتروا بالسهم السريع كاملهم * فحذوهم وقصوهم * وخزموهم وشعثوهم وثرموهم * وهتموهم ووقصوهم وعصبوهم * وعقصوهم وخزلوهم ونقصوهم *

وصامت فيشهرونه *

ذكر واقعة وقعت * ومعركة صدعت * لو انها نفعت *

ثم في بعض الايام * تقدم من اولئك الاغنام * نحو من عشرة آلاف * وزحفوا الى ميدان المصاف * فنهض لهم من العساكر الشاميه * نحو من خمس مائه * ثم اتبعهم الامير استنبا في نحو من ثلاث مائه *

* شعر *

* اسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا * جبال اذا ارسوا بحار اذا سروا *
* شموس اذا الاهوال ورد اذا انجلوا * رياح اذا هبوا غمام اذا همو *
* صقور اذا انقضوا نمور اذا سموا * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا *

مع كل منهم خطار تشهد قدود الملاح لخطراته * وبتار يتعلم سفك الدماء من لحظاته * وحنية تضاهي حاجبه * وسهام في تشبهها باجفانه صائبه * وترس لين الملمس * اذا تغطى به رأيت البدر على شمس * وحليه خوذه * كأنها من لمعان وجنته ماخوذه * او من بوارق طلعته مفلوذه * اذا نظر الطرف اليها يأخذه الانبهار * يكاد سنا برقها يذهب بالابصار * ولبوس اشبه لابسه * وصار ملابسه * ظاهره حرير

فردوا صلا ورهم على الاعجاز * وسلك وعلى حقيقة الخلاص منهم المجاز * فانكشفوا عنهم وهم ما بين مشطور ومقطوع ومحذوف * ومجزور ومنهزك وموقوف * ورجع استنيا الى المشار اليه وقد اقتضب بحريه المتدارك حسيفهم * واجتث بضربه المتقارب المتماسك ثقيلهم وخفيفهم * وتسبيغ سوابغهم بالنصر مرفل * وبالتمكين التام مذيل * وبيت دائرتهم المتفقة آمن من الخلل * وعروضه وضربه سالم من الزحاف والعلل *

ذكر ما افتعله سلطان حسين * ابن اخت تيمور من المكر والمين *

ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور * اظهر انه خالف على خاله وجاء الى السلطان وفي باطنه امور * وكان شابا ذا شجاعه * وعنده طيش ورقاعه * واظهروا بقدومه الفرح واستشعروا النصر والمرح *

وكان في رأسه جمة شعر فازالوه * وخلعوا عليه وفي زيهم اظهروه *

* فصـــــل *

ثم ان تيمور اشاع انه خار وتقعقع * فرحل قليلا ورجع القهقرى

وتحكم * كل ذلك من مكائده * وحبائل مصائده * وبيان ذلك انه
بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيفرون * فيفوتونه
اذ ذاك ما ظهر الخون * وشيع انه راجل ليثبتهم * وعن الفرار
يثبطهم * فلما عزموا على الفرار * لم يبن لهم ثبات ولا قرار *

ذكر ما نجم من النفاق * بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق *

وكان اتابك العساكر * وكافل الملك الناصر * الامير الكبير باش بيك
وتحت يده الاكابر والاصاغر * والجند وان كان عدده كثيرا * والجيش
وان تراءى عدده غزيرا * لكن كان كل منهم اميرا * ولم يكن شيء
منهم سوى الرأي مغيرا * فتشتت آراؤهم * وتصارمت اهواؤهم *
وانتقلت اشعارهم من الدائرة المؤتلفة * الى الدائرة المختلفة *
ونقل كل منهم عن وزن بيته الى اعاريض * واخل في عرض صاحبه
بالتعاريض * وظهرت تلك الساعة آيات الرحمن * في اختلاف
الالسنة والالوان * وصاروا في رعاية الرعية كالذئب والضبع *
وسلطوا على مرعى هزيلها النمر الغضوب والسبع * ولحق في سند هذا
الحديث الاصاغر بالاكابر * والاسافل بالاعالي

والأوائل بالأواخر* وصاروا كما قال الشاعر*

* شعر*

* تفرقت غنمي يوما فقلت لها* يا رب سلط عليها الذئب والضبعا*

وتوجه منهم رؤس إلى العامرة* تاركا كل منهم قرته ونا صره* وصلقوا تيمور في نفيه عنهم معرفة السياسه* والدربة في سلوك طرائق الرياسه*

* فصل *

ولما علم الغابرون* ما فعله السائرون* لم يسعهم غير تشمير الذيل* واتباعهم تحت جنح الليل* ومن تخلف عن قوم* اواخذته سنة او نوم* وقع في الشرك* وهوى الى اسفل الدرك* وكان الناس في الليل والنهار* بلا زمين الا قامة على الاسوار* وكل قد فرح وابتهج* وتيقن انه حصل له من سلطانه فرج* ففي بعض الليالي* صعد الناس الى مكان عالي* واذا باماكن مخيم السلطان* قد ملئت من النيران* ولم يعرف احد ما الخبر* غير ان الدنيا ملئت بالشرر والشرز* واصبحوا وقد خلت الديار* ولم يبق في قبة يلبغا نافخ نار* فخشعت اصواتهم وسكنت حركاتهم* فجعلوا ايتها فتون وفيما بينهم

يتحيرون * وماج الشر واضطرب * وقال الناس السلطان هرب *

فانقصم ظهر الناس * وايقنوا بحلول الباس * وتفاقمت الهموم *

وتعاظمت الغموم * وتقطعت بهم الاسباب * وشمل الخلائق انواع

العذاب * وضاقت الحيل كالصدور * وتخبطت الاوامر والامور *

* فصل *

ثم ان تيمور حمد ربه * ورحل من مكانه ونزل القبه * والقى عصاه *

ونام مستريحا على قفاه * ونادى بمعنى ما قلت * * شعر *

* الحمد لله نلنا ما نؤمله * والضد ادبر والمأمول قد حصلا *

وحفر الخنادق حوله * وبث في الاطراف رجله وخيله * وارسل

الطلب * وراء من هرب * وصار كلما اتي باحد من اجناد الرجال *

امر بالقائه بين يدي تلك الافيال * فتفعل معه الافيال في تلك

الفلاة * ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكوة *

* فصل *

واما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم * لانه نشز نشوز الغيم *

وانساب انسياب الايم * وتوجه على وادي التيم * فانتشرت شياطين

تيمور في الأرض * وملأت الطول والعرض * ووصلت طراشتهم
الى أطراف البلاد وضواحيها * وعامة القرى ونواحيها * وجعلوا
من كل حدب ينسلون في مشارق الأرض ومغاربها التي بارك الله فيها *
وتقدموا الى المدينة * وكانت كما ذكرنا لأهبة حصينة * وبأنواع
الاسلحة مكينة * مسدولة الحجاب * مغلقة الأبواب * فتمنع أهلها
عليهم * ولم يسلموها اليهم * رجاء أن يشموا من النجدة الأرج *
أو يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج * فاستمروا على ذلك نحوا من يومين *
ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين * فكان قدوم السلطان
وذهابه بالعساكر * كما قال الشاعر *

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها اقشعت وتجلت *

ذكر خروج الأعيان * بعد ذهاب السلطان * وطلبهم من تيمور الامان *

ولما خابت ظنون * وعلموا انه حل بهم ريب المنون * اجتمع
من المدينة الكبراء * والموجود من الأعيان والرؤساء * وهم قاضي القضاة
محيي الدين محمود بن العز الحنفي وولده قاضي القضاة شهاب الدين
وقاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي وقاضي القضاة

شمس الدين بن عبيد الحنبلي النابلسي والقاضي ناصر الدين محمد بن
أبي الطيب كاتب السر والقاضي شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير
وكان منصب الوزارة إذ ذاك له أبهة ما في الجملة والقاضي شهاب الدين
الحياتي الشافعي والقاضي شهاب الدين إبراهيم بن القوشة الحنفي
نائب الحكم رحمهم الله فأما القاضي الشافعي وهو علاء الدين ابن
أبي البقاء فإنه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي وهو برهان
الدين بن الشاذلي فإنه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الأعيان *
وطلبوا منه الأمان * بعدما وقع المشاورة منهم والاتفاق * ونظمت
كلمتهم في سلك الوفاق *

* فصل *

ولما أقلع السلطان بفلك عساكره المشحون * وقع في بحر العساكر التيمورية
قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون * وكان من أعلام الأعيان *
وممن قدم مع السلطان * فلما قفل السلطان وافترق * كأنه كان جاءه فلا
فوقع في المشرك * وكان نازلا في المدرسة العادلية * فتوجه هؤلاء
الأعيان إليه في تدبير هذه القضية * فوافق فكره فكرهم * فملكوه

في ذلك امرهم * ورماه سعيهم * الا افتضحا به معهم * وكان مالكي
المذهب والمنظر * اصمعي الرواية والمخبر * فتوجه منهم بعمامة
خفيفة * وهيئة ظريفة * وبرنس كهو رقيق الحاشية * يشبه
من دامس الليل الناشية * فتقدموا بين يديهم * ورحبوا باقواله
وافعاله لهم وعليهم * وحين دخلوا عليه * ووقفوا بين يديه *
واستمروا واقفين * وحائرين خائفين * حتى سمح بجلوسهم * وتسكين
نفوسهم * ثم هش اليهم * ومر ضاحكا عليهم * وجعل يراقب احوالهم *
ويسبر بمسبار عقله اقوالهم وافعالهم * ولما راى شكل ابن خالدون
لشكلهم مباينا * قال هذا الرجل ليس من ها هنا * فانفتح للمقال مجال *
وبسط لسانه وسنذكر ما قال * ثم طووا بساط الكلام * ونشروا سماط
الطعام * فكوموا تلالا من اللحم السليق * ووضعوا امام كل ما به يليق *
وبعض تعفف عن ذلك تنزها * وبعض تشاغل عن الاكل بالحديث
ولها * وبعض مد يده واكل * وما جبن في مصاف الالتهام ولا نكل *
والى الاكل ارشدهم * وناداهم وانشدهم *

* شعر *

* كلوا الأكل من ابن عاش اخبرا اهله * ومن هاتي يلتق الله وهو بطين *

وكان من جملة الآكلين * قاضي القضاة ولي الدين * وكل ذلك وتيمور

بر معهم * وعينه الخزراء تسترقهم * وكان ابن خلدون ايضا

يصوب نحو تيمور الحدق * فاذا نظر اليه اطرق * واذا ازوى عنه

رمق * ثم دنا وقال * بصوت عال * يا مولانا الامير * الحمد لله العلي

الكبير * لقد شرفت بحضور ملوك الانام * واحييت بتواريخي

ما ماتت لهم من الايام * ورأيت من ملوك العرب فلانا وفلانا *

وحضرت كذا وكذا سلطانا * وشهدت مشارق الارض ومغاربها *

وخالطت في كل بقعة اميرها ونائبها * ولكن لله المنة اذ امتد بي زماني

ومن الله علي بان احياني * حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة *

والمسلك شريعة السلطنة على الطريقة * فان كان طعام الملوك يؤكل

لدفع التلف * فطعام مولانا الامير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف *

فاهتز تيمور عجبا * وكاد يرقص طربا * واقبل بوجهه الخطاب اليه *

وعول في ذلك دون الكل عليه * وسأله عن ملوك العرب واخبارها *

وايام دولتها وآثارها * فقص عليه من ذلك ما خلب عقله وخلبه *

وجلب لبه وسلبه * وكان تيمور في سير الملوك والامراء امه * وبالتاريخ
شرقا وغربا والمه * وسنذكر لهذا المعاني * بديع بيان *

* فصل *

وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك النحير * اذا بالقاضي صدر
الدين المناوي في ايديهم اسير * وكان قد تبع السلطان في الهرب *
فادركه في ميسلون الطلب * فقبضوا عليه * واحضروه بين يديه *
واذا هو بعمامة كالبرج * واردان كالخرج * فتخطى الرقاب *
وجلس من غير اذن فوق الاصحاب * فاستشاط تيمور غضبا * وملأ
بالمجلس لهبا * والتفت شزرة * ونخر غيظا نهرة * وشخر ونخر ومخر بحر حنقه
وزخر * وامر طائفة من المعتدين * بالتنكيل بالقاضي صدر الدين *
فسحبوه سحب الكلاب * ومزقوا ما عليه من ثياب * واوسعوه سبا
وشتما * واشبعوه ركلا ولكما * ثم امرهم بتشديد اسره * وتبديد
كسره * وترادف الاساءة اليه * وتضاعف الكسرات على رغم التصريفيين
عليه * فاخرج اخراج الظالم * يوم يولي مدبرا ماله من دون الله
من عاصم * ثم تراجع تيمور الى ما كان فيه * من ترتيب شوائله وذرائعه *

فألبس كلا من هؤلاء الأعيان خلعه * وأقامه عنده في عزة ورفعه *
ثم ردهم منشرحي الصدور * في دعة وسرور * وفي خاطره
شرور * وأمور تمور * فساروا * وقد حاروا *

* قلت * شعر *

* كالهدي زينه المهدي وعظمه * وعن قريب لضيف الموت أطعمه *

وشرط لهم ولذويهم الأمان * على أن يدفعوا إليه أموال السلطان *
وماله وللأمراء من أثقال * ومتعلقات بأموال * ودواب ومواش * ومماليك
وحواش * ففعلوا ما به أمر * ورفعوا اليه ما بطن من ذلك
وما ظهر * فأما القلعة فإنها استعدت للحصار * وكان نائبها يدعى
ازدار * فحصنها * وبالأهبة الكاملة مكنها * وانتظر من السلطان
نجدة * أو مانعا ربانيا يفرج عنه الشدة * فلم يلتفت تيمور في أول
الأمر إليها * ولا احتفل بها ولا عرج عليها * بل صرف همه إلى تحصيل
الأموال * وتوسيق الأحمال بالأثقال * فلما حصل الثقل * وإلى
خزائنه انتقل * طرح على المدينة أموال الأمان * واستعان على
استخلاصها بهؤلاء الأعيان * وأقام عليهم دواوينه وكتبته * وأهل

الضبط والحرص من مباشرته وحسبته * وفوض ذلك الى كفاية الله داد *
احد اركان دولته ومن عليه الاعتماد * وهو اخو سيف الدين المذكور
في اول الكتاب لامه * واقام معهم كل حينا وعنيد ومن نشأ في حجر الفظاظة
ورضع ثدي ظلمه * وناذى بالامان والاطمئنان * وان لا يبغي
انسان على انسان * فدل بعض الجغتاي يده الى غارة * بعد ماسمعوا
من النداء واشتهاره * فبلغ ذلك تيمور * فامر بصلبهم في مكان
مشهور * فصلبوهم في التحريريين * براس سوق البزوريين *
ففرح الناس بهذه الفعلة * واملوا خيره وعدله * وفتحوا من ابواب
المدينة الباب الصغير * وشرعوا يحررون امر المدينة على التقرير
والقطمير * فوزعوا هذه الاموال على الحارات * وتنادى اهل
الظلم والعدوان من القريب والغريب بالثارات * وجعلوا دار الذهب
مكان المستخلص * وطفقوا يلقون الناس في ذلك المقنص * وتسلط بعض
الناس على البعض * واصطادت ارانب الارض كلاب الارض *
وكان فصل الخريف كجيش مصر قد قفل * وفصل الشتاء بزمهريره
كجند تيمور بنيرانه على العالم قد نزل * فانتقل الى القصر الابلق *

ثم الى بيت الامير بشاص وامر با لقصر ان يهدم ويحرق * ودخل
الى المدينة من الباب الصغير * في جمع كثير * وصلى الجمعة في جامع
بني امية * وقدم الحنفية على الشافعية * وخطب به قاضي القضاة
محيي الدين محمود بن العز الحنفي المذكور * وجرى ما يطول شرحه
من امور وشرور * ووقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي
المعتزلي * وبين علماء الشام لاسيما قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم
بن مفلح الحنبلي * مناظرات ومناقشات * ومباحثات ومراجعات *
وهو في ذلك كترجمانه * يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه * فمنها
وقائع علي ومعاوية * وما مضى بينهم في تلك القرون الخالية *
ومنها امور يزيد وما يزيد * وقتله الحسين السعيد الشهيد * وان
ذلك ظلم وفسق بلا نكر * ومن استحله فهو واقع في الكفر * ولا شك
ان ذلك الفعل الحرام * كان بمظاهرة اهل الشام * فان كانوا مستحليه
فهم كفار * وان كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة واشرار * وان
الحاضرين * على مذهب الغابرين * فحصل منهم في ذلك انواع
الاجوبة * فمنها ما ردة ومنها ما اغيبه * الى ان اجاب كاتب السر

وأجاد * وأصاب فيما قال لو أناد * أطال الله الكبير * بقاء مولانا الأمير *
أما أنا فنسبي متصل بعمر وعثمان * وإن جدي الأعلى كان من أعيان
ذلك الزمان * وحضر تلك الوقائع * وخاض هاتيك المعامع * وكان
من رجال الحق * وأبطال الصدق * ومما تواتر من فعله * ووضح
الشيء في محله * أنه توصل الى رأس سيدنا الحسين * ونزهه
عما حصل له من ابتذال وشين * ثم نظفه وغسله * وعظمه وقبله
وطيبه وبجله * وواراه في تربه * وعد ذلك عند الله تعالى
من أفضل قربه * فلذلك أيها الغمام الصيب * كنوه بأبي الطيب *
وعلى كل تقدير * أيها الأمير * فتلك أمة قد خلت * وغموم غيرها انجلت *
وبما جرعت انقضت * وبما أذاقت مرت وحلت * وفتن أراحنا الله
إذ أزاحنا عنها * ودماء طهر الله سيوفنا منها * وأما الساعه *
فاعتقادنا اعتقاد أهل السنة والجماعه * فلما سمع هذا الكلام قال يا لله
للعجب * وما سميتم بأولاد أبي الطيب إلا لهذا السبب * قال نعم
ويشهد لي بذلك القاصي والداني * وأنا محمد بن عمر محمد بن أبي
القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن أبي الطيب العمري العثماني * فقال

لكَ المنّة * يا طيبَ الأسلاف * لولا أنّي ظاهرُ العذر لحملتُك على عاتقي

والأكتاف * ولكن سترى ما أفعله معك ومع أصحابك من التكريم

والألطاف * ثم إنه ودّعهم * وبالتعظيم والاحترام شيّعهم * ومنها أنه

سألهم كناية * سؤالَ إضرارٍ ونكاية * فقال ما أعلى الرتب * درجة

العلم أو درجة النسب * فأدركوا قصده وفهموا * لكن عن ردّ الجواب

وجموا * وعلم كلٌّ منهم أنه قد ابتُلي * فابتدر بالجواب القاضي

شمس الدين النابلسيّ الحنبلي * وقال درجة العلم أعلى من درجة

النسب * ومرتبتها عند الخالق والمخلوق أسنى الرتب * والهجين

الفاضل * يقدّم على الهجان الجاهل * والمقرف المنيف * أولى

للإمامة من السيد الشريف * والدليل في هذا جلي * وهو إجماع

الصحابة على تقديم أبي بكر على علي * وقد أجمعوا على أنّ أبا بكر

أعلمهم * وأثبتهم قدماً في الإسلام وأقدمهم * وإثبات هذه الدلالة *

من قول صاحب الرسالة * لا تجتمع أمتي على ضلالة * ثم أخذ في نزع

ثيابه * مصمّماً لتيمور وما يصدر من جوابه * ففكّك أزراره * وقال لنفسه

إنما أنتِ عارة * وكأس الموت لا بدّ من شربها * فسواءٌ ما بين بعدها

وقربها * والموت على الشهادة * من أفضل العبادة * وأحسن أقوال من اعتقد أنه الى الله صائر * كلمة حق عند سلطان جائر * فسأل ما يفعل * هذا المهمل * فقال يا مولانا الجليل * ان فرق عساكرك كأمم بني اسرائيل * وفيهم من ابتدعوا بدعا * وتقطعوا في مذهبهم قطعا * وفرقوا دينهم وكانوا شيعا * ولا شك ان مجالس حضرتك تنقل وعقائل مباحثها تحل العقد وتعقل * واذا ثبت هذا الكلام عني * ووعاه أحد غير سني * خصوصا من ادعى موالاة علي * ويسمى في رفضه أبا بكر بالرافضي * وتحقق مني يقيني * وانه لا ناصر لي يقيني * فانه يقتلني جهارا * ويريق دمي نهارا * واذا كان كذلك فأنا استعد لهذه السعادة * أحتم أحكام القضاء بالشهادة * فقال لله هذا ما أفصحه * وأجرأه في الكلام وأوقحه * ثم نظر الى القوم * وقال

لا يدخلن هذا مجلسي بعد اليوم

* فصـــــل *

وهذا الرجل أعني عبد الجبار كان عالم تيمور وامامه * وممن يخوض في دماء المسلمين أمامه * وكان عالما فاضلا * فقيها كاملا * بحاثا محققا *

اصوليا جدليا مدققا * وابوه النعمان * في سمرقند كان * وهو
في الفروع من اعلم اهل الزمان * حتى كان يقال له النعمان الثاني *
وكان من القائلين بعدم الرؤية في الاخرى * فاعمى الله تعالى
بصره كبصيرته في الدنيا * واكثر علماء عصره بما وراء النهر قرأ عليه
الفروع ونقل عنه مسائل المشروع * ولا خلاف في الفروع
بين اهل السنة واهل الاعتزال * وانما اختلافهم في اصول الدين
في مسائل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال *

* فصل *

وتصدى لاستخلاص الاموال من اهل الشام * كل غشوم ظلام وكفور
هدام * وكان في قلة وفاقه * كصدقة بن الحاربي وابن المحدث .
وعبد الملك بن التكريتي المنبوز بسماقه * وغيرهم من نظرائهم *
من عواقب الظلم وابنائهم * مع حضور اكابر المدينة واعيانها *
المار ذكرهم ورؤساء قطانها * فانه لم يمكنهم في ذلك ان يتخلفوا *
ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا * وحضور دواوينه وحسابه *
وضابطي امور خزائنه وكتابه * ومنهم خواجه مسعود السمناني *

ومولانا عمر وتاج الدين السلماني * كل ذلك في دار الذهب وهو مكان مشهور * ونزل الله داد داخل الباب الصغير في دار ابن مشكور * وجعل كل من في قلبه من اجله ضغينه * او شحنة دفينه * او غل او حسد * او حقد او فكد * يغمز على اخوته اولئك الظلمة الفظاظ * والزبانية الشداد الغلاظ *

* شعر *

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا *

بل بادنى اشارة * واقل عبارة * يبنون على ارض وجود ذلك المسكين من جبال النكال قصورا شواهق * وينشئون على حله اثق ذاته من سماء العنا سحاب عقاب ترعد عليه صواعق * وتبرق له من الدمار والبوار بوارق *

* فصــــل *

ثم انه صار في مدة المدة * يحاصر القلعة ويعد لها ما استطاع من عدة * وامر ان يبنى مقابلتها بناء يعلوها * ليصعدوا عليه فيهدوها * فجمعوا الاخشاب والاحطاب وعبوها * وصبوا فوقها الاحجار والتراب

ودكوها * وذلك من جهة الشام والغرب * ثم علوا عليه وناوشوها
الطعن والضرب * وفوض امر الحصار * لامير من امرائه الكبار *
يدعى جهان شاه * فتكفل بذلك وعاناه * ونصب عليها المجانيق *
ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق * وكان فيها من المقاتلة * فئة
غير عاطلة * امثلهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقي *
وشهاب الدين بن احمد الزردكاش الحلبي * فابليا في عسكره بلاء
حسنا * وكان طي جيشه كلما فاء الى فنائهم وباء مصيبة وفنا * فاحرقا
من جيشه بالاحراق * وارعاد المدافع والابراق * ما فات العد *
وتبدد عن دائرة الحد * ولكنه لما احاط بها من بحار تخريبه سيل
عرم سائلها * وامطر عليها من سهام غمام رماته وصواعق بوارق
كماته صيب وابلها * اتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن ايمانها
وعن شمائلها * وكلت من المجاذبة والمنابذة ايدي مقاتلها * فطلبوا
الامان * ونزلوا اليه من غير توان * وكل هذا الامر المهول والقضاء
العجب * في اواخر شهر الربيع الآخر وجمادين وشهر رجب. * ولكن
ما نال من القلعة روما * الا بعد محاصرتها ثلاثة واربعين يوما *

وما رفي منه الممدة يتطلب الافاضل * واصحاب الحرف والصنائع وارباب الفضائل * ونسج الحريريون له قباءً ابالحرير والذهب * ليس له درز فاذا هو شيء عجب * وبنى في مقابر الباب الصغير قبتين متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم * وامر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم اكثر من غيرهم وقدم *

ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس * خوفا من ان يحل به الباس * ووقى وقيا بنفائسه النفوس والانفاس *

وكان في صفد * تاجر من اهل البلد * اجل الرؤساء والتجار * يدعى علاء الدين وينسب الى دوادار * كانه تقدمت له خدمة على السلطان * فولاه حجابة ذلك المكان * فلما توجه النواب الى حلب * والعادة ان ينوب عن نائب البلدة في غيبته من حجب * ناب عن نائبها التونبغا العثماني * حاجبها علاء الدين الدواداري * نغرق في ابحر ذلك الطوفان * كل النواب من جملتهم العثماني وابن الطحان * ومات منهم من مات وفر من فر * واستمر في قيد الاسر التونبغا وعمر * فلما قدم تيمور الشام * وحل بها منه ما يحل من قضاة السوء باموال الايتام *

شرع كل متولٍ في بلاد * يفعل ما ادى اليه الاجتهاد * فبعض حصن
اماكنه * وبعض مكن كمائنه * وطائفة استنجزت للنفار * وفرقة استوفزت
للفرار * وقوم سالموا وساكنوا * وهادوا وهادنوا * ففكر علاء الدين
المذكور وقدر * وتامل في خلاص صاحبه وبلده وتبصر * وكان
من انباء الناس * وعنده ذوق الاكياس * واستشار مصيب عقله في ذلك
واستنطقه * فقال داره بما معك من مالٍ واترك سرب الفرار ونفقه *
وما كنه به اذ قال له كل مداراةٍ عن العرض ستر له وصدقه * وكان ذا مالٍ
ممدود * فقال ما ادخرت الدنانير الصفر والدراهم البيض الا للايام
السود * فطلب من تيمور الرياضه * واراد ان يجس اولاً بحبا ملته
مخاضه * فعالج هذا الامر علاج النطس المريض * وبادر بالمهادنة
وحال الجريض دون القريض * وارسل الى تيمور اجناساً من ماله
الطويل العريض * واستمال خاطره * واستدعى اوامره * ثم اردفها
باضعافها * واضعف خواصرها باردافها * فشكر تيمور له صنعه *
وزاده ذلك عنده منزلةً ورفعه * وارسل اليه مرسوم امان * وان
يعامل هو واهل بلده بالمجاملة والاحسان * فليؤمن روعهم * وليسكن

جنسهم ونوعهم * ولتؤنس وحشتهم * ولتذهب دهشتهم * بحيث انهم يتبايعون ويتشازرون * والى معاملتهم من عساكره يتجارون * وان استطال احد من اجناده * ولو انه من اخوته واولاده * فليقابله بالمنع والانكار * والضرب والاشهار * وصار يطلب منه ما اراده * فيرسله اليه بزيادة * وكلما زاد فيما يقترحه عليه من نقل وجنس طلبا * زاد علاء الدين لذلك نشاطا وطربا * ومن جملة ما اقترح عليه في ذلك المقبض * حمل بصل ابيض * بناء على ان ذلك لا يوجد في الشام باسرها فضلا عن صفد * ففي الحال وجد من ذلك ثلاثة احمال فارسلها اليه كما هي * وكان ذلك من الفضل الالهي * حتى احبه وتمنى قربه * وقال فيه معنى

ما قلت * شعر *

* داريت وقتك واحتميت ببذل ما لك يا بشر *

* لو كان مثلك آخر * في الشام ما بيعت بشر *

وتوجه طوائف من العسكر اليهم * واشتروا منهم وباعوا عليهم * واستمرت عقود المصادقة لم تحل * الى ان قوض خيامه عن دمشق ورحل *

فلمّا انقشع عن الشّام ضباب ضيره * وامتدّ في ميدان الرحيل حبل سيره * اعقب علاء الدين الداوداري * قاصدا الى ذلك الاسد الضاري * ومعه تحف سنيه * وتحف ملوكيه * ومطالعة فحاويها رائقه * ومعانيها فائقه * والفاظها بالخضوع والخشوع ناطقه * فيها من الترقيقات ما تقشعر منه الجلود * ويلين له الحديد والصخر الجلمود * ويجري في طبائع الابدان اليابسة جري الماء في العود * وطلب في اثنائها مرحمة في امر العثماني وابن الطحان * وجزنا صية عبوديتهما بمقراض الاعتاق والامتنان * وان يجعل العفو عنهما شكرا للقدرة * ويفيض عليهما من بحار مراحمه قطره * وانهما اقل من ان ينسبا الى اسره * اذ ملوك الارض تود لو كانت اطفالا تحت حجره * ورأيه الشريف اعلى * وامتثال ما يبديه من المراسيم اولى * فلما اطلع تيمور على فحواه * وفهم ما ابداه وما انهاه * وشاهد تحفه وهداياه * وتفكر في اول امره ما الحمه معه من الخدم وما اسداه * والخير له تأثير * والبادئ اكرم * والشر كله تقصير * والبادئ اظلم *

قلت * شعر *

تَرَقَّبْ جَزا الحُسْنَى اذا كُنْتَ مُحْسِنًا * ولا تَخْشَ من سُوءٍ اذا انتَ لا تُسِي *

وقيل * شعر *

* مَنْ يفعلِ الخَيْرَ لا يُعْدَمْ جَوائِزُهُ * لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ *

لانَ قَلبَهُ وانْ كان حَدِيدًا * ومانَ صعبهُ الذي لم يَزَلْ شديدًا *

فَدَعاهُما * واكْرَمَ مَثْواهُما * واحْسَنَ اليهِما * وذَكَرَ لهما شَفاعَةَ هؤلاء

الذين فيهما * ثم امَّنَهما الباس * واعطاهما ثلاثة افراس * للعثمانِي

اثنان * وواحِدَةٌ لعُمَرَ بن الطَّحان * ثم اضافَ اليهما مَنْ * بلغهما

المأمن * فوصلَ كلٌّ منهما الى دارِ عزَّته * وحَلَّ ذاكَ في مَحَلِّهِ

وهذا في عزَّتِهِ *

* فصــــل *

ولما تنجَّزَ لتيمورَ اخذُ القلعة * جهَّزَ امرَهُ ورامَ الرَّجعة * وقد استخرج

منها ما اراد من نفائسَ واموال * بانواعِ العقابِ واصنافِ

العذابِ والنَّكال *

ذكر معنى كتاب ارسل اليه * على يد بيسق بعد ما فرّوا من بين يديه *

وقيلَ انَّ السُّلطانَ لمّا هَرَبَ * ارسَلَ اليهِ كتابًا آثارَ منهُ الغضب *

فمن معناه * وفحوى ما عناه * لا تحسب انّا جزعنا منك * ونفرنا عنك *

وانّما بعض ممّا ابكانا قوّى انفاسه * واخرج عن ربقة الطاعة راسه *

وتصوّر انّ كلّ من خرج عرج * ولم يعتبر بمن رام للارتقاء سلّما فلدرج *

واراد بذلك مثلك القاء الفساد * وهلاك العباد والبلاد * وهيهات فانّ

دون مرامه خرط القتاد * والكريم اذا بلا بجسمه مرضان يداويه

الاخطر * ورأيناك انت اهون الخطبين واحقر * فثنى عزمنا

الشريف عنانه * ليعرك من ذلك القليل الادب آذانه * ويقيم

في نظم طاعته ميزانه * وايم الله لنكرّن عليك كرّة الاسد الغضبان *

ولنوردنّ منك ومن عساكرك نواهل القنا موارد الاذعان * ولنحصدنّكم

حصد الهشيم * ولندوسنّكم دوس الحطيم * فلتلفظنّكم رحى الحرب

في كلّ طريق * لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق *

ولنضيقنّ عليكم سبل الخلاص * فلتنادنّ ولات حين مناص *

ونحو هذه الترّهات * ومثل هذه الخرافات * التي هي كالملح

على المجروح * وكالريح عند خروج الروح * ولو كان بدل هذا

الكلام الذي لا طائل فيه * والخطاب الهذيان الذي تمجّه الآذان

وترميه * ما يستميل خاطره * ويطفئ من لهيب غضبه نائره * مع شيء من الهدايا والتقادم * وابرازها بهم في صورة المعتذر النادم * ربما كان تكسر من غيظه * او همك من حنقه وبرد من قيظه * وانما فعلوا تلك المعذرة * بعد حريق دمشق وخراب البصرة * وارسلوا الخدم والهدايا ضبة النعام والزرافات * وقد اعجز التدارك وفات * وصاروا كما قيل *

* شعر *

ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله * في النائبات ولكن بعد ما افتضحا *

وكما قيل * مصراع * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل *

* فصـــــل *

ذكر بيسق منه اقال لما مثلت بين يديه * واديت الرسالة اليه * وقرئ الكتاب عليه * قال لي قل الحق * ما اسمك قلت بيسق * قال ما من لون منه اللفظ المزري * قلت له مولانا لا ادري * فقال انت لا يعرف من لون اسمك يا تعاله * فكيف تصلح لتحمل الرسالة * ولولا ان عادة الملوك ان لا يهجوا الرسل * وقد مهد وامهد ذلك القواعد وسلكوا

السبل * وانا اولى من يتبع آثار السلاطين * ويحيي سنن الملوك الماضين * لفعلت معك ما يجب فعله * ولا وصلتك ما انت اهله * وبعد هذا فلا عتب عليك * وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك * ولا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه * ومدرك عقله وفهمه * وقد ظهر بفعله الوبيل * نتيجة

ما قيل *

تخير اذا ما كنت في الامر مرسلا * فمبلغ آراء الرجال رسولها *

ثم قال لي توجه الى قلعتكم * ومكان عزتكم ومنعتكم * فذهبت فوجدتها قد دكت دكا * وهتك حرمها وحريمها خسفا وهتكا * ثم اتيته * وذكرت له ما رأيته * فقال ان مرسلك اقل من ان اجامله * واذل من ان اراسله * ولكن قل له اني واصل اليه على عقبك * وها انا منشب مخاليب اسود بني نبك * فليشمر للقرار وللفرار الذيل * وليعد لايهما اختار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل * ثم امرني فاخرجت وما صدقت * ان تصوبت الى جهة مصر ودخلت *

* فصل *

وخمسين ملأ جراب طمعه من نفائس الاموال وردنه * واستدر خلفا نها شيئاً فشيئاً ضافيا ورنقا حتى صفا ها بقطنه * امر بتعذيب هؤلاء الامراء الكبار * فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس وكووهم بالنار * واستخرجوا خبايا الاموال منهم استخراج الزبيب بالمعصار * ثم اطلق عنان الاذن لعساكره بالنهب العام * والسبي الطام * والفتك والقتل والاحراق * والتقييد بالاسر طي الاطلاق * فهجمت اولئك الكفرة الفجرة على ذلك اشد الهجوم * وانقضوا على الناس بالتعذيب * والتتريب والتخريب * انقضاض النجوم * وانتهبوا وربوا * وفتكوا وسبوا * وصالوا على المسلمين واهل الذمم * صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم * وفعلوا مالا يليق فعله ولا يجمل ذكره ونقله * واسروا المخدرات * وكشفوا غطاء المستورات * واستنزلوا شموس الخدور * من افلاك القصور * وبدور الجمال * من سماء الدلال * وعذبوا الكبار والاصاغر بانواع العذاب * وبلى الخلائق مالم يكن في الحساب * واستخلصوا باصلاء النار جواهر الناس منهم خلاصات الذهب * وصنفوا في استخراج النفائس

من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضي منها العجب * وفرقوا بين الوالدة وولدها * والروح وجسدها * وذهلت كل مرضعة عما ارضعت * وجازوا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت * وفر المرء من اخيه وامه وابيه * وصاحبته وبنيه * وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه * وذل العزيز والكريم * وهان الخطير والجسيم * وطم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم * وتبلدت الفهوم وتراكمت غيوم الغموم * فاقسم بالله لقد كانت تلك الايام * علامة من علامات يوم القيام * اسفرت تلك الساعة * عن اشراط الساعة * واستمر هذا النهب العام * نحوا من ثلاثة ايام *

ذكر القائهم النار * في البلد لمحو الآثار *

ثم انهم لما انتهوا العيث والعبث * وقضوا في حج فسادهم التفث * واتموه بالفسق والجدال والرفث * وطافوا وسعوا في المنكرات * رموا في البيوت النار وفي القلوب الجمرات * وافاضوا ما اراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاحصار * ورملوا في اشواط الاحراق فارسلوا في حرم المدينة شواظا من نار * وكان فيهم من روافض الخراسانية * فاطلقوا النار في جامع

بني اميه * فتشبثت النار بلهيبها * وساعدت الريح بهبوبها * فتسارعا في محو الآثار ريحا ونارا * واستمرا على ذلك باذن الله تعالى ليلا ونهارا * فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس * وانمحى بلسان النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس * وامست تلك المغاني لا تسمع فيها لاغية ولا الهمس * واصبحت حصيدا كان لم تغن بالامس * وذلك بعد ان اظهروا ما اخذوا من اموال * واوسقوا منه الاحمال *

ذكر اقلاع هاتيك الرزايا * واقشاع غمام تلك الدواهي والبلايا * عن بلاد الشام بما تحمله من اوزار وخطايا *

ثم ارتحل ذلك القتان * واقلع صيب بلائه الهتان * يوم السبت ثالث شعبان * وقد اخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم * وتحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم * فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل * ويلقونه شيأ فشيأ في اوعار المراحل * وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل * واضحت القفار والبراري * والجبال والصحاري * من الامتعة والاقمشه * كانها اسواق الدهشه * وكان

الارض فتحت خزائنها * واظهرت من المعادن والفلزات كامنها *

قلت بديها * شعر *

* وصار لسان شرهم ينادي * على قنن الشواهق والبوادي *

الا ذي بشنشنة عرفناها * وعادة فساد الفناها * ومن ملكنا ودينه
اقترفناها * نهبنا اموال المسلمين وحفظناها * وما في وجهها
صرفناها * ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها *

ومع ذلك فلو اخذ من نفائس دمشق اضعاف ما اخذ * وفلذ من اكباد
ذخائرها آلاف ما فلذ * ما غاض ذلك ما في عينها * ولا نقص
من بحار معينها * ولكن النار كانت هي البلاء الداهي * والمصاب
المتناهي * لانها احرقت غالب من كان داخل البلد لعدم الغوات *
فما ظنك بما يكون من العمائر والاقمشة والاثاث * وضريت الكلاب
باكل لحوم من مات داخل البلد * فما صار يتجاسر على العبور الى جامع
بني امية احد *

ذكر ما جرى في مصر وسائر الاقطار * عند سماعهم هذه الاخبار * واستيقانهم
هذه الاهوال والاخطار *

فاما مصر فما دونها من البلاد فانها تخبطت * وانحلت قواها وايديها تربطت * وعدمت القرار * واستعدت للفرار * فلو رأيت الناس وهم حيارى * سكارى وما هم بسكارى * ابل انهم راجفه * وقلوبهم واجفه * واصواتهم خافته * وابصارهم باهته * وشفاههم يابسه * وصورهم بائسه * ووجوههم باسرة * تظن ان يفعل بها فاقرة * وقد استوفز كل من اهل الامصار * وسكان الانجاد والاغوار * وقد اصاخ لما يرد عليه من جلي الاخبار * فيبني على ذلك ما يكون * من متعلقات الحركة والسكون * فاخذ تيمور على طريقته العوجا * ورجع على سبيل بغيه التي اتخذها شرعة ومنهاجا * وقد ملأت عساكره الآفاق والاكناف * وعمت هيبته الارجاء والاطراف *

ذكر من اصيب من سهام القضاء بالرشق *

ووقع في مخاليب اسره من اعيان دمشق *

واخذ من اعيان الشام * ومشاهيرها الاعلام * قاضي القضاة محيي الدين بن العز الحنفي بعد ان عاقبوه بانواع العقاب وكووه * وسقوه الماء والملح وبالكلس والنار شووه * وولده قاضي القضاة

شهاب الدين ابو العباس * فوصلا الى تبريز ومكثا بها مدة في شدة
وباس * ثم رجعا الى الشام * واخذ امرهما في الانتظام * وقاضي
القضاة شمس الدين النابلسي الحنبلي * وقاضي القضاة صدر الدين
المناوي الشافعي * فتوفي الى رحمة الله الوهاب * غريقا في نهر
التراب * وشهاب الدين احمد بن الشهيد المعتبر * وكان متحملا
اوزار الوزر * بعد ان راموا عذابه * وطلبوا عقابه * وكان قد جهز
متعلقيه الى الاماكن البعيدة * واقام هو في دمشق جريدة * فذكر
لهم حكايته * وبذل لهم في دفع موجوده طاقته * فاخذوا ما اخفاه
خفيه ولم يعاقبوه * ولكنهم بالاذية والقلة استصحبوه * فوصل الى
سمرقند وقاسى بها من صروف الزمن * انواعا من غربة وفقر ومحن *
ثم رجع الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى * ومن الامراء الخاص *
الامير الكبير بتخاص * وكان مقيدا معه ومات * عند وصوله الى
الفرات * فاما القاضي ناصر الدين ابن ابي الطيب فانهم عاقبوه بكل
بليه * وكان رقيق البدن لطيف المزاج سوداويه * فما كان عنده لذلك
ثبات * فاعجزهم عما يرومون منه بالموت وفات * فمات واستراح * وشرب

من الشهادة كاس مدام جاءه وراح * فلد فنوه عشيه * يا لمدرسة
الكروسيه * ولما شرع في النهب العام المبرح * استشهد غلطا قاضي
القضاة تقي الدين بن مفلح * وبرهان الدين بن القوشة ضعف
سبعة عشر يوما * وانقطع في حارة تل الجبن ولحق بالاموات قوما *
وكانوا قد خرجوا على الاحياء والاموات * وخافوا ان لايكون لاحد
منهم من ايديهم بحجة الوفاة فوات * فضبطوا بيوت المدينة بيتا بيتا *
وحرجوا ان لايخرج الاحياء ولا تجهز الموتى * فلما مات المذكور *
تعسرت الامور * فتحيروا في تجهيزه * وتغالبوا في امره وتنجيزه *
ثم بعد جهد بليغ وسعي كثير * دفنوه في الصالحية بعد اخراجه من
الباب الصغير * وخرج مع تيمور بالاختيار من الشام * عبد الملك بن
التكريتي فولاه نيابة سيرام * فمكث فيها القليل من الايام *
ومي وراء سيحون * وشخص آخر يدعى يلمغا المجنون * وكان مقربا
عنده * وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده * واخبره على ماقيل
بعد اوي * فخلصه بذلك من المهالك والمهاوي * وحصل له بذلك
قربه * وزيادة ملازمة وصحبة * فولاه ذلك الجساس * نيابة مدينة

تل عني ينكي بلاس * وراء نهر خجند * نحو خمسة عشر يوما عن

سمرقند * بينها وبين سيرام * نحو من اربعة ايام * وكان اسم ذلك

الخؤون * احمد فتلقت بيلمغا المجنون * واخذ من دمشق ارباب

الفضل واهل الصنائع * وكل ماهر في فن من الفنون بارع * من النساجين

والخياطين * والحجارين والنجارين * والاقباعية والبياطرة

والخيميه * والنقاشين والقواسين والبازداريه * وفي الجملة اهل اي

فن كان * وجمع كما ذكر العسودان * وفرق هؤلاء الطوائف على

رؤس الجند * وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند * واخذ جمال الدين

رئيس الطب وشهاب الدين احمد الزردكاش وكان في القلعة كما ذكر

وآباءه من عسكره خلقا لا يحصون * ولا يحصرون كثرة ولا يستقصون *

وكان في حدود التسعين وقد احدودب * فلما رآه قابله بالسخط

والغضب * وقال له انك افنيت صاغيتي * وحصيت غاشيتي *

وقصيت حاشيتي * فان قتلتك مرة واحدة لا يشفي غليلي * ولا يهدأ

غليلي * ولكن اعذبك بكبر سنك * وازيدك كسرا على كسرك

ورمنا على رمنك * فقيده بقيد من فوق ركبتيه * زنته سبعة

أرطالٍ ونصفِ رطلٍ بالدمشقي وقصدَ بذلك التشديدَ عليه * فلم يزل مقيدا * مكتوبا على قيده مخلدا ابدا * حتى مات تيمور * وارتفعت الشرور * وخلص من القيد ذلك المأسور * ثم توفي الى رحمة الله تعالى وربما يكون اخذ اناسا من الفضلاء * والاعيان والسادات والنبلاء * من لا اعرفه * فكيف اصفه * وكذلك كل أمير من أمرائه * وزعيم من زعمائه * اخذ من الفقهاء والعلماء * وحفاظ القرآن والفضلاء * واهل الحرف والصناعات * والعبيد والنساء والصبيان والبنات * ما لا يسع الضبط * ولا يحل الربط * وكذلك كل من عسكره * اخذ كبيرا وصغيرا واسره في اسره * لانه ما ثم حرج على من نهب شيأ وعزله * وكل من سبقت يده الى شيء فهو له * ومذ اذا اطلق عنان الاذن بالنهب العام * تساوى فيه الخواص من عسكره والعوام * ولو كان الناهب أسيرا فيهم * او دخيلا عليهم * والسالب من غير طينتهم * ولكن أبيح له ذلك لما ساربسيرتهم * وتخلق بشيمتهم * واطلق عليه حكمهم * واجري عليه شكمهم * فاما قبل الاذن فلو تعدى احد على احد * وكان عند تيمور بمنزلة الوالد

او الولد * اذا استطال بمقل ارحبه * اوتلفظ بغارة اونهبه * فانه يهدر
ماله ودمه * ويهتك حرمته وحرمه * ولا ينجيه استغفاره وندمه *
ولا يحتمي به اهله وخدمه * ولا يقال لعا لمن زلت به قدمه * وكانت
هذه قاعدة لا تخرم * وبنية لا تهدم *

ذكر ما ابادته الجراد *

ولما فرغ من مستغلات اموال دمشق الحصاد * وقارب الرحيل عنها
اعقبه لقاط الجراد * وصار يسير معه حتى بلغ ماردين وبغداد *
فاعرى كل شجراء ومردا * وجرد ما على وجه الارض جردا * فوصل
الى حمص وما نهبها * ولخالد كما ذكروهبها * ولكن نهبوا قراها *
وهدموا قواها * ثم الى حماة فنهبوا نفائسها * واستخرجوا مكامنها *
واسروا عرائسها * واستملكوا كنائنها * وفي سابع عشر شعبان *
انصب الى الجبول ذلك الطوفان * وارسل الى حلب واخذ من قلعتها
ما استودعها * ثم الى الفرات وعبرها بالمراكب وغيرها فقطعها * ثم
الى الرها * فنهبها واستحلب درها * ثم ارسل ذلك الغادر * رسوله
الى ماردين يستدعي الملك الطاهر * وديباجة كتابه الدقل * على

ما نقل * شعر *

* سلام عليكم والعهود بحالها * لقد بلغ الأشواق منا كمالها *

فأبى ان ينزل اليه * ولا استمع كلامه ولا التفت اليه * فانه كان آذاه اما

ذكرا ول مرة * فما احتاج الى تجربته آخر كرة * فسلك معه برا لسلامة *

وقال شطر بيت (ع) من جرب المجرب حلت به الندامه *

ولكن ارسل اليه قاصدا من بعض الخدم * يدعى الحاج محمد بن خاصبك

ومعه التقادم والخدم * واعتذر عن الحضور * بعدة امور *

وعنوان جوابه * موافق لخطابه * وهو *

* شعر *

* فشوقي اليكم زائد الحد وصفه * ولكن تخاف النفس مما جرى لها *

فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام * واخذ يعنف نفسه بانواع الملام *

كيف خلص من مخاليبه اول مرة بسلام *

ذكر ورود ماردين بالهيبة * وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة *

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان وارد بين ماء ماردين * فنزلوا

دنيسر وغدوا للحصار قاصدين * واذا باهلها وقد اخلوا المدينه *

وانتقلوا الى قلعتهم الحصينة *

* صفة هذه القلعة *

وهذه القلعة عنقاء قلتها تكبر ان تصاد * وعرنين عانسها يأبى ان يلين
لخاطب تحت مقود انقياد * لانها في قلة من القلل * على ظهر جبل *
لم يكن فرق بينه وبين قبة الافلاك * الا ان تلك لا ثبات لها وهذا
ثابت ليس به حراك * بظاهره واد بطنه اوسع من صدر الاحرار *
فيه جنات تجري من تحتها الانهار * وبه مطارح الزروع * ومسارح
المواشي والضروع * وحدوده جروف لا تصل همم ذوي الكرم
الى ارجائها * وحروف تعجز قارئ التفكر عن تعديد هجائها * وطريقه
من القلعة او على القلعة * والقلعة في غاية المناعة والرفعة * والمدينة
مبنية حواليها * متشبثة بذيلها * تأكل من فضلات نعمها * وتشرب
من فائض سيلها * فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون * وفي السماء رزقهم
وما يوعدون * فاقام لمحاصرتها على مضايقها * يسترشد الى طرق
المضايقة وطرائقها * ولم يكن حواليها مكان للقتال * ولا لنصب المجانيق
مجال * فعول على نقبها بالمعاول والفؤوس * واستعان على ذلك بالمقاول

والرؤس * وحاشا ذرزذيل حشمتها وعصمتها أن يسام فتقا * لأنها

وان كانت عذراء قد أعجزت الفحول لكونها رتقا * فلازلت المعاول تفل *

والقطاطيس تكل * ومناقير الفؤس تتعقف * وخصور المرازب كهيف

القد وذ تتقصف *

قلت * شعر *

* كأن معولهم في نقب تربتها * منقار طير على صلد من الحجر *

* او عذل ذي حسد صبا به صمم * او غمز عين معنى فاقد البصر *

واستمر على اللدد والخصام * الى العشرين من شهر رمضان ولم تحصل

على طائل ولم يظفر بمرام *

ذكر تركه في المحاصرة * العناد والمكابرة * وتوجهه

بما زوية ذوى الفساد * عن ماردين الى بغداد *

ولما علم انه رمي منها بالداهية الدهيا * وطلاب ما لا يستطاع عيا *

والمكابرة مع الحق خروج عن المنهج * والبلاغة في غير مقامها عي

ولج * ستر عيبه * وابقى بعض الحرمة والهيبة * وخرب المدينة

واسوارها * ومحا آثارها * وهدم مبانيها وجوامعها ومنارها *

وقلع اساسها واحجارها * ثم انحدر الى بغداد * بعساكر كالذر
والفراش والجراد * وجهز بعض الثقل الى سمرقند مع الله داد *
فوصلوا الى مدينة صور وليس بها بيت مشاد * ثم الى خلاط وعبد
الجوز وهي بلاد الاكراد * آهلة عامرة البنيان * واول ما هو جار
تحت حكمه من ولايات تبريز واذربيجان * فعيد الثقل بعبد الجوز
عيد رمضان * ثم دخلوا الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك
خراسان * وكان اذ ذاك قد خرج فصل الشتاء * وفصل الربيع تزين واتى *
وصفحات الرياض بانامل صباغ القدرة تلونت * وعروس الروض
قد اخذت من صواغ الحكمة زخرفها وازينت * والاطيار في الازهار *
ما بين مائة بلبل والف هزار * قد شنفت الاسماع * واقامت السماع *
واستمالت الطباع برخيم صوتها * واحيت آثار رحمة الله الارض
بعد موتها * ولا زال الثقل بين تاويب وادلاج * وسير ولا سير
الحاج * كل يوم في مرحلة وكل ليلة في مقام * فوصلوا الى نيسابور
ثم الى جام * ثم قطعوا امفازا وزبا وردوماخان * ثم الى اندخود وانتهوا
الى نهر جيحان * فعبروه بالمراكب * وساروا سير النجم الثاقب *

ولم يزالوا منبعثين على ذلك انبعاثا * فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر
المحرم يوم الثلثا * سنة اربع وثمانمائه * وفيهم من اهل الشام فئه *
امثلهم القاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * وباقيهم بياطرة
وصباغون ونساجة الحرير * هذا اول ما تحمله من الشام من احمال
الاثقال * وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمر الاسارى
والاموال * ثم ارسل الاثقال تترى * بالانفال واحمال الاموال والاسرى *

* فصـــــل *

ثم ان تيمور ولى امل قرايلوك عثمان * وولى عن ماردين يوم الخميس
العشرين من شهر رمضان * وكان خامس ايار * وجعل يعبث
في تلك الديار * وخرب نصيبين وزرع مستغلاتها * ثم محا من صحف
الوجود صور رسومها وآياتها * وكانت خالية من سكانها * خاوية
من عامر عمرانها * ثم وجه الى الموصل همه * واخفى عليها اكتنابه
الملهمه * فبعد ان احلها الحين * وسبها الحسين بيك بن حسين *
ثم جهز بزمجره * الى ناحية القنطره * واشاع انه كف فساده *
وقصد بلاده * ولكن السلطان احمد كان قد تحقق انه قاصد بغداده *

اظلم جناح العساكر التيمورية من آفاقها وأرسل عليها شهبه * أبى
فرج المذكور أن يسلم المدينة طوعا * واستعد للمقاتلة فجمع ما عنده
من أهبة المحاصرة وأوعى * فاطلعوا تيمور على هذا الأمر * وانتظروا
ما يكون منه من نهي وأمر * فثنى نحوها عنان العنق * واضرم ما تصل
اليه يده من غرق وحرق * وأظل عليهم بغمام غم بعد ما رعد وبرق *
فوصل بتلك الفرق * وأحل بهم البؤس والقلق * وأذاقهم لباس
الجوع والفرق * فرجهم أي رج * وحاصرهم في أشهر الحج * فثبتت
مقاتلتهم وأكثروا من عساكره القتلى والجرحى فحنق * أشد الحنق *
وزحف عليها برجله وخيله فأخذها عنوة يوم الأضحى * فتقرب
في زعمه بأن جعل المسلمين قرابين وعليهم ضحى * ثم أمر كل من هو
في دفتر ديوانه محسوب * والى يزك عساكره من الجند والجيش
منسوب * أن يأتيه من رؤس أهل بغداد برأسين * فسقوا كل واحد
من خمرة سلب الروح والمال كاسين * ثم أتوا بهم فرادى وجملة *
وجاروا بسيل دمائهم نهر الدجلة * وطرحوا أبدانهم في تلك الميادين *
وجمعوا رؤسهم فبنى بها مآذين * فقتلوا من أهل بغداد نحوا

من تسعين الف نفس صبرا * وبعضهم عجز عن تحصيل المغل اذ بين
فقطع رؤس من معه من اهل الشام وغيرها اسرى * وعجز بعض
عن رؤس الرجال * فقطع رؤس ربات الحجال * وبعض لم يكن معه
رفيق * فاصطاد من وجده في طريق * واغتال من معه من رفيق *
وفدى نفسه بعدو وصديق * ولم يلتفت الى شقيق وشفيق * اذ لم يمكنهم
الخروج عن ربقة الطاعه * ولا يقبل منهم عدل ولا تنفعهم شفاعه *
وهذا العدد المذكور * سوى من قتل وهو محصور * او قتل في مضيق *
او مات في الدجلة وهو غريق * فقد ذكر ان خلقا * القوا انفسهم في الماء
وماتوا غرقى * ومن جملتهم فرج فانه ركب سفينة وابق * فاحتوشوه
من الجانبين بالسهام فجرحوه وانقلبت السفينة فادركه الغرق *
وبقي من المياذين * نحوا من مائة وعشرين * كذا اخبرني القاضي
تاج الدين احمد النعمان * الحنفي الحاكم ببغداد كان * وتوفي
في غرة المحرم سنة اربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى *
ثم ان تيمور خرب المدينه * بعد ان اخذ ما بها من اموال خزينه *
وابقر اهلها وافقر منازلها * وجعل عاليها سافلها * وصارت [illegible]

أن كانت مدينة السلام * دار السّلام * وأسروا من بقي من ضعفة أهلها فتمزق * ومزّقتهم أيدي الزمان كل ممزق * بعد أن كانوا في ظلال ودلال * ومن مساكنهم في جنتين عن يمين وشمال * فاليوم عشّش البوم والغراب أماكنهم * وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم * وهذه المدينة هي أشهر من أن توصف * وعرف عوارفها وعرفانها أذكى من أن يعرف * وناهيك أنها كاسمها مدينة السلام * وانه على ما قيل لم يمت بها إمام *

ذكر رجوع ذلك الطاغ * وإقامته في قراباغ *

ثم ألوى بتلك الأتراك التي يصح أن يقال لكل منها انه في التركية طاغية طاغ * وعزم أن يشتي في مكان يصلح أن يكون في الترك والعرب كصفاته وذاته قراباغ * وأمسى كالباز الأطل بل كالبوم المشوم * مراقبا أطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم *

ذكر مراسلة ذلك المريد * سلطان الروم ايلدريم بايزيد *

فراسل سلطانها بايزيد الجامد من الغاز * وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية والغاز * وجعل السلطان احمد وقرا يوسف

سببا * وذكر انهما من سطوات سيوفه هربا * وانهما مادة الفساد *
ودمار البلاد * وذمار العباد * ومنبع الخمول والادبار * وكفرعون
وهامان في العلو والاستكبار * وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين * وقد صارا بمن معهما في حمى ذراكم لاطئين * واينما حلوا
حلت التعاسة والشوم * وحاشا ان يكون مثلهما من المفلوكين تحت
جناح صاحب الروم * فاياكم ان تأووهم بل اخرجوهم * وخذوهم
واحصروهم * واقتلوهم حيث وجدتموهم * واياكم ومخالفة امرنا *
فتحل عليكم دائرة قهرنا * فقد سمعتم قضايا مخالفينا واضرابهم *
وما نزل بهم منا في حرابهم وضرابهم * وتبين لكم كيف فعلنا بهم *
فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال * فضلا عن جدال وقتال * فقد
بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال * وفي اثناء ذلك انواع التهديد
والتخويف * واصناف التهويل والاراجيف * وكان ابن عثمان عنده
رقاعة وشجاعه * ولم يكن عنده صبر ساعه * مع انه كان من الملوك
العادلين * وعنده تقوى وصلابة في الدين * وكان اذا تكلم وهو في
صدر مكان * فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان *

وكان بواسطة عدة ساعدة الزمان * وقويت شوكته في المكان *
فاستصفى ممالك قرمان * وقتل ملكها السلطان علاء الدين واسر
له عدة ولدان * واستولى على ممالك منشا وصاروخان * وهرب منه
الى تيمور الامير يعقوب بن علي شاه حاكم ولايات كرمان * ووصل اليه
من حدود جبل بالقان * من ممالك النصارى الى ممالك ارزنجان *
فلما وقف على كتابه * وفهم فحوى خطابه * نهض وربض *
وامتعض وارتمض * ورفع صوته وخفض * وكأنه تجرع نقوع
الحضض * ثم قال ايخوفني بهذه الترهات * ويستفزني بهذه الخزعبلات *
او يحسب انني مثل ملوك الاعجام * او تتار الدشت الاغتام * اوفي
جمع الجنود * كجيش الهنود * او جندي في الشقاق * كجمع العراق *
او ما عندي من غزاة الاسلام * كعساكر الشام * او ان قلة
الجمع كجندي * او ما يعلم ان اخباره عندي * وكيف ختل الملوك
وختر * وكيف تولى وكفر * وما صدر عنه وعنهم * وكيف كان
كل وقت يستضعف طائفة منهم * وانا افصل جمل هذه الامور * واكشف
ما خزنه في التامور * واما اول امره فحرامي سفاك الدم * هتاك

جماداً * يرهون بواحدة وهي انهم يبيتون جميعاً ويقومون مثنى وفرادى * لا جرم تفرقت ايادي سبا احزاب تلك الزمر * فاشتعل جيشه فيها بالجذام فباض لها خلاله الجو وصفر * ولو كان بينهم اتفاق لقتوه قتا * وبلد د واشمله وبتوه بتا * ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى * ومع اتساق نظامهم * وتسلسل سلاسلهم * وقوة نظامهم * وشدة كفاحهم * وشدة زحامهم * وكونهم ظهرا لحاج * واسود الهياج * انى لهم نظام عساكرنا * وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا * وكم فرق بين من تكلف بامر الحفاة الغزاة * وبين من تحمل امر الكماة الغزاة * فان الحرب دأبنا * والضرب طلابنا * والجهاد صنعتنا * وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا * ان قاتل احد تكالبا على الدنيا * فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا * رجالنا باعوا انفسهم واموالهم من الله بان لهم الجنة * وكم لضرباتهم في آذان الكفار من طنة * ولسيوفهم في قلانس القوانس من رنة * ولنون قسيهم في خياشيم بني الصليب من غنة * لو سمناهم خوض البحار خاضوها * او كلفناهم افاضة دماء الكفار لافاضوها * قد اطلوا من صياصيهم

على قلع قلاع الكفار واخذوا عليها * وامسكوا بعنان افراسهم فكلما سمعوا
هيعة طاروا اليها * لا يقولون لمليكهم اذا غمرهم في البلاء والابتلا *
انا هاهنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا * ومعنا من الغزاة مشاة *
افرس من فوارس الكماة * اظفارهم باترة * واظفارهم ظافرة *
كالاسود الكاسرة * والنمور الجاسرة * والذئاب الهاصرة * قلوبهم
بودادنا عامرة * لا تخامر بواطنهم علينا مخامرة * بل وجوههم
في الحرب ناضرة * الى ربها ناظرة * وحاصل الامر ان كل اشغالنا *
وجل احوالنا وافعالنا * حرب الكفار ولم الاسرى وضم الغنائم * فنحن
المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم * وانا اعلم ان
هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا * فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق
ثلاثا * وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم اقاتلك البتة * فزوجاتي
اذ ذاك طوالق ثلاثا بتة * ثم انهى خطابه * ورد على هذا الطريق
جوابه * فلما وقف تيمور على جوابه القلق * قال ابن عثمان مجنون حمق *
لانه اطال واساء * وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء * لان ذكر
النساء عندهم من العيوب * واكبر الذنوب * حتى انهم لا يلفظون

بلفظ امرأة ولا بانثى * وانما يعبرون من كل انثى بلفظ آخر ويتحشون

على الاحتراز عنه حتى * ولو ولد لاحدهم بنت يقولون ولد له مخدرة *

او من ربات الحجال او مسترة * او نحو ذلك *

ذكر طيران ذلك البوم * وقصده خراب ممالك الروم *

فوجد تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل * وطلب الرفيق والطريق

ورام الدليل * وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت * وانبثوا على وجه

الارض فاذا الكواكب انتثرت * وماج فاذا الجبال سيرت * وماج

فاذا القبور بعثرت * وسار فزلزلت الارض زلزالها * وما رنا فاظهرت

القيامة اهوالها * وارسل الى ولي عهده ووصيه من بعده * حفيده

محمد سلطان بن جهانكير * ان يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف

الدين الامير * وركب الى الروم الطريق * وساعده الاتفاق

لا التوفيق * وجرى بذلك القدر المطرخم * والليل المدلهم * فدار

وداخ * وعلى قلعة كماخ اناخ * فاذا هي في الوثاقة كيقين موحد *

وفي الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد * لا يقطع خندق مناعتها سهم

وهم * ولا يهتدي الى طريق التوصل اليها صائب فهم * مؤسس اركان

به الأرض * وملأوا طوله والعرض * وحين شعر أهل القلعة بهذه
الفعال * ألقوا النار والبارود على تلك الأخشاب فأخذت في الاشتعال *
وأما أساس القلعة فلا ينال * لأنه راكب على قلل الجبال *
فلم يبد ذلك من أمره * ولم يشرد من فكره * بل أمر في الحال * كل
واحد من الرجال * أن يأتي من تلك القفار * بحمل من الأحجار *
فانبثوا كالنمل والجراد * في تلك المهامه والأطواد * والبراري والوهاد *
وجابوا الصخر بالواد * ففي الحال ملأوا تلك الدارة * من الحصباء
والحجارة * ثم أمر أن يفعل بتلك الحجارة في ذلك المهوى البعيد *
ما يفعل بهم في جهنم يوم يقال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد *
فألقوا في ذلك الوادي بعض ما أمره * من أكداس تلك الحجارة
قطموه * وبقي في بيادر ذلك الحجر * أضعاف ما رمي من البصر * ولما امتلأ
الوادي من الأحجار * مشوا عليها وقربوا من الأسوار * ونصبوا السلالم
وتسلقوا * وبناصية مراميها تعلقوا * فأقلع أهل القلعة عن الكلام *
وطلبوا الأمان وقالوا ادخلوها بسلام * وكان فتح الحصار والتنجيز *
في شوال سنة أربع وثمانمائة * ولما استقر فيها * أمر بتلك الأحجار أن تنقل

من واديها * نفى الحال سفوها * وفي مكان اخل وما منه رموما *
ثم ولى بها شخصا يدعى الشمس * وولى عنها كما ولى امس * وهذه
القلعة نحو من نصف يوم عن ارزنجان * ومن القلاع المشهورة
في الدنيا بالمناعة والعصيان * فلاجرم حين استولى عليها * وافضى
بصارمه الذكر اليها * وفتحها قهرا * ومنحها جبرا * ابرد بهذا المغنم
البارد * الى كل صادر في ممالكه ووارد * بكتب ترجم فيها من الاخبار
كل سانح وشارد * وعنوان هذه الترجمة * بلفظها من غير ترجمة *

* شعر *

* بحد سيوف داميات لدى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ *
وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه * وكيف رد جوابه الحمق عليه *
ومن جملته * وبعض ترجمته * انا ماجفوناه ولا تعدينا عليه *
ولكن رفقناله القول وتلطفنا اليه * وقلنا له يخرج من قروح مملكته
مادة الفساد * وهي احمد الجلايري وقرا يوسف التركماني اللذان
اخربا البلاد واهلكا العباد * والرضا بالمعصية * معصية * والاقرار
على الكفر * كفر * والفاسق المحروم البائس * شر من الفاجر الظلوم

الملابس * فصارا في الفساد وزيريه وهو الامير * وفي العناد صغيرين وهو الكبير * وعاشراه على ذلك ووالياه فلبئس المولى ولبئس العشير * فافسداه وما انصلحا * وخسراه وما ربحا * فكأنه عنى شأنهم * من اظهر قولهم وشانهم * بقوله

* شعر *

* ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة * اليها ولكن الصحيحة تجرب *

ولم يزل على طريقته العوجاء * فاشبه لما اجارهما مجير ام عامر العرجاء * فنهيناه فما انتهى * ونبهناه فما ارعوى * واريناه العبر * في غيره فما اعتبر * ونادى لسان انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر * وكنا وضعنا اسمه مع اسمنا * على عادة حشمتنا وادبنا في المراسلات ورسمنا * فتعدى طوره * وابدى جوره * وكان في بعض مراسلاته وما وضعه في مكاتباته * كتب اسمه تحت اسم طهرتن * وهذا هو الواجب عليه والحسن * ولا شك ان طهرتن بالنسبة الينا * كبعض خدمنا واقل حشمنا * ثم انه اعني بايزيد لما طالع كتابنا * ورتجوا بنا * وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب * وهذا مما فيه من كثرة الحماقة وقلة

الأدب * ثم ذكر انه توجه يروم * استخلاص ممالك الروم * وتشدق
في هذا الكتاب * وتفيهق في هذا الخطاب * فهو احد ساتير
الكتّاب * والاساطير المستعان بها في الخطاب والجواب *

ذكر ما عزم ابن عثمان عليه * عند انصباب ذلك الطوفان اليه *

فلما بلغ ابن عثمان ما قصده * وانه جعل طالعه في سماء الحرب رصده *
توجه لقتاله * واستعد لاستقباله * وكان على مدينة استنبول
محاصرا آثمها وكفارها * وقد قارب ان يفتحها وتضع الحرب عنها
اوزارها * وان جنده * كان عنده * ولكن امر بطارقة الغزاة * والشواهين
من كواسر جيشه والبزاة * وسراة السرايا وكرام كرمان * واحلاس
خيل السواحل وقروم قرمان * واجناد ولايات منتشا واساورة
صاروخان * وجميع امراء التومانات والصناجق * واصحاب الرايات
ورؤس الفيالق * ونواب جميع الثغور والامكنة * مما هو جار تحت
تختي بروسا وادرنة * وكل من دبج البحر الاخضر * من بني الاصفر *
عن رايته البيضاء بالدم الاحمر * وفلق سويداء كل عدو ازرق *
بسهامه السود على جواده الابلق * ان يعملوا مصلحتهم * ويأخذوا

بحنْ رمحهم واسلحتهم * واستعان في ذلك بكل بطريق وعلج ما رجي *
داخل في امان المسلمين على قتال كل باغ وخارجي * واستدعى
التتار * وهم قوم ذو يمين ويسار * ناس سواذج * لهم مواشي
نواتج * ملأوا الاقطار بمواشيهم * وعلوا الشواهق والبوادي بروثهم
وحواشيهم * ربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل * ما منها
واحد حمل * ومثل ذلك افراس * ما اسرج لها ظهر ولا الجم راس *
واما الغنم والبقر * فلا يحصى عددها ولا يحصر * وما يعلم جنود ربك
الا هو وما هي الا ذكرى للبشر * لهم في ممالك الروم وقرمان
الى ضواحي سيواس مشتات ومصائف * وللملوك والسلاطين عليهم
اعتماد كمالهم في انواع المبرات وظائف * لو قصدهم فقيرا وغريب
وطالب علم او اديب * جمعوا له من الغنم والبقر * والصوف والشعر
والسمن والاقط والوبر * ما يكفيه وذويه الى آخر العمر * وكانوا
يسمون لكثرتهم وما معهم من الامم * ثمانية عشر الف عالم * فلبى
كل من صلى هؤلاء الجبال ملء صوته بالاجابه * وبادر الى امتثال
اوامره بالاطاعة والانابه * وانبعث اليه التتار بقضهم وقضيضهم بعثا *

وقتّت اليه أطواد عساكرها وبحار جنودها قاتا * وحثّ على ملاقاة
تيمور عساكر الغزاة والمجاهدين حثا *

ذكر ما فعله ذلك المخادع المكار * ورنقه في تخذيله عن ابن عثمان
جنود التتار *

وتلبث تيمور في أمره * واستورى زناد فكره * فأورى زناده نارة *
أن يخذل عن ابن عثمان تتاره * فأرسل الى زعمائهم * والكبار من
أمرائهم ورؤسائهم * وأميرهم يدعى بالفاضل * وكان في المكرمات
من الأفاضل * غير أنه ما مارس الأيام * ولا اطّلع على مكائد اللئام *
إن حسبكم حسبي * ونسبكم متصل بنسبي * وإن بلادنا بلادكم * وأجدادنا
أجدادكم * فكلنا فروع نبعة * وأغصان دوحة * وإن آباءنا
من قديم العصر وغابر الدهر نشأوا في عيش متوحد * ودرجوا في
وكر غير متعدد * فأنتم في الحقيقة شعبة من شعبي وغصن من أغصاني *
وجارحة من جوارحي وخالصتي وخلاني * وأنتم لي شعار * وباقي
الناس دثار * وإن كان الناس ملوكا بالاكتساب * فأنتم ملوك بالانتساب *
وإن آباءكم من قديم الزمان * كانوا ملوك ممالك توران * فانتقل

منهم طائفة من غير اختيار * الى هذه الديار * فاستوطنوها وهم على ما هم عليه من الكرامه * وشعار السلطنة واسباب الزعامه * ولم يزالوا على هذا النشاط والعزة * الى ان انتهوا الى رحمة الله تعالى وهم على هذه العزة * وكان المرحوم ارتنا آخر ملوككم * واكبر ممالككم في بلاد الروم اصغر ممالككم * وليس بحمد الله في شوكتكم قلة * ولا في كثرتكم قله * فانى رضيتم لانفسكم بهذه الذله * وان تصيروا مسخرين * كانكم من المسخرين * وبعد ان كنتم اكابر مكبرين * كيف صرتم اصاغر مصغرين * ولستم بل ارهوان ولا مضيعه * وارض الله واسعه * ولم صرتم مرقوقي * رجل من اولاد معتوقي طي السلجوقي * ولا ادري ما العلة لهذا والسبب * ومن اين هذا الاخاء والنسب * سوى عدم الاتفاق * وانتفاء الاتساق * وعلى كل حال فانا اولى بكم * واحق بعمل مصالحكم وتهيئة اسبابكم * وان كان لابد من استيطانكم هذه التخوم * وبيع تلك البلاد الفسيحة بمضائق ممالك الروم * فلا اقل من ان تكونوا كاسلافكم حكامها * مالكي نواصي حياصيها راقين سنامها * باسطي ايديكم فيها قابضين زمامها *

وهذا الهم انما يتم اذا كفينا هذه المنازله * وقضينا الارب من هذه
المناضله * وتمهد لنا الميدان * وارتفع من البين ابن عثمان * فاذا
خلا الجو من المنازع * وصفت لي في هذه البلاد المشارع * وظفرت
بهذه الممالك * وسلكت فيها الطرق والمسالك * اعطيت القوس
باريها * وانزلت الدار بانيها * ورددت المياه الى مجاريها *
وجعلتكم ملوك قراها وصياصيها * ومدنها وضواحيها * وقررت
كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها * وان رأيتم ان لا تعينوا علينا *
وامكنكم ان تنحازوا الينا * فاغتنموا فرصتكم * وخذوا من انتهازها
حصتكم * فانكم قريبون منا صورة ومعنى * واما الآن فكونوا
بظاهركم مع ابن عثمان وبباطنكم معنا * حتى اذا التقينا امتازوا *
والى عساكرنا انحازوا * ولا زال فحل كلامه ينزو على حجر حجرهم
ولا يجفر * مزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر *
فاصافي ذرد وزرا فكارهم ليردها عن ان تتبع ابن عثمان وتقفر *
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر * حتى خابهم بهذا المقال *
واستحثهم في معنى ما قال * واستهواهم حب الرياسة الذي طالما

استرق اخبار الصديقين * واستعبد كبار الاولياء والصالحين *
وكبكب في النار على الرؤس رؤس من العلماء العاملين * فوا فقره
على الانخزال * عند الموافقة للنزال *

ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل * وتوجهه الى ملاقاة
تيمور بعسكره الثقيل *

فاما ابن عثمان فانه خاف منه الهجوم * على بلاد الروم * لان
الزروع كانت قد استحصدت * وصدور الفواكه والثمار قد استنهدت *
وخضراوات الارض قد اسودت * والرعايا في ظل الامن والرفاهية
قد امتدت * فخشي ابن عثمان ان يصيب العباد منه ضرر * او يتطاير الى
قبائل بلاده من لهيب ناره شرر * فبادر الى ملاقاته * وساقته سوائق
المنون الى شرب كاسها في مساقاته * واراد ان يكون مصطدم الناس *
خارج بلاده على ضواحي سيواس * فاجرى من عساكره السيول
الهامره * واخذ بهم على قفار غامره * حذرا على رعاياه * من مواطئ
مطاياه * فانه كان على الضعيف من رعيته شفيقا * وبالفقير من حشمه
وخدمه رفيقا * يحكى انه كان في بعض مغازيه * فعطش بعض

ذكر ما فعله ذلك الساقطه * مع ابن عثمان وعسكره من المغالطه *

ولما بلغ تيمور ان ابن عثمان اخلّ على الطريق الغامره * نبذه نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واخذ على الجادة العامره * فلخلوّ عسكره على ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * ولسان حالهم الفصيح * ينشد فى الآفاق ويصيح *

* شعر *

* ولست أبالي بعد إدراكي العلى * أكان تراثاً ما تناولت ام كسبا *

فلم يزالوا في مراح وزروع * ومراع وضروع * بين سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وهواء بالراحة مصبوب * ونعيم بالسلامة مصحوب * في أمن ودعه * وخصب وسعه * آمنا من الوجل * سائرا على غير عجل * مستيقنا بالنصر والظفر * مستبشرا بالملك والوزر * مستتبعا تدبيره القضاء والقدر * لا يبرد حرارة حميته لتسخين عين عدوه واجراء الغنيم البارد فترة * ولا في اكليل كواكب عساكره المنتظمه نثره * ولا بين أسود جيشه مكاسرة ولا نفره * ولا في قراهم الاعادي اللهذ ميات على موائد طعام

طعانهم جبن ولا كسرة * فلم يفق ابن عثمان من رقاده * الا وتيمور
قد دمر على بلاده * فقامت عليه القيامة * واكل يديه حسرة وندامة *
وزأر زرقا * والتهب حنقا * وكاد ان يموت خنقا * وسلب القرار
والهجوع * وعزم في الحال على الرجوع * فتلاطمت من بحر
عساكره امواجه * وتصادمت اثباج اطواده وابراجه * فرجع عودة
على بدئه * واغرى بوصال السير وحثيثه * فنهكهم السير بسرعته *
والمكان بقفرته * والزمان بهجيره * والسلطان بزئيره * فلم يدن ركوه
الا وقد ذاب كل منهم وصبا * وتلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

* فصل *

وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقره * وخيله ورجله مستريحة
موقرة * للقتال منتظرة * وللنزال متشوفة * بل لم يكونوا به مكترثين *
ولا به مختلفين * وقد سبقوا كصناديد قريش الى الماء * وتركوا
عساكره كمسلمي بدر في جانب الظماء * فهلكوا كربا واواما *
وذابوا عطشا بلا ما * وكانه الى ذلك المنزل هو ارشدهم * وبلسان حاله
انشدهم *

شعر

* يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وانت رب المنزل *

والنقرة منه هي التي ذكرها الاسود بن يعفر في قصيدته الطنانة وهي

شعر

* نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من اطواد *

* فاذا النعيم وكلما يلهى به * يوما يصير الى بلي و نفاد *

*فلما تبل انت الجيوش من الجيوش * وضربت الوحوش على الوحوش*

وامتلأت منهم الصحارى والقفار * وتقابلت اليسار باليمين واليمين

باليسار * انقطعت من عساكر ابن عثمان التتار * واتصلت بعسكر

تيمور كما رسم اولا واشار * وكانوا هم صلب العسكر * والاوفر من عساكر

ابي عثمان والاكثر * حتي قيل ان جماعة التتار * كانوا نحوا من ثلثي ذلك

العسكر الجرار * بل قيل ان ذلك الجمهور * كان نحوا من ثلثي جند

تيمور * وكان مع ابن عثمان * من اولاده اكبرهم امير سليمان *

فلما رأى ما فعلته التتار * علم انه حل بابيه البوار * فاخذ باقي

العسكر * وتقهقر عن ميدان المصاف وتاخر * وترك اباه في شدة

صواعق الديم المدميات وامطار السهام السود * ونادى محرّش القدر * وصياد القضاء الكلاب على البقر * فلم يزالوا بين وقيذ ورافل * ومضروب بحكم سهم ماضٍ فى الفضاء نافل * حتى صاروا كالثيام والقنافل * واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى العصر * وانتقلت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر * ثم لما كلت منهم السواعد * وقل المواصر والمساعد * وتحكم فيهم الاباعد والمباعد * دققوهم بالسيوف والرماح * وملأوا بدمائهم الغدران وبالتلال منهم البطاح * ووقع ابن عثمان في قنص * وصار مقيدا كالطير فى القفص * وكانت هذه المعركة * على نحو ميل من مدينة انقرة * يوم الاربعا سابع عشري من ذى الحجة * سنة اربع وثمانمائة حجة * وقد قتل غالب العسكر العطش والضموز * لانه كان ثامن عشرى تموز *

* فصل *

ووصل امير سليمان * الى برصا معقل ابن عثمان * فاحتاط على ما فيها من الخزائن والاموال * والحريم والاولاد ونفائس الاثقال * واشتغل بنقل ذلك الى برّ ادرنه * وراء البحر المحيط بكثير من الامكنه *

المنشعب من بحر مصر الاخذ بعد ما يتد ربس * الى بلاد اللشت والكرج الفاصل بينه وبين بحر القلزم جبل الجركس *

ذكر ما وقع من الخباط * بعد وقعة ابن عثمان في كل ثغر وربا ط *

ولما حصل لرأس مملكة الروم هذه الوعكة * وانذعكت اجسام عسكرها الجسام اقوى دعكة * واخنى عليهم الجند المشوم * ونعق في صباحها غراب البين وزعق في رواحها البوم * وتلا في محراب انسها على جماعتها امام القضاء والقدر الم غلبت الروم * خضعت رؤسها ونواصيها * وتزلزلت حصونها وصياصيها * وتزعزع دانيها وقاصيها * وانبهر طائعها وعاصيها * فحاصوا حيصة الحمر * وابسوا من الاهل والاوطان والمال والعمر * اذ قد ذهب منهم الراس * ولم يبق فيهم من بقهم الباس * فلما سمعوا ان امير سليمان ضم الناس الى نحره * وعزم على العبور الى برادرنة بقطع بحره * سالت بهم الاودية والشعاب اليه * وعولوا في خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه * فصالح اهل استنبول ووادهم * وعاهدهم على ان لا يغدر كل منهم بالآخر وما ذمهم * ثم تصلبهم ان يعينوه على الوصول * بقطع البحر من ثغري

كاليبولي واستنبول * اذ ليس لهذين البحرين * من هذين البرين *
طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين * فان بحرا سكنت ريحه *
يأخذ على انطاكيه * وعلاية ثم يروم * بلاد الروم * فتحصره الجبال *
قبل وصوله بلاد الشمال * فلا يزال في حصره يدق * ويشق جانبيه
فيرق * حتى تتراآى حافتاه * ويكاد تنطبق شفتاه * ومسيرة هذا
الانضمام * نحو من ثلاثة ايام * ثم يأخذ في المد والانبساط *
والجريان على وجه النشاط * ثم تدور كتائب امواجه وتتكردس *
وتأخذ نحو بلاد الدشت والكرج حتى تصل كما ذكر الى بلاد
الجركس * وما امكن احدا من سواحر السكة ومهندسي النواتي *
ان يعزز هذين المعبرين في مد هذا الانضمام بثالث * فثغر كاليبولي
بيد ملاحي المسلمين * وثغر استنبول بيد النصارى اعداء الدين *
وهو اعظم الثغرين * واجسم المعبرين * وكانت النصارى ملاحيه *
فصار غالب الناس يقصده وينتحيه * فاستطارت الفرنج فرحا واستطالت *
وخاضت في دماء المسلمين وحريمهم واموالهم وجالت * فان ابن عثمان
كان بالحصار قد انهكها * واباد قراها ونضوا حيها واملاكها * وضيق

يعلى اهلها في مجارف ارواحهم مسلكها * فبينماهم وقد بلغ السيل الربا *
وجاوز الحزام الطبا * وانشب كل شر فيهم حده * واذا بتيمور جاءهم
بالفرج بعد الشدة * فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان * وحصل لهم
بذلك الفرج والامان * وزاد ذلك بان احتاج المسلمون اليهم *
وتراموا في طلب الخلاص من العدو عليهم * فبعد ان زالت عنهم
الغصص * اغتنموا في درك الثارات من المسلمين الفرص * فجعلوا
يوسقون المراكب من الناس والحمول * ويتوجهون بذلك الى صوب
استنبول * وان استنبول وراء ذروة جبل * ومنحرفة خلف قلة من القلل *
وهي من اكبر مدن الدنيا * حتى قيل انها قسطنطينية الكبرى *
فكانوا اذا عطفوا وراء تلك الذروة بالمراكب * واستتروا بالهضبة
النابتة عن عيني من هو في هذا الجانب * يصيرون كالاموات النازلين
الى الجنائز * الملقين في قعر اللحود والمقابر * لا يدرى الى اين
يتوجهون * والى اي نادٍ يصيرون * الى بر السلامة والاسلام *
ام الى دار الحرب واسر الكفرة الطغام * فيذهب منهم الذاهبون *
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون * فاذا جاءت المراكب

وهي فوارغ * تعلق كل من هذه الخلائق فيها بجهد كامل وجد بالغ *
ولم يذر رماد التجري عليه * والى ماذا يصير امره اليه * واشبهوا
في ابصارهم الكليلة وخطوبهم الجليلة * ما لكا الحزين والسلك
المذكورين في كتاب كليله * وحاصل الامر انه لم يسلم * من ذلك
السواد الاعظم * في كل غراب ادهم * الا مثل الغراب الاعصم *
واستطالت اعداء الدين * كيف شاءت على المسلمين * وقطع
امير سليمان البحر * واستولى على ذلك البر * وضبط ممالكه * وربط
مسالكه * وهو اوسع من هذا الجانب وافسح مرجا * واذر ريعا
واكثر خراجا وخرجا * واعظم حصونا وامكنة * وتحته مدينة ادرنه *
فاجتمع الناس على امير سليمان * وسهل الامر في الجملة شيأ ما وهان *

ذكر اولاد ابن عثمان * وكيف شتتهم وابادهم الزمان *

وكان للسلطان بايزيد المذكور * من الاولاد الذكور * امير سليمان
هذا وهو اكبرهم * وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم *
وكل منهم طلب لنفسه مهربا * وانحاز اليه من ابيه طائفة تبعا * فكان
منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه * وهي خرشنة الشاهقة العاصية *

... التي قال فيها ابو الطيب * شعر *

حتى اقام على ارباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع *

للسبي ما نكحوا للاسر ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا *

وقلعتها شاهقة * في نهاية الفلك عالقة * يعني النازل عنها في نزوله

منها * اكثر مما يعني الصاعد الى غيرها * يسميها اهلها بغداد

الروم * لان قرارا رضها بنهر كبير من الوسط مقسوم * وبينها وبين

توقات مسيرة يوم للمجد * واما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون

واستكان * الى ان قتله اخوه امير سليمان * وموسى فيما بعد قتل

امير سليمان بعيسى * ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى * ونسخت الاحكام

المحمدية * شرائع الملة الموسوية والعيسوية * الى ان مات حتف انفه

في اوائل سنة اربع وعشرين وثمانمائة * ومات بشيء دس اليه على يد

قوجقار في الهدايا الملكية المؤيدية * وانتقل الملك من بعده * الى مراد

ولده * وهو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة مستقل به *

واما مصطفى فانه قد فقد * وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه *

* عودا الى ما كنا فيه * من امور تيمور ودواهيه *

ثم ان تيمور لما قبض على ابن عثمان * جرد الى برسا طائفة من الجنود والاعوان * واضافهم الى شيخ نور الدين * ثم اتبعهم بوقا رمكين وجاشن مشنكين * فوصل اليها * ونزل نزول القضاء المبرم عليها * وضبط ما وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحرمه * وامواله وخزائنه وحشمه وخدمه * وخلع على امراء التتار ورؤسهم * واستعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم * ووزع امراءهم على امرائه واضاف كل ظهر منهم الى رأس من رؤسائه * ووصاهم بهم وعليهم * وبالغ في ان يصلوا ما امكنهم من البر اليهم * ومشى على مشيه القديم في استخلاص النفائس واقتناص النفوس وسبي الحريم * وجعل يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه * ويلاطفه ويباسطه ويتزرق اليه ويسخر منه ويضحك عليه *

ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية * غدت بالرصافة القبيحة على مر الزمان حكاية *

ثم انه في بعض الايام جلس في مجلس عام * وخفض جناح النشاط للخاص والعام * وطوى بساط النهي والامر * ومد سماط الخمر

والرمز * وحين غص بالناس المكان * استدعى سريعا ابن عثمان *
فجاء وفؤاده يرجف * وهو في قيوده يرسف * فسكن قلبه * وازال
رعبه * ثم احسن جلوسه * وازال بالانبساط اليه عبوسه * ثم امر
بافلاك السرور فدارت * وبشموس الراح ان تسير من مشرق اكوابه
السقاة الى مغرب الشفاه فسارت * وحين تقشعت عن شموس السقاة
سحاب الخدور * ودارت في سماء العشرة نجوم تحتها من مراسيمه
بروز البدور * نظر ابن عثمان فاذا السقاة جواريه * وعامتهم حرمه
وسراريه * فاسودت الدنيا في عينيه * واستحلى مرارة سكرات حينه *
وتصدع قلبه * وتضرم لبه * وتزايد كمده * وتفتت كبده * وتصاعدت
زفراته * وتضاعفت حسراته * ونكئ جرحه واغل قرحه * ونثر على جرح
مصابه من قصبات الاسى ملحه * وكانت هذه نكاية لابن عثمان بما اسلفه * في
مكاتباته بذكر النساء وحلفه * لانه سبق ان ذكر الحرم عند الجغتاي
وقبائل الترك من اكبر الجرم * واعظم من الخيانة في الحرم *
وايضا مكافاة لما فعله ابن عثمان * مع حريم طهرتن في ارزنجان *
ومن تمام اساءته لابن عثمان * احسانه لاولاد ابن قرمان * وكان

فيه ذلك ابن عثمان * ولما استولى على ممالك قرمان * وقتل متوليها

السلطان علاء الدين بعد ان حاصره وقبض عليه * ونقل الى حبس

برصا محمدا وعليا ولديه * فلم يزالا عنده في ضيق وضنك * حتى افرج

عنهما بالحبس عليه تمرلنك * فاخرجهما وخلع عليهما * وابر صما

واحسن اليهما * وانولاهما ما واهما وليس ذلك لحب

علي كرم الله وجهه ولكن لبغض معوية

* قلت *

* ولم يرفض معاوية محبا * عليا بل لان يزيدا *

* وقيل *

* وليس لحبه يحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرينا *

* وقلت بل بها *

* اصادق من احب اخي وان لم * يكن بيني وبينهم ولاء *

* وابغض من يعادي لي صديقا * وان اثنى علي بما اشاء *

* وذلك لينتكي ضدي وديما * فتى قد سرني منه الاخاء *

والامير محمد هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين * محمد بن

بينهما دون رمية حجر * وكلّ منهما آخذة من الأخرى الحذر *
وغير ذلك من القلاع والقرى * والقصبات في الوهد والذرى *
ولما بلغه ما فعله تيمور الغدّار * مع أولاد بن قرمان والتتار * ومع
قرايلوك وطهرتن حاكم ارزنجان * والامير يعقوب بن علي شاه
متولي كرمان * ومن توجه اليه من حكام منتشا وصاروخان *
وانه لا يهيج من أطاعه * وتلبس لأوامره بالسمع والطاعه *
سارع الى المثول بين يديه * وتهيأ للوفود عليه * فاقبل بالتحف
العاليه * والتحف الغاليه * فقابله بالبشرى * وعامله باليسرا *
واقره في مكانه نكاية لابن عثمان * ثم امره واولاد قرمان *
ومن اتسم له بميسم الطاعة والاذعان * من امراء تلك الاكناف
والاكنان * ان يخطبوا ويضربوا السكة باسم محمود خان *
والامير الكبير تيمور كوركان * فامتثلوا اوامره * وحلّوا زواجره *
وامنوا بذلك الغارة والمصادره * وتوفي اسفنديار الملك كور *
في شهور سنة ثلاث واربعين وثمانمائة وهو طاعن في السن وهو من اواخر
ملوك الذين وفدوا على تيمور * واستولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك ووقع

بينه وبين اخيه قاسم بك مشاجرات وانحاز قاسم الى الملك مراد بن

عثمان * ولله الامر من قبل ومن بعد *

* فصل *

ثم ان تيمور اخرج ما لابن عثمان وغيره من آل خانه * واستصفى

لخزائنه ما كان ارثا وكسبا لملوك الاروام من النفائس والذخائر *

وشتى في ولاياته منشا * والقى لك رؤسها مباحث تضريبه كيف شا *

وانتهى الى اقصاها * وحرر البحث في مسائل الخمس والمغانم

فاستقصاها * وانبثت جنوده في آفاقها * وغاصت في بحار ممالكها من

اثباج اطوادها الى قرار اعماقها * فمن فارع الى جبال جبالها

وتسنم صياصيها * ومن متعلق باذان مراميها ومتسلق باذيال نواصيها *

ومن راكب اكتاف اكنافها نازل في سواحلها * دائس بارجل

شعثه خد روضها الانف جائس بكلاكل مناهلها * ومن دامغ دماغها

بافداب رماحه لاجل العين * بالغ من غير حاجب له منها ما رام باليد

واليدين * ومن حائل على نهل صدرها * تال رؤسها ووجوهها للجبين

على ظهرها * ومن مادانا ملي تعذبه من غير كف الى معاصيها ومرافقها *

بكادياقدام الفسادفي بطون مغاربها وأفخاذ مشارقها * فجزوا الرؤس

وحزوا الرقاب وفتوا الاعضاد * وبتوا الأكتاد وحرقوا الأكباد *

وشوهوا الوجوه وأسالوا العيون * وأشخصوا الأبصار وبطوا البطون *

وأخرسوا الألسنة * وصكوا المسامع * وأرغموا الأنوف * وأذلوا

العرانين * وهشموا الثغور * وحطموا الصدور * وقصموا الظهور *

ودقوا الفقر * وشقوا السرر * وأذابوا القلوب * وفطروا المرائر * وأراقوا

الدماء * واستحلوا الفروج * وأخمدوا الانفاس * وأبادوا النفوس *

وسبكوا الأشباح * وسلبوا الأرواح * ولم يخلص من شرهم من رعايا

الروم الثلث ولا الربع * وصارت جماعاتهم فيهم ما بين منخنقة

وموقوذة ومتردية ونطيحة وما أكل السبع *

ذكر فتح قلعة ازمير وحتفها * ونبذة من عجيب وضعها ووصفها *

وحاصروا قلعة ازمير * وهي حصن في وسط البحر مناله عسير * بهمزة

مكسورة وزاي معجمة وميم مكسورة وياء ساكنة وراء مهملة *

قلعة قد قلعت في البحار * وأضرمت في قلب خاطبها بتمنعها وعصيانها

النار * أعصى من قلاع الجبال * وأقصى في المنال أن تنال بخيل

ورجال * فاعد لها انواعا من آلات المحاصرة * واخذها يوم الاربعاء
عاشر جمادى الآخرة * سنة خمس وثمانمائة * سادس عشرين آذار
من السنين الرومية * فقتل كبارها * واسر نساءها وصغارها *
وبنى من ابدان القتلى جوامع وشيد من رؤوسها منارها * ثم سلب
من القلعة غناءها وافقرها * واقواها من ذخائرها واقفرها * واخلاها
وقد استصفى منها ابيضها واصفرها * وطير بهذه الامور اجنحة البشائر *
واطارها على رغمه في الآفاق باسعد فال واسرع طائر *

ذكر ما صنعه من امر مروم * وهو في بلاد الروم * من قصد بلاد الخطا * واستخلاص ممالك الترك والجتا * وانتكاره وهو في الغرب مشغول * في استصفائه سائر ولايات الشرق والمغول * وكيف عاند القضاء المبرم * بتنازل الهب فؤاده واضرم * فصادمه الزمان وعكس غرضه * وهذه كالجملة المعترضة *

ثم ان تيمور كان قد استدعى عن سمرقند سبطه * محمد سلطان
والامير سيف الدين ورهطه * كما ذكر اولا وكان محمد سلطان هذا للفضلاء
ملاذا * وللعلماء معاذا * مخائل السعادة في غضون جبهته لائحه *

وبشائر النجابة من اسارير طلعته واضحة *

* شعر *

* فى المهد ينطق عن نجابة جده * اثر السعادة لائح البرهان *

وشيف الدين هذا هو احد رفقاء تيمور فى مبداه * واس اركان

دولته فى منتهاه * وهما اللذان كانا بنيا اشبارة * واسسا فيها قواعد

النهب والغارة * وهى فى نحر بلاد المغول والجتا * واقصى حد ما ينتهى

اليه حكم تيمور ومبدأ بلاد الخطا * ووليا بها اميرا يدعى ارغون

شاه * وامداه بطوائف من العساكر وفى ثغر المغول ارصداه * كل هذه

الامور * بامر تيمور * ولما شرعا فى ذلك * لم يرض المغول بهذا

الفعل الحالك * لانهم كانوا يعلمون ان ذلك الافعى * اذا جاورهم

لا بد انه فى الفساد يسعى * فلا يامنون غائلته * ولا يطيقون

مجاورته * فتشوشت خواطرهم * وتكدرت ضمائرهم * فاستوفزوا

للفرار * واخلاء الديار * فزاد الجغتاى فيهم طمعا * ومد كل

من اشرار الطائفتين الى الاضرار يد التطاول رجل الفساد وسعى *

وشرب كاسات التحرم فاكل ما حل بيده وما تزهد فى تعففه ورعا *

وفرح الجغتاي بذلك * ووقعت العداوة بين الجانبين فسد كل
على الآخر طرق المسالك * وجعلوا يرسلون اليهم السرايا * ويحلون
بما تصل يدهم اليه من متعلقاتهم البلايا * وجعل المغول ايضا يفعلون مع
الجغتاي ذلك * وتربصوا بتيمور ليبعد عنهم ريب المنون وتشبثوا
بعشوبات المهالك * واتصل الخبر بتيمور * فسر بذلك أشد السرور *
ثم انهما خصاهما بالأهبة الكاملة * والعدة الشاملة والرجال المقاتلة *
منهم طائفة من عساكر الهنود وملتان * وقوم من جند عراق العرب
واذربيجان * وفرقة من فوارس فارس وخراسان * وشرذمة من اناس
تدعى جانبي قربان * واضافوا هؤلاء الكماة * مع تومان من ياشاق
الجغتاي الى الامير ارغون شاه * ووصلا الى خجند * وقطعا سيحون
وقدما سمرقند * ووليا بها اميرا يدعى خواجه يوسف * فكان في قبيله
الطاعة والاخلاص يوسف * ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك
الغشوم * ثم انهما جاءا جميعا سيف الدين في خراسان ومحمد سلطان
في بلاد الروم * فوقع تيمور في الاحزان * على حفيده محمد سلطان *
ولبس عسكره السواد * واقاموا شرائط الحداد * ولم يكن بهم حاجة

الى السواد المعلم * فانهم كانوا السواد الاعظم * ثم جهز عظامه في تابوت * الى سمرقند مع عظموت وجبروت * ورسم ان يلقاه اهل المدينة بالنوح والبكاء * ويقيمون عليه شرائط العزاء * وان لا يبقى احد من العباد * الا ويلبس من فرقه الى قدمه السواد * فخرج اهل سمرقند عند موافاته * وقد انغمسوا في السواد لملاقاته * وصار الشريف والوضيع والدني والرفيع بالسواد معلما * فكأنما اغشي وجه الكون قطعا من الليل مظلما * فدفنوه بمدرسته الحصينة المعروفة بالشاية * داخل المدينة وذلك في سنة خمس وثمانمائة * ولما اهلك الله تعالى جده * دفنوه كما سيأتي ذكر ذلك عنده *

ذكر حلول غضب ذلك الصياد * على الله داد * ونفيه اياه الى اقصى البلاد *

ولما توجه التقل من ماردين صحبة الله داد * وفارقه تيمور متوجها الى استخلاص بغداد * وكان الله داد * له اند اد * واكفاء وحساد * واعداء واضداد * والحسد في عنق صاحبه غل قمل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * وجد اعداؤه للطعن فيه مجالا * وفي مقام ثلب عرضه مقالا * فانتهزوا فرصة غيبته * واكلوا بلا ملح

لحمه وتنقلوا بغيبته * وتشوفوا الى تيمور * وذكروا ما فعله في الشام
من الامور * وانه اغتنم من ذخائرها ما لا يحصى * واختلس لنفسه
من نفائسها وتعلق به من اعلاقها ما لا يستقصى * وكان كما قالوا *
وما املوا اكثر مما نالوا * فبددوا امره * واوغروا عليه صدره *
لاسيما وقد قص جناحه بموت سيف الدين اخيه * وكان من الابهة
والمهابة بحيث ان تيمور كان يخافه ويرتجيه * وله في ممالك ما وراء
النهر مآثر مشهودة * ونتائج فكر باقية معهودة * فلما وصل الله داد الى
سمرقند * اعقبه تيمور مرسوما من عنده * بان يتوجه الى اشباره *
ويستعد هناك للنهب والغارة * وذلك كالنفي لالله داد * والقائه
في اقصى البلاد * وطرحه في نحر المخالفين وثغر ذوي العناد *
وانتقل منها الى سمرقند ارغون شاه * ولم يزل بها الله داد الى ان
انتقل تيمور الى لعنة الله * فجعلت المغول تجهز الى اشبارة القيالقة *
وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق * وتغتنم الفرصة لبعد
تيمور عنها * وكان الله داد يحترز اشد الاحتراز منها * وهو مع ذلك
يجهز لهم التجاريد * ويحفر لهم بالمكر الا بار والاخاديد * ويقتل

ويأسر * ويطحن ويكسر * حتى اذوا ها بعد تيمور * وسيأتي

ذكر هذه الامور *

نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط * وما كان يصل اليه

غواص نكرة النشيط *

ثم لما كان تيمور المشوم * مخيما ببلاد الروم * ابرد الى الله داد مراسله *
فيها امور مجملة ومفصلة * امره بها منتيا لها * وارسال الجواب
بكيفية حالها * منها ان يبين له اوضاع تلك الممالك * ويوضح له
كيفية الطرق بها والمسالك * ويذكر كيفية مدنها وقراها * ووهدها
وذراها * وقلاعها وصياصيها * وادانيها واقاصيها * ومفاوزها
واوعارها * وصحاريها وقفارها * واعلامها ومنارها * ومياهها
وانهارها * وقبائلها وشعابها * ومضائق طرقها ورحابها * ومعالمها
ومجاهلها ومراحلها * ومنازلها خاليها وآهلها * بحيث يسلك في ذلك
طريق الاطناب الممل * ويتجنب مأخذ الايجاز وخصوصا المخل *
ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين * وكيفية السير بين كل مرحلتين *
من حيث تنتهي اليه طاقته * ويصل اليه علمه ودرايته * من جهة

وجهز ذلك اليه * حسبما اقترح عليه * كل ذلك وتيمور * في بلاد الروم يمور *

ذكر ما فعله ذلك المكار * عند تجهيزه امرا الروم من الغدر بالتتار *

ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر * وقضى الكون من آفعاله العجب واهل الروم النحب وجيشه من الغارة الوطر * وامتلأ من المغانم وادي سيله العرم * وكان فتى الربيع قد ادرك وشيخ الشتاء قد هرم * واندرج الى رحمة الله المجيد * السلطان السعيد * الغازى الشهيد ايلدرم بايزيد * وكان معه مكبلا في قفص من حديد * وانما فعل ذلك تيمور * قصاصا كما فعله قيصر مع شابور * وكان قصد استصحابه الى ما وراء النهر * فتوفي معه في بلاد الروم في آق شهر * وفي هذا المكان * توفي حفيده محمد سلطان * وعزم على الرحيل * وحزم احمال التحويل * ثم جمع رؤوس التتار * وقلدا ضمرلهم الدمار والبوار * وقال قد آن ان اكافيكم بما صنعتم * واجازيكم بما فعلتم * ولكن قد اضر بنا المقام * ومللنا الاقامة في مضايق الآكام * وهلم نخرج الى الفضاء الفسيح * ونشرح صدورنا من ضيقي الزمان والمكان في المقامه

القبح * ضواحي سيواس * ومنتزه الناس ومثوى الاكياس * فهنالك
نضبط احوال هذا الاقليم والريف * ونقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضيه
رأينا الشريف * فانه لابد من تفصيل جمله * وامعان النظر في كيفية
تدبيره وعمله * وحصر مدنه وقلاعه * وضبط قراه وضياعه *
وحسبان توامينه واقطاعاته * والاحاطة بافراده وجماعاته *
فاذا فصل لنا ما اجمل * ووضح عندنا ما منه استشكل * فحصنا عن
رسومكم وخراجكم * وتوصلنا الى معرفة اخباركم وتراجمكم * وجمعنا
رؤساءكم * وحصرنا زعماءكم * واحصينا اعدادكم * واستقصينا
آباءكم واجدادكم * واعتبرنا اخوانكم واولادكم * ونظرنا متعلقيكم
واحفادكم * وتحققنا شعار الروم ودثارهم * واورثناكم ارضهم
وديارهم * ثم فرضنا هذه المسئلة على اعداد الرؤس * وقسمنا نفائس هذه
الممالك على النفوس * ثم رددناكم اليها مكرمين * وكفيناكم زعما لكم
العيلة اذ كنتم علينا معولين * وعلى كل حال فانا نفعل مع كل منكم
ما يجب فعله * ونبقي عليكم من افعالنا ما يتحلى في بطون الدفاتر
والتواريخ نقله * فكل منهم ارتاح لهذا القول * وعول في هذه المسألة

على موافقة الرد ولم يعلم ما فيها من العول * فلما توافقوا على هذه الحركة

بنفس ساكنة * لم يقع منهم في هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم

المتماثلة متباينة * فسار بالناس * حتى بلغ سيواس *

* فصــــــل *

ولما برق ركام ركابه المتراكم في آفاق سيواس ورعد * وكان له ان

يفي لطائفة التتار بما وعد * جلس جلسة عامه * وأقام من زبانيته

الجند طائفة طامه * ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس * والظهور

والضروس * ومن تخشى مضرته * وتتقى معرته * والمردة من شياطينهم *

والعتاة من اساطينهم * فاستقبلهم بوجه طلق * ولسان بالحلاوة ذلق *

واجلسهم مكرمين في مكانهم * وزاد في تمكينهم وامكانهم * ثم قال

قبل كشفت بلاد الروم ونواحيها * وتبينت جميع قراها وضواحيها *

وقبل أ هلك الله عدوكم فاستخلفكم فيها * وانا ايضاً فوض ذلك اليكم *

واذهب عنكم واستخلف الله عليكم * ولكن اولاد بايزيد غيرتاركيكم *

ولا يرضون بان يكونوا فيها مشاركيكم * واما صلحهم فقد سلفت

فعالكم مع ابيهم طريقه * فلا مجاز لكم الى شريعته على الحقيقه *

ولا شك انهم يرأبون صدعهم * ويلمّون جمعهم * ويستوخون
عليكم اهل المدر والوبر * ويأتيهم بالاجابة كل من يبلغه دعوتهم
لانكم في زعمهم اهل غدر * فيلبسون لكم جلد النمر * ويصلونكم
الجمر بكل امر وفوتمر * فيقرضونكم من كل جانب * ويختطفونكم
من الاطراف والجوانب * لا سيما وبيدهم غالب الحصون والدساكر *
وتحت اوامرهم من بقي من طوائف الجنود والعساكر * فان كنتم
كما انتم في الناس فوضى * فانهم يخوضون في دمائكم خوضا * فعوا
واسمعوا * ان كنتم لم تعقلوا ولم تسمعوا *

* شعر *

* لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا *

واما انا فلست منكم بدان * ولا لي في المدافعة عنكم يدان *
فلا بد لعقد امركم من نظام * ولصلوة جماعتكم من شرائط واركان
يجب القيام بها اولا والسلام * واول شرائط ذلك امام * يرجع الى
الاقتداء بافعاله الخواص والعوام * ثم بعد ذلك ترتيب الجماعة *
وتنزيل كل واحد في صف السمع والطاعة * ثم وضع الاشياء في محلها *

وزمام المناصب والوظائف في يد أهلها * وإيصال كل مستحق الى
استحقاقه * رجع الرأي على أمر واحد باتفاقه * فاذا اتفقت آراؤكم
وائتلفت أهواؤكم * وعظمت أبناؤكم كبتت أعداؤكم * وكنتم
يدا واحدة على من ناواكم * وانتصرتم على من خالفكم وعاداكم *
فكان ذلك أحرى أن لا تمتد إليكم بمكروه يد * ولا ينالكم من مخالفيكم
كيد ولا كد * وهذا إنما يتم بالنظر في أحوالكم * والتفحص عن أمر
خيلكم ورجالكم * وضبط الأهبة والسلاح * فان ذلك آلة الظفر
والفلاح * فليذكر كل منكم ولده وأهله * وليحضر خيله ورجله * وليأت
بعدده وعدده * وجنده وولده * وليعرض ضرورته إن كانت *
ولا يستصعبها فقد هانت * فمن كان محتاجا الى إكمال شيء أكملناه *
ومن كان معتازا الى إيصال شيء أوصلناه * وأضفناه الى كل ما تجب إضافته *
فيحصل أمنه وتذهب مخافته * فاعرضوا أول شيء علينا سلاحكم * حتى نكمله
ونعمل صلاحكم * فأحضر كل منهم أهبته * وعرض عليه عدته *
وطرحوه في ذلك الجمع النظيم * فتراكم وكان كالطود العظيم * كما فعل
أول الزمان * بأهل مدينة سجستان * فلما سلب تلك الأسود

بمراثيهم وانيابهم بهذه الاساليب * وجلب اولئك الكواسر الجواسر
على مناقيرهم والمخاليب * واولج صارم فكره الذكي في احشاء عقولهم
وانزل * وصار سماك سماء عزمه الرامح وقد تجرد سعد الذابح اعزل *
امر كل من عنده احد من التتار * ان يقبض عليه ويوثقه بقيد
الاسار * ثم امر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه * وقد اشعل قبائل
التتار بجمر البوار واصعد الى العيوق دخانه * ففت ذلك من اعضادهم *
وبت من اكبادهم * وقصم ظهورهم * واشعل نارهم واطفا نورهم *
ثم تلافى خواطرهم بالمواعيد الكاذبه * واستعطف قلوبهم بالاماني
الخائبه * واستصحبهم بالاقوال المموهه * والافعال المشوهه *
وحال بهم الحال * وامر في الحال بالمسير والترحال * قيل ان
السلطان بايزيد * قال لذلك العنيد * انني قد وقعت في حبائلك *
واعلم انني غير ناج من معاطبك * وانك غير مقيم * في هذا الاقليم *
ولي اليك ثلاث نصائح * هن بخير الدارين لوائح * اولاهن لا تقتل
رجال الاروام * فانهم رداء الاسلام * وانت اولى بنصرة الدين *
لانك تزعم انك من المسلمين * وقد وليت اليوم امر الناس * وصرت

لبدن الكون بمنزلة الرواهن * فان حصل لوفق اتفاقهم من المبادي
بذلك بسط وتكسير * تكن فتنة في الارض وفساد كبير * الثانية
لا تترك التتار * بهذه الديار * فانهم مواد الفسق والفساد * فلا تهمل
امرهم * ولا تأمن مكرهم * فخيرهم لا يعادل شرهم * ولا تنكر على ارض
الروم منهم ديارا * فانك ان تذرهم يملؤوها من قبائلهم نارا *
ويجعلوا من مواضع رعاياها ودمائهم بحارا * وهم على المسلمين
وبلادهم اضر من النصارى * وانت حين فخذتهم عني زعمت انهم
باولاد اخوتك * وبنوا عمك وذووا قرابتك * والاولى بجماعتك
وناسك ان تبلعك * ويكل من اولاد اخيك ان يقول لك ثم خذني معك *
فاعمل افكارك الصيبة في اخراجهم * وانك اذ تخلفهم تحلبسا فتطمعهم
في افراجهم * الثالثة لا تمدن يدا التعرض بك الى قلاع الشاميين
وحصونهم * ولا تجلهم عن مواطن حركتهم وسكونهم * فانها معاقل
الدين * وملجا الغزاة والمجاهدين * وهذه امانة حملتكها * ووصية قد تكلها *
فتقبلها منه باحسن قبول * وحمل هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم
الجهول * واستكثرها على عقل ابن عثمان * وزني بها بقدر الطاقة والامكان *

ذكر ارتفاع ذلك الغمام * بصواعق بلائه عن ممالك الاروام

وسار وثار غباره * اخذ عين الشمس منه الانبهار * وفار بحار التيار *
وكأن التجبر امده الله بسبعة ابحار * فمر لا يدخل قرية الا افسدها *
ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها * ولا يمر على مكان الا دمره *
ولا ينجلي عن ربقة طاعته جيد الا كسره * ولا يمتنع عليه شمراخ
حصن شامخ الا قصره * فخلع على عثمان قرا يلوك حين وصل
الى ارزنجان * وقرر في ولايته وزاده بعض معان ومغان *
ووصاه بشمس الدين الذي ولاه قلعة كماخ * وان يكون
لكل منهما للآخر قوة وطباخ *

ذكر انصباب ذلك العذاب ماء ونارا * على ممالك الكرج وبلاد النصارى

ثم لم يزل يلجج بذلك البحر اللجي * حتى ارسى على بلاد الكرج * وهم قوم
يدينون المسيح * ملكهم غير فسيح * ولكنه مصون * بواسطة قلاع
وحصون * ومغاير وكهوف * وجبال وجروف * وتلال وحروف *
وكل من ذلك اعصى في المنال * من نفس كريم سيم شيمة الانذال *
ومن مدنهم تفليس * وكان اخذ ماذلك الابليس * وطرابزون وآبخاس *

وهي التخت بالاختصاص * فتمنعت هذه الاماكن عليه * ولم تسلم
قيادها اليه * فاقام يحاصرها * وتعديناترها وينابترها * فمن ذلك
مغارة بابها في وسط جرف شاهق * آمنة من البوائق سالمة من الطوارق *
وسقفها آمن من صواعق المجانيق * وذيلها ارفع من ان يتشبث به
علائق المسالق * مدخلها اخفى من ليلة القدر * وعلم التوصل
اليها اجلى من القمر ليلة البدر * فاولع بمحاصرتها * والتزم
بمضاجرتها * واستعمل من فكره مهندسه * وجعل لايقر من الافكار
والوسوسه * ثم انتج رأيه المتين * وفكره الرصين * ان يرسل
عليها عذابا من فوقها * وان يصطاد تلك الحمامة الصاعدة في الجو
بارجلها من طوقها * فامر ان يصنعوا له توابيت على هيئة التابوتات *
كأنهن شياطين النساء للرجل غلابات * وارتقهن بالسلاسل
الحكيمه * وارتقهن بالرجال ذوى الشكيمة * وادلاهن من تلك
القلال * واهواهن من شواهق الجبال * فتدلين في الهواء * تدلية
مبرم القضاء * فملأن النفانف * وازجفن من الجبال والرجال
الروانف * وصار لمعان حال تلك الصقور والشواهين ينادي كل

من رآه * ألم تر إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله *
فحين برزوا باب تلك المغارة * كبتوهم بالنبال السحارة * وكفوهم
بالمكاحل الطيارة * وهارشوهم بأنواع الأسلحة * وناوشوهم بالأزهاق
والكلاليب المغلظة * فلا زالت الجوارح في الهواء صافات ويقبضن *
ويقبلن إلى ذلك الوكر جائيات عليه ولا يعرضن * ينقرن أسرة أهله
بمناقير المناقيب * وينشبن فيهم مخاليب الكلاليب * وبكر الناشزة
تمانعهم على الولوج * وتستعين في مدافعتهم بمن فيها من العلوج *
فلم ينشب أحد من أولئك الجوارح * أن أنشب في الباب كلوبه
الجارح * ثم استقصد الفتح * واستنهض الظفر * واعتمد على الله
ومن دبابته إلى الوكر طفر * فاحتضنه ساعد المساعدة * واكتنفه
عضد المعاضدة * وقبض على رسغه كف السلامة * فنكصت النصارى
على عقبهم أمامه * ولم يزل وحده مبيدهم * حتى قتل أربابهم
وصناديدهم * ثم أدخل رفقته فيها * وأخرجوا ما كان في مخابيها *
واسم هذا الرجل لهراسب ستة أحرف ليس فيها غير متحركين اللام
مضمومة * والهاء * والزاء مفتوحة * والألف والسين والباء * واجتماع

18338

ثلاث سواكن في الفارسي كثير * وفي التركي ايضا موجود ولكنه
عزيز غير عزيز * ومن جملة هذه القلاع قلعة شاهقة * حروف ذاتها
حروف اسمها بمناجاتها ناطقة * لا يعمل في فتحها لارتفاعها لعل
وليت * لان اسمها كما زعموا كل كوركيت * اي تعال انظر ارجع *
يعني انه لا ينال الواقف عليها * سوى النظر اليها * ثلاثة اطرافها
مبنية على قلل الآكام * شمخت على ما حواليها من الهضاب فهي على الاعلام
اعلام * وطريقها من الوجه الرابع وهو دقيق في سلوكه عسر *
ينتهي بعد انواع المشقة الى جرف مقطوع بينه وبين باب ذلك الحصن
جسر * اذا ارتفع ذلك الجسر سدت دون الوصول الى الحصن
الحيل * واماذ كل من لاذ بقلته من بنيه فصح ان يقال له معاذ بن
جبل * فلما اطلع على حقيقة امرها * وانكشف له مستور خبرها *
ابى ان يرحل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ولم يكن بالقرب
منها مكان ينزل فيه * ولا بد ان يحول ذلك البحر الطاغي وتحويه *
بل انما كان حواليها جروف وهضاب * غضون جبينها كانها زجه
شوهاء ناشز عن زوج محب عقاب في عقاب * تطمع منها في غير مطمع *

ونصب سرادقه بحيث كان منها بمرأى ومسمع * وصار من عساكره

الاسود الخوادر * يتناوبون حصارها ما بين وارد وصادر * وهم يرفعون

الجسر بالنهار * فيأمنون مكائد القتال والحصار * لانه قبل تقدم انه

لم يكن حواليها مكان للقتال * ولا مفحص قطاة يتمكن منه النضال *

فكانوا يرمونها بالنبال على بعد بسهام الاحداق * ويرضون منها بنظرة

من بعيد كقانع العشاق * فاذا اجنهم الليل * شمروا الى جهة مخيمهم

الذيل * لانهم لم يمكنهم حواليها مبيت ولا مقيل * فتضع النصارى الجسر

ويرومون الى ما جاءتهم السبيل * فلما لاح له منها اما رات

... الحرمان * وبان له ان اهل طنه من فتحها قد امان *

... * كما قلت *

* واعظم شيء في الوجود تمنعا * نتاج مرام من عقيم زمان *

صمم العزيمة على الرحيل * ولكن خاف العار فطلب لهذه المسئلة

... الدليل والتعليل *

ذكر سبب اخذه لهذا الحصن المنيع * وبيان

معاني ما جرى في ذلك من صنع بديع *

وكان في عسكره شابان نديدان * اسدان جلدان * يتشابهان
في الخلق والخلق * لم يكن بينهما في الرجولية والشجاعة كثير فرق *
يتباريان في كل وقت في ميدان المناقب لاحراز قصب السبق *
فكانا ككفتي ميزان * وفي مضمارها فرسي رهان * فاتفق ان احدهما
صادف عنجا من الكرج * في الجراءة كالاسد وفي الجثة كالبرج *
فنازله ثم قتله * وقطع رأسه والى تيمور حمله * فعظم شأنه * واعلى
على الاقران مكانه * فاثر ذلك في نديده * فكأنه قطع حبل وريده *
ثم افتكر في شئ يصنعه * يضع من نديده ويرفعه * وكان اسمه بير محمد
ولقبه قنبر * فلم ير اكبر من مواقبة ذلك الجسر ولا اشهر * فاعتمد
على الله سبحانه وحده * واستكمل ماله من اهبة وعدة * ورصد نجمه
في بعض الليالي * ولطا في مكان خالي * ولا زال يترقب النجوم *
ويترصد عليهم طوالع الانقضاض والهجوم * ويشير تلك الفتن بيديه
ويذرع * ويمشي تارة على بطنه واخرى على اربع * الى ان طرح
الضوء نقابه * وسلخ الجواشا به * ورجع النصارى الى كسرهم * وتعاونوا
على رفع جسرهم * طفر بير محمد الى الجسر يقطع حباله * وتابع عليهم

من جنيته نباله * ولم يمكنهم من رفعه * ولا غير موضوعه عن وضعه *
فتراكموا عليه بالنبال والاحجار * وارسلوا عليه من ذلك السماء
المدرار * ولا يردعها هو بصدده * ولا يلتفت الى جنبه * ويتلقى
ما يصدر من مراسيم نبالهم واحجارهم بالقبول على رأسه وعينه *
ولم يزل على المكافحة والمناضحة * والمكاشحة والمكالحة * حتى تعالى
النهار * وعض الكون من فعاله انملة التعجب واخذ عين المكان
الانبهار * وكان المحاصرون لما كفوا عن القتال وتهور قد عزم
كل ذكر على الترحال * وكان سرادقه منصوبا بمكان عال * فناداه
لسان الفتح * وخاطبه منادي النجح

* شعر *

* لا تيأسن من مطلب * قطع الورى اسبابه *

* ان اغلقوا ابوابهم * فالله يفتح بابه *

فتراءى على باب القلعة من بعيد كأن ناسا يتواثبون * واشباح طائفة
يتكالبون ويتضاربون * فقال لقبيله اي اولي النجدة والعون *
اني ارى ما لا ترون * فانعموا معي النظر * ثم اسرعوا نحو المعسكر *

وأتوني بحقيقة الخبر * فاندفعوا يستشرفون لذلك خبرا * ويستكشفون لسرائره سترا * وهم ما بين عادٍ من النمر اعدى * وجارٍ من الاسد اجرى * وكلٌّ منهم في عدوه وعداوته تأبط شرا * ولم يزالوا يتجارون على ذلك ارسالا وتترى * كأنهم الشياطين نهاض ووثاب وعداء وهلم جرا * حتى ادركت مقدمتهم بيرمحمد * وهو في غمرات الموت بناره يتوقد * وقد صار لسهامهم غرضا * وكاد جوهره ان يصير عرضا * فلما رآهم من بعيد عاش * وحصل له الانتعاش * وزال عنه الارتعاش * وتلاحقت به الصناديد * فكفت عنه تلك الانفسال الرعاديد * وحين عجزوا عن رفع الجسر وولوا الاعقاب * عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا الباب * فاختلط بيرمحمد معهم * ودخل الحصن ومن ايصاده منعهم * فدقوه بالسيوف * ورضوه باحجار الحتوف * وهو يأبى الا المدافعة * ويجتهد في مراجعة الممانعة * لا يشعر بما يناله من رض الحجر وجراح الحديد * كأنه مثالة عراة الفناء في الغناء في التوحيد * الي ان غشيتهم تلك الليوث * واندفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء النجدة سيول الغيوث * فتشبثت اسود المنايا بتلابيبهم * وخلصوا بيرمحمد

واحاط بهم عزاهم * فانحلت قواهم وانخرمت عراهم * وقعدت بهم
الحيلة وقامت عليهم القيامه * وتجهمت بهم الى جهنم الزبانية واسلمتهم
السلامة * وتفأل تيمور بحصول الفلج * وانثنى عزمه الى استخلاص
ممالك الكرج * وانبثت شياطينه فيها تهزهم هزا * وقدت ثوب
حيوتهم قدا وجزتهم جزا * وخاطت لهم اكفان المنايا بالسلاح
فاوسعتهم شلا وكفا ودرزا * وتلا عليهم لسان الانتقام الم ترا انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين تأزهم ازا *

ذكر طلب الكرج الامان * واستشفاعهم الى ذلك الجان * بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان *

فاستدركوا تقصيرهم * واستنهضوا تدبيرهم * ورقعوا خرقهم قبل
الاتساع * ووصلوا حبل حيوتهم قبل الانقطاع * واستغاثوا الامان
الامان * واستعانوا في خلاصهم بالشيخ ابراهيم حاكم شروان *
والقوا الي ايادى تدبيره الزمام * ورضوا ان يكون لجماعتهم وان كان
على غير ملتهم الامام * وجعلوه خطيب ذلك الخطب * واستحلوا
ما تثمر لهم سعايته من يابس ورطب * وكان اذ ذاك جيوش الصيف

كجيش الكرج قد ولّت * وجنود الخريف والشتاء كجيش تيمور قد
اظلّت * وسلطان الاجرد * قد صقل فرند المياه وجرّد * ورفع عن
الاغصان الاعلام السلطانيه * ونصب على قلل الجبال الصيوانات
البلاريه * والبس متن الغدير من نسيج نسيم الاصيل الدروع
الداوديه * فكان ما في الكون من جوامد ونوام * من جملة عساكر
تيمور حام له او محام *

* قلت * شعر

* واذا اراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا *

* واذا اراد خلاصه من هلكة * اجرى له من نارها الانهارا *

* فترى العقول تقاصرت عن كنهه * وترى له في شوكها ازهارا *

فدخل الشيخ ابراهيم عليه * وقبّل الارض بين يديه * وحيّاه بتحية
الاكاسرة من الملوك * ووقف في مقام اصغر مملوك * ثم استأذن
في الخطاب * واستلطف في ردّ الجواب * فاذن له فقال ان عموم
شفقة مولانا الامير * وحسن حنوه على المسكين والفقير * وشمول
عاطفته الكريمة ورحمته المنيفة * حملت عبد المملوك على عرض ما عنده

على الآراء الشريفه * وهو انه بحمد الله المرام حاصل * والمراد على وفق الاختيار متواصل * وهيبة مولانا الامير في الشرق والغرب * اغنته عن الاستعداد للضرب والحرب * ثم ان العساكر المنصورة اكثر من ان تحصى * وفيهم من الاسرى والمرمّق الحال ما فات من الاحصا * خصوصاً جماعات التتار * الذين ولى سعدهم الادبار * واحلوا قومهم دار البوار * قد اضر بهم البرد * وتردد نفس حظهم بين العكس والطرد * فان استمرت الامور * على منوال الدستور * رق الجليل وهلك الرقيق * ودق العظيم وانطحن الدقيق * وهذه البلاد بل وسائر الاقاليم * محال الا بامرك ان تستقيم * وان رؤساءها من الفجرة والفسقه * علموا ما لمولانا الامير على مملوكه من الحنو والشفقه * فتراموا لعلة المجاورة على المملوك * ورجوا من الصدقات الشريفة ما يرجوه من الغني الكريم المحتاج الصعلوك * ومهما برزت به المراسيم المطاعه * تلقاه بالقبول كل من المملوك وهؤلاء الجماعه * وقابلوا الاوامر الشريفة بالسمع والطاعه * وان كان المقصود جمع مال * فالمملوك يقوم به على كل حال * وانى للمملوك

في التروس * فأحاط بالأطواد قوس قزح * وسير خيوله في اللبوس

تجالت كتائب لكثبان بشفوف الورد والريحان خائنة في ذلك البر

المتبرج * وغارت الجمال * فمرت الجبال مر السحاب * وسارت الرعال *

فصعد العنان من النقع الضباب * وشرعت الذوابل * فاذا رطب

الأغصان متمائل * ومزمزت القواصل * فانساب في القصيل مرهف

الجداول * ونضنضت ألسنة الخناجر والنيازك فبرزت عذبات

العذبات * ونشرت أعلام الكتائب فانبثت أشاهير الأزاهير

على عقبات العقبات * وعلى الجملة فان الربيع حاكي ببروقه بوارقه *

وبرعوده صواعقه * وبخمائله ورواييه زرابيه ونمارقه * وبركامه قتامه *

وبشقائقه أعلامه * وبأشجاره المزهرة خيامه * وبأغصانه رماحه *

وبعواصف أمره وقصفه رياحه * بكتائبه السود كتبه الخضر *

وبأزهاره الزرق مزارقه الزهر * وبسيوله الجائفة مسير جحافله *

وباضطراب بحرفيالقه تموج خمائله عند هبوب أصائله * واستمر

بين ذلك العرار والرند * قائلا بالبال الفارغ الى هم وقند * فسار

والسرور رنديمه * والحبور حزيمه * والأشر معاقره * والنشاط مسامره *

وبين التفريط والإفراط موارده ومصادره * حتى قطع ولايات
اذربيجان * وحل ركابه بممالك خراسان * وفي خدمته ملوك
الأقاليم وأرباب التيجان *

ذكر نهوض ملوك الأطراف لاستقباله * ووفودها عليه مهنية له بحسن مآله *

ولما تسامعت أقطار البلدان * أنه قفل قاصدا الأوطان * أقبلت إليه
الملوك من أطرافها * والمرازبة من أكنافها * وسارع إلى استقباله
المدارة والجحاجيح * وتبادر من ما وراء النهر وغيرها السراة
والمراجيح * وتطاير إليه من الأقاليم أساطينها * ومن الولايات
والثغور ملوكها وسلاطينها * ومن كان مرابطا في ثغر * ومواظبا
على أكيد أمر * أرسل نائبه أو قاصده * أو حاجبه أو رائده *
يتباشرون بقدوم إقدامه * ويهنئونه بما فتح عليه من هنده وعراقه
ورومه وكرجه وشامه * ويقدمون التقادم والحمولات * ويهيئون
الضيافات والإقامات * ثم أردفهم السادات والعلماء والمشايخ والكبراء *
ورؤساء الموابنة ومواينة الرؤساء * فجعل يسمت لكل واحد منهم سمتا *

ويأمره فيخضع بالسمع والطاعة اجلالاً وصمتاً * ويمهد له فيها ولاة

قواعد ومباني فلا ترى فيها عوجاً ولا امتا * ثم جهز كلاً منهم بما اقتضاه

رأيه واجازه * ووصل الى جيحون وقد اعدت له السفن والمراكب

فجازه * فخرج اهل المدينة للاستقبال * وكل منهم منشرح البال

ملتئم الحال * فدخل سمرقند اوائل سنة سبع وثمانمائه * ومعه

من طوائف الامم الاثنان والسبعون فرقة واكثرهم قد زينة ومرجئة *

ثم اذن لمن اختاره من العساكر فتفرقت * ولطوائف جند

ماوراء النهر فتمزقت *

ذكر توزيعه التتار رسالا * شرقا وغربا يمينا وشمالا *

فلما استقرت به الدار * اخذ في توزيع التتار * فكانوا ذوي

عدة وعدد * ونجدة وشدة * فخشي سلبهم عدته * كسر

شوكتهم وشدتهم * ولكن ابقى الله عدتهم * فخاف لذلك

نجدتهم * فشتت جمعهم * واقوى من اجتماعهم ربعهم * فبذرهم

في فياف وبطاح * ووزعهم في قفار وضواح * وبددهم في اقطار

عناء وبراح * وزادهم في اقطار بكاء ونواح * فسلّد بروقهم افواه

الثغور * واوصل بظهورهم ابواب النحور * فجهز طائفة الى كاشغر *
وهو بين حد الخطا والهند احد الثغر * ووجه فرقة الى دويرة
في وسط بحيرة تدعى اسي كول * وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول *
فصادفهم بعض السعد * فانقطعوا عمن اضيفوا اليه كما ينقطع عما يضاف
اليه بعد * فانضوا منهزمين ولم يلووا * واخذوا من صوب الشمال
وخرجوا على الدشت الى ايدكو * ثم اضاف سائرهم * وقبائلهم
وعشائرهم * من كل حزين اواه * الى ارغون شاه * وجهزه بعزم
وحزم * الى ثغور الدشت وحدود خوارزم * وهذا كان بجيرة *
وما بني عليها وامره وامورة * فانه كان من الشياطين النقاله *
وفي المكر واللعب بالناس كلقة المختاله * كلما بنى في قطر قلعة *
او استولى في ثغر من ثغور المخالفين على بقعة * انزل بها من العساكر *
من هو في اقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر * ونقل اليها من
اهلها من الرجال * ان كان في الشمال الى اليمين وان كان في الجنوب
الى الشمال * فانه لما استولى على ملك تبريز وما والاه * استناب فيه
ولده لصلبه اميرانشاه * وامده من الجغتاي بطائفة غلاظ شداد *

منهم خدايداد اخو الله داد * ونقل الى اطراف الخطا وتركستان * طوائف من عسكر العراقين والهند وخراسان * وولى سماقة بن التكريتي الذي اخذه من الشام * نيابة مدينة سيرام * وهي من سمرقند الى جهة الشرق نحو من عشرة ايام * وولى يلبغا المجنون نيابة ينكى بلاس وراء سيرام بنحو اربعة ايام * وهما كورتان مختصرتان * وراء سيحون من معاملات تركستان * وهما كانا اقل من ان يذكرا * فضلا ان يصيرا حكاما وامرا * وانما فعل ذلك * لينتشر في اطراف الممالك * ان عنده من رؤساء الشام * جماعة من اعيان الاعلام * وان في ممالكه من الخدم * رؤساء الامم حكام العرب والعجم * وان ذلك الطرف جال وسطا * وملك ما بين الشام والخطا

* فصل *

ثم اخذ يتفقد ما حدث في غيبته * من امور بلاده ورعيته * ويتفحص عن قضايا الممالك * ويسلك لملوكها المسالك * ويدبر مصالح الاطراف والثغور * والاكناف والبحور * ويراعي احوال الكبير والصغير * ويتعاطى مصلحة الغني والفقير * ويضع الاشياء في محلها * وزمام

الوظائف والمناصب في يد اهلها * ويبادر * بما قال الشاعر *

* لله در انوشروان من رجل * ما كان اعرفه بالوغد والسفل *

* نهاهم ان يمسوا عنده قلما * وان يذل بنو الاحرار بالعمل *

واخذ يربي السادات * ويكرم الاولياء ذوي الكرامات * ويبجل

العلم واهله * ويعلي الفضل ويعز محله * ويقلع المفسد ويقمع المارق *

ويخنق الزاني ويصلب السارق * حتى استقامت في زعمه امور السياسة *

وتمت على تورة جنكيزخان قواعد الرياسة *

ذكر ما ابتدعه من منكراته * وطبع بخاتمه خواتيم سيآته *

ووافى باستيفائه زائل وفاته *

ثم شرع في تزويج حفيده اي ولد الولد اولوغ بيك ابن شاه رخ

النبيه * الذي هو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة حاكم

سمرقند من قبل ابيه * فامر اهل المدينة * ان يشرعوا في الزينة *

وان يرفع عنهم الكلف والمظالم * ويعفى عن الطروحات والمغارم *

ويبسط لهم بساط الامان * ويعامل الكبير والصغير والرفيع والوضيع

منهم بالفضل والاحسان * وان لا يشهر في ممالكه سيف * ولا يجري

فيها ظلم ولا حيف * وان يخرج ازينتهم الى مكان نحو ميل من ضواحي

سمرقند * يدعى كان كل هواؤه اذكى من المسك وماؤه احلى من القند *

كأنه قطعة من روض الجنان * غفل عنها خازنها رضوان *

* قلت * شعر

* رعى فيه غزال الترك شيحا * فصار المسك بعض دم الغزال *

ونوافح هوائه الطف من نسيم السحر * ورواشح مائه اعذب من ماء

الحيوة صفاء ابلا كدر * وتغاريد طيوره الذ في السماع من ثناء

الناي على الوتر *

* قلت *

بساط زمرد نثرت عليه * من اليا قوت الوان الفصوص *

* وقيل * شعر

* كأن مد ور الازهار فيه * وورد افي محاسنه تنضد *

* صحائف من لجين او عقيق * ومرجان وياقوت وعسجد *

* فهذي حشوها مسك فتيت * وهذي ضمنها تبر مبدد *

* اراد الروض يجلوها علينا * فصاغ لها اكفا من زبرجد *

صباغ القوة الخيالية يتعلم خلط اصباغ النقوش من تشاجير
ازاهيره * وماشطة عرائس الجمال تزين عواتق الكمال
من تحارير تصاويره *

* قلت *

* كأن رباه بميا وقت هبة * خضم بانواع الحلي مرصع *

افسح من امل حريص طامع * في جاه غني كريم نافع * وانزه للابصار
والبصائر * من غض شباب زاه زاهر * ساعده الدهر بوجه بسيط وادب
كامل وعمر طويل ومال وافر * وهو احد الاماكن المذكورة *
والمتنزهات التي هي بالنزاهة والرفاهة في الدنيا مشهورة * وميدان
السعد اللذ ي جهاته بالنعيم موقرة موفورة *

* قلت *

* شقائقه خد وناضرات * تجشت من سواد المقلتين *

عساكر تيمور مع انها البحر المتلاطم فيه * تضاهي بني اسرائيل في قطر
من اقطار التيه * ثم امرا الملوك والسلاطين * وارباب التيجان
من الاساطين * ان يخرجوا اليه * وينبثوا عليه * وفرز لكل منهم

في ذلك المرج مقاما * ورتبه ميمنة وميسرة ووراءً واماما * وامران يظهر ما امكنه من تجمل وتحسين * ويضرب ما له من خيام وقباب متكلفة بانواع النقوش والتزيين * ثم رتب من دونهم من الكبراء والاعيان * ورؤساء الامراء والاعوان * في ذلك الروض الاريض * والمرج الطويل العريض * فاخرج كل منهم ما حواه * وكاثر نظراءه لينظروا ما قدمت يداه * وفاخر ذوي الفخار منهم وباهى * واستقصى في المباهاة والمفاخرة وتناهى * فنشروا مما طوت صحائف ايامهم * على جمعهم اياه محجلات آثامهم * من طرف اطراف الاقاليم والامصار * وتحف جواهر المعادن والبحار * ونفائس ذخائر نهبوا عليها النفوس واتهبوا الانفاس * وعرائس اخائر سقوا عليها الكؤس وخرقوا الاكياس * ما ازرى على زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر * واسرى منظرة البهيج مرايا المسرات الى سر السرائر * فزاد حسن حدائق ذلك المكان ونما * وعلا قدره بهجة على كل ارض وسما * ثم امر بسرادقاته فجعلت مركز تلك الدائرة * ونقطة دائرة تلك الافلاك الدائرة * وهي سور محيط مضروب * على ما له من خيام وقباب منصوب * له باب واسع *

يدخل فيه من دهليز شاسع * الى ما به من معان ومغان * وله قرنان
شامخان * تتكسر لهما الرؤس * وتتدهل عند مشاهدتهما النفوس *
ولاجل هذين * كان يلقب ذا القرنين * ونصبوا داخل هذا الجناب *
عدة من الخيام والاخبية والقباب * ومن جملتها قبة اعلاها
واسفلها بالذهب مزركش * وظاهرها وباطنها بلب الريش
مريش * واخرى كلها بالحرير محبوكة * وبانواع النقوش والوان
الاصباغ مبنية مشبوكة * واخرى من فرقها الى قدمها مكللة باللآلي
الكبار * التي لا يعلم قيمة احد منها الا عالم الاسرار * واخرى مرصعة
بانواع الجواهر * على صفائح الذهب مدهشة للابصار والبصائر *
وجعلوا لما بين ذلك سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون * وبين ذلك الاروقة المنقشة * ورواقات
الاخبية المزركشة * والفساطيط والابنية المدهشة * وفيها مراوح
الخيش * الجالبات لبرد العيش * والمنافع والمرافق * والمفاتيح والمغالق *
واظهروا الذخائر الغريبة * وارخوا على ذلك الستائر العجيبة *
ومن جملتها ستارة جوخ كان اخذها من خزانة السلطان بايزيد *

قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة اذرع بالذراع الجديد * منقشة
بانواع النقوش * من صور النباتات والبنيان والعروش * واشكال
الهوام والطيور والوحوش * واشخاص الشيوخ والشبان * والنساء
والصبيان * ونقوش الكتابة وعجائب البلدان * والعروق اللاعبة
وغرائب الحيوان * بالوان الاصباغ * المبالغ في احكامها واجادتها
احسن بلاغ * كأن صورها متحركة تناجيك * وثمارها الدانية
لاقتطافها تناديك * وهذه الستارة احدى عجائب الدنيا * وليس المستمع
كالمرأى * ونصبوا امامه سرادقاته بمقدار شوط فرش الصيوان * الذي
يجتمع المباشرون فيه وارباب الديوان * وهو جمع عالي الذرى * شامخ
في الهواء * له نحو من اربعين اسطوانة * وعواميد واسوار شيد وا
عليها اركانه وشددوا بنيانه * يتسلق الفراشون الى اعلاه كالقردة *
كأنهم مسترقوا السمع من الشياطين والمردة * ويتعادون على سطحه *
حين يرفعونه بعد بطحه *

فصل

واخرج اهل المدينة * ما عندهم * من تجمل وزينة * ونصبوه * تجاه تلك

السرادقات على مدّ البصر * وتأنّق كلّ واحد من اهل البلد بما وصلت
اليه القوة والقدر * واجتهد كلّ ذي حرفة بما يتعلق بحرفته * وبالغ
كلّ من ارباب الصنائع فيما يليق بصنعته * حتى ان ناسج القصب اخرج
فارسا مكمّل الاهبه * واستقصى في اكمال هيئته حتى اظافيره وهدبه *
واستوفى دقائق ما يتعلق به من الآلات * كقوسه وسيفه وسائر
الاستعدادات * كلّ ذلك من القصب * ورفع ذلك في مكانه من غير
تعب ونصب * وصنع القطانون من القطن مئذنة رفيعه * محكمة
بديعه * ذات قدّ رشيق * وصنع وثيق ومنظر انيق * ببياض جسم
يسمو على الحور * وكمال قوام يعلو على القصور * ونصبوها فصارت
بحسنها تستوقف النظاره * وبعلو قامتها ترشد في ذلك المهمه المارة *
حتى غدت علما للسيارة * وطنجوا مع تلك الابنية منارة * وكذلك
اهل الحرف من الصواغين * والحدادين والخفافين والقواسين *
وسائر الطوائف * وارباب الملاعب واللطائف * ولقد كانت سمرقند
مجمع الافاضل * ومحطّ رحال اهل الفضائل * فرتبت كلّ طائفة
مما اخرجته على حدة في مكانه * امام سرادقاته وصيوان ديوانه *

ونصبت وراء ذلك كله الاسواق * وضربت بين الناس بوقات الابواق * وزينت الفيول وجياد الخيول بافخر لباس * واطلق عنان الرخص والتمتع بانواع الملاهي والملاذ للناس * فسارع كل طالب الى مطلوبه * واجتمع كل محب منهم مع محبوبه * من غير ان يتعدى احد على احد * او يستطيل اعلى من يكون على ادنى من يكون من الجند واهل البلد * او يجري تعلل ما * من شريف ما على وضيع ما

* فصـــــل *

ولما استتبت الامور على مراد تسويل قرينته * واخذت الارض زخرفها وازينت من جنده واهل مدينته * توجه الى ذلك المرج على وقاره وسكينته * وخرج على قومه في زينته * ثم امر ان تجري يواقيت الصهباء * على زبرجد ذلك المرج الاحوى * وسيلها لكل ناظر وعام * فسبح في تيارها كل خاص وعام * فدارت في سماء تلك الارض للسرور افلاك * وهبطت في افقها بوحي اللذات من افلاك الملاحة املاك * فاصبحت تلك الاسود الجواذر * وهي ظباء جواذر * وتنزلوا من جحيم المنازلة * الى نعيم المغازلة * وتبدلت تلك الغلاظة والكثافة * باللطافة

والظرافة * واصبحوا بعد جورهم يتجاورون *

وبمعنى ما قلته يتجاورون *

* شعر *

* محا الظلم من بين الورى سيف عدلنا * فلم يتشبث مستغيث بمعتدي *

* سوى قلب صب صاده طرف احور * وخصر نحيل آده ردف اغيد *

فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظ وهو مع ذلك مكسور *

ولا يجول ذابل الا ان كان رمح قد وهو مع ذلك بالعشاق مهصور *

وصرت لا ترى الا عودا يحرك او يحرق * او قلبا طائرا يرب او يرزق * او شاديا

يغرد * او شاربا يعربد * او جارية تسقي * او ساقية تجري * او خد

ورد يعشق * او ورد خد ينشق * او كاس تغر يرشف * او غصن

خصر للعناق يقصف * او فرص عيش يغتنم * او لسان

حال ينشد ويترنم

* شعر *

* في ربيع الوصل لما * ان وفي الظبي الشرود *

* وسرت بشرى الصبا * للروض تنبي بالورود *

* * جَرَت الأنهارُ والأغصانُ ما لَت للسُجود * *

* * واجتمعنا في رِياضٍ * حُسنها يسبي الوُجود * *

* * فالسَّحابُ الصَّبُّ فيها * بالحشا أمسى يجود * *

* * نشرَ اللدن علينا * منه بِلَّوراً الغمام * *

* * فوقَ صحنٍ سندسي * فيه ملياقوت جام * *

* * وثغور من عقيق * زانها حُسنُ ابتسام * *

* * وعيونٌ من لُجينٍ * ناظرات لا تنام * *

* * وغصونُ الدوحِ حفتنا بأنواع النقود * *

* * طيرُها غنى عليها * إذ حلا عودٌ أو طار * *

* * وشذاها ضاع فيه المسكُ لمَّا منه غار * *

* * والصبا أمسى عليلاً * في رُباها حين سار * *

* * جنةُ الفردوس فيها * وجهُ بدري حين نار * *

* * أصبحت جناتُ عدنٍ * تشتهي فيها الخلود * *

* * يا لها من عشرةٍ جاءت بأنواع الهنا * *

* * ليس فيها غيرُ لثمٍ * وارتشافٍ واعتنا * *

* وكؤوس دائرات * و[illegible] [illegible] *

* لو رآها زاهد من * زهده كان افتتن *

* لم يسعه عند ما من * زهده الا الجحود *

* قم نديمي عاطني * فالدهر لا يسوى الحزن *

* كاس عيش يتحجي في * مزجها صرف الزمن *

* الطلا والماء والخضرة * والوجه الحسن *

* لا تطع في ذا عذولا * انه خب كمن *

* في حشاه غليان * لا تقل خل ودود *

فحصل الامن والدعه * والفراغة والسعه * ورخص الاسعار * وقضاء الاوطار * واعتدال الزمان * وعدل السلطان وصحة الابدان * وصفاء الوقت * وذهاب المقت * وحصول المطلوب * ووصال المحبوب * مصراع * وعند التناهي يقصر المتطاول * واتفق له في ذلك العرس من الابهة والعظموت * والسطوة والجبروت * شيء لم اظنه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين * ولا يقع فيما بعد لاحد من المتاخرين * وان كان المامون فرش تحته ليلة عرسه حصيرا من الذهب * ونثر على

وأيه اللؤلؤ المنتخب * ولم يلتفت اليه * ولم يلتقط من ورائه ولا من بين يديه * حتى قال * قاتل الله ابا نواس كأنه كان حاضرا حيث

قال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على ارض من الذهب *

لكن تيمور كان في عرسه ذاك بنات الملوك وصائف * وبنوها عبيدا كل منهم في مقام العبود يقف واقف * واجتمع عنده قصاد الملك الناصر فرج من مصر والشام * ومعهم الحمولات والتقادم ومن جملته الزرافة والنعام * ورسل الخطا والهند والعراق والدشت والسند وبريك والفرنج ومن سواهم * وقصاد كل الاقاليم اقصاهم وادناهم * ومن كل مخالف وموافق * ومعاد ومصادق * فاحضر الجميع حتى شاهدوا عظمته * وعاينوا جبروته في ذلك العرس وابهته * فباشر ذلك على تلك الحال * لا يخاف النكال ولا يخشى الوبال *

قلت * شعر *

* * قريرا لعين لا يرجو الها * خلي البال لا يخشى معادا * *

يتناول المحرمات ويبيحها * ويروج عنده مستهجنها وقبيحها *

مهما امر به جماعته في ذلك امتثلوه * يتباهون في كل قبيح عملوه *
ولا يتناهون عن منكر فعلوه *

قلت * شعر *

* تبدل من سفك وهتك جريمة * احل بها ما حرمته الشرائع *

وجعل بين عوالملوك والامراء * وسلاطين الآفاق والكبراء * وقواد

التوامين * وزعماء الجيوش والمقدمين * ويسقيهم الكاسات بيده *

ويجل كلا منهم محل اخيه وولده * ويخلع عليهم الخلع السنيه *

ويجزل لهم المواهب والعطيه * ويجلس كلا منهم بحسبه ذات اليمين *

واما ذات الشمال فانها للنساء والخواتين * فان النساء لا يستترن

من الرجال * خصوصا في مجلس الاجتماع والاحتفال * واستمر

في ذلك بين جنك وقانون * وعود وارغنون * وناي مرقص مطرب *

وشاد معجب مغرب * وساق فاتن ودهر موات وهوى متبع * وامر مستمع *

وشمس تدور * على نجوم وبدور * وكاس تملأ وكيس يفرغ *

وامر يمضي وامل يبلغ * حتى استخفه الطرب والبطر * واستفزه النشاط

والاشر * نضبع اليك من استعضده * ومد للنهوض اليه يده * فتعاضد وا

لمعاً ونته * وتعاونوا على معاضدته * وحين استوى قائماً *
تهادى بينهم بشيبته وعرجته راقصاً *

* قلت *

* ومن عجب الدنيا اشل مصفق * وابكم قوال واعرج راقص *

فنثر عليه الملوك والكبراء * ونساء السلاطين والامراء * الجوائز
واللآلي * والفضة والذهب وكل نفيس غالي * ولم يزل على ذلك حتى استوفى
من اللهو حصته * ودخل العروس منصته * وانقضت تلك
الامنيه * وتفرقت ما تيك الجمعية *

* شعر *

* ما كان ذاك العيش الا سكرة * لذاتها رحلت وحل خمارها *

* فصل *

ولما بلغ من دنياه المرام * وانتهى ليله الى الكمال والتمام * وعرج
فيما يرومه الى ما عرج * وصعد في سلم ارتقائه الى اعلى الدرج *
وقارب بدر سروره الافول * وشمس حياته ان تزول * رشقه الزمان
بسهم اصماه فما امهله * ونادى بلسان فصيح * فرغ

العروس يا بيت الاحماء لو سمع لكان يصيح *

قلت * شعر *

* وما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه *

* ومهيات ما فيه نزول وانما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه *

* ومن صار اعلى كان اوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه *

فافاق من سكره * وعاد الى عسكره * وارعوى وما ارعوى * وعلم انه اضل قومه وما هدى * ورأى انه قد فرط في امر الرياسة * وحط من جانب الايالة والسياسة * وانه سام الملك خسفا * وسائس السلطنة وجد عليه مائة طريق في التقصير والفا * فاخذ يتدارك ما كان فرط *

ويطلب التقصي عما فيه تورط *

ذكر بعض حوادث * متقدمة لمتعلقات ذلك العابث *

وكان تيمور قد رأى في الهند جامعا * للبصيرة مرتعا وللبصر رائعا * عرشه في حسن بنائه ونقشه * من الرخام الابيض كبساط فرشه * فاعجبه شكله * واراد ان يبنى له في سمرقند مثله * فقرر لذلك مكانا في فرز * ورسم ان يبنى له جامع

على ذاك الطرز * وان يقطع له احجار من المرمر الصلد * وفوض امره
الى رجل يقال له محمد جلد * احد اعوانه ومباشري ديوانه * فاجتهد
في بنيانه * وتشييد اركانه * واستقصى جهده في تحسينه * من تاسيسه
وتركيبه وترتيبه وتزيينه * واعلى له اربع ماذن * وباهى فيه ائمة
البنائين والاستاذين * وظن ان لو كان على ذلك احد غيره * لما قدر ان يصنع
صنعه ويسير سيره * وان تيمور يشكر له صنيعه * وينزله عند ذلك
منزلة رفيعة * فلما آب من سفرته * وتفقد ما حدث في غيبته * توجه
الى الجامع لينظر اليه * فبمجرد ما وقع نظره عليه * امر بمحمد جلد
فالقوه على وجهه وربطوا رجليه * ولازالوا يجرونه * وعلى وجهه
يسحبونه * حتى بضعوه على تلك الحال * واستولى على ماله من اهل
ومال * واسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى *
امرأة تيمور العظمى * امرت ببناء مدرسة * واتفق المعمارية واهل
الهندسة * ان تكون في مواضع * مقابلة لبناء هذا الجامع * نشيدوا
اركانها * وشددوا بنيانها * وعلوا على الجامع طباقها وحيطانها *
فكانت ارسخ منه تمكينا * واشمخ منه عرنينا * وتيمور كان نمرعه

الطبع * اسد في الوضع * ما تكبر عليه رأس الاشلخه * ولا تجبر عليه
قهر الا فضخه * وكذلك كلما أضيف اليه * او عول في النسبة عليه *
فلما رأى قامة تلك المدرسة طالعة * وعلى قبة جامعه الكبير ترفعت
واستطالت * نغل صدره غيظا واشتعل * وفعل مع مباشر ذلك ما فعل *
فلم يصادفه فيما أمله سعد * ومنه الحكاية متقدمة لما ذكر بعد *
* نكتة * كان هذا الجامع كما ضبط * احاطت اوزار الاحجار
بجوانبه * ربما قلت على غواربه ومناكبه * ودقت عنق طاقته عن حملها
ورقت * وتلا لسان سقفه اذا السماء انشقت * وما امكن تيسر
الاشتغال بهدمه ثم احكامه * ونقض بنائه واستيفاء ابرامه * فطوى
ثوب عمارته على غره * واستبقى خشب اخشبه على وهنه وكسره * لكن
امر خاصته وذويه * ان يتجنبوا ان يجتمعوا فيه * واستمر ذلك في حيوته وبعد
وفاته * فكان اذا اجتمع الناس فيه للصلوة * يرتقبون من تلك الحجارة ما يهبط
من خشية الله * وصار ملك الجبال في تلك المحلة * يتلو واذ نتقنا
الجبل فوقهم كأنه ظلة * ففي بعض الاحيان * وقد غص بالناس ذلك
المكان * واخذ كل منهم حذره * سقط من حجارته من اعلاه شذرة *

ضرّ كل من كان جاثيا * وانفضوا الى الابواب وتركوا الامام قائما *
وكان من جملتهم الله داد * احد الاكفاء والانداد * فلما طلعوا
على حقيقة الخبر * تراجعوا وزال عنهم الخور * فلما قضوا الغرض *
وانتشروا في الارض * قال لي الله داد * وكان من الذ ماذ وفة
النكياد والاذكياء النقاد * لله در الذي كعبة الحجازي مائة شوط
والف طوف * ينبغي ان يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلوة
فيه بصلوة الخوف * وقال لي الله داد * وقد فهم معنى هذا الانشاد *
وينبغي ان ينشد * في شأن هذا المعبد * ويكون رقم طرازه
ونقش صدره ومجازه *

* قول الشاعر *

* سمعتك تبني مسجدا من جباية * وانت بحمد الله غير موفق *
* كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزني ولا تتصدقي *

* فصـــــل *

ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول * كان استخلاص ممالك الشرق
في فكره يجول * وقد ذكر انه ارسل الى الله داد * يستوصفه

أوضاع تلك البلاد * ولما انكشفت له أحوالها * وتبينت له أقوالها
ومضافاتها وأعمالها * حتى شاهدتها عين بصيرته * واستقرت كيفيتها
في سر سريرته * جهز لتلك النواحي * رؤوس هاتيك الضواحي *
ومن جملتهم بيردي بيك وتنكري بيردي وسعادات * والياس خواجه ودولة
تيمور مع زيادات * وأضاف اليهم طوائف من الأجناد * ورسم أن يتوجهوا
كلهم الى الله داد * وأن يجهز الله داد أمره * ويتوجهوا فيبنوا قلعة
تدعى باش خمره وهي عن اشباره نحو من عشرة أيام * ومن متعلقات
المغل الطغام * وكانت أمورها اضطربت * ولكونها متنازعة بين مملكتين
خربت * فتوجهوا الى تلك الدارة * بالعساكر الجرارة * واشتغلوا
على غير عادتهم بالعمارة * وكان توجه هذه الفئة * في أواخر سنة ست
وأوائل سنة سبع وثمانمائة * وقصد بذلك أن يكون لهم معقلا *
وعند توجههم الى الخطا وإيابهم ملجأ وموئلا * فلما أحكموا أساسها *
وصنفوا أنواع بيوتها وأجناسها * ووضعوا من حجارة الأساسات
أقدامها * ورفعوا على أعلام الأسوار أعلامها * أرسل اليهم مرسوما أنهم
يرجعون أمرها * ويتناسون ذكرها * ويأمرهم فيه بالرجوع *

والاشتغال بتعليق البلاد بالزرع * بحيث ان فقهاء المدارس والمدرسين من اهل القرى والامصار * والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة من فلاحي الانجاد والاغوار * واهل الرزداقات والاكارد * من حدود سمرقند الى اشبارة * يتركون مسائل المعاملة والمبايعة * ويكررون البحث قولا وعملا في درس المساقاة والمزارعة * ويؤذن في جماعتهم ان يقيم كل منهم في الزرع صلاحه * وان اضطرا حدهم ان يترك صلوته فالحذر ان يترك فلاحه * ورام بذلك ان يكون لهم في سفرهم عتادا * ان نقص لهم في الدرب قضيم وخضيم زادا * فتركوا العمارة * وقصد كل من الامراء دياره * واشتغلوا باستخراج البقر والبذار * واجتهدوا في احياء جميع الموات كما رسم واشار * فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى المصيف بساطه * ونشر رائد الخريف على العالم اعلامه وانماطه *

ذكر عزمه كما كان على الخطا * ومجيئه سكرة الموت بالحق وكشف عنه الغطا * ثم انتقاله من سفرة * الى سقرة *

فلما افاق * اخذ فيما كان عليه من التوجه الى الآفاق * وقصده

الحواشي والاطراف * واستخلاص الممالك والاكناف * وصرف
عنان الذهاب * نحو الخطا على عادته وكان ذلك عين الصواب *
فارسل الى امم عساكره ان يستوفزوا * وياخذوا اهبة اربع
سنين او اكثر ويتجهزوا * فلبت كل امة دعوة رسولها *
وشنفت باقراط مراسيمه آذان قبولها * وحمل كل اسد جوزاء
عتاده * وامتطى جدي بغيه * وعقد كل ثور سنبلة زاده * ودلو
سقيه * ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان * وانسابوا انسياب
الحوت في بحار العدوان * مجازين مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان *
فابود هلال القوس سهم بردة بمرسومه الى كل صماخ * يخبر أن
جند الشتاء على عالم الكون والفساد اناخ * فليستعد له الكفاة * وليحذره
العراة والحفاة * ولا يكتفوا في كفه بكافاته فما كل كاف له كفوا *
لانه في هذه المرة آية من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا * وأن
قصده بقلع ومه تبريد الانفاس * وتشبيط الانوف والاذان واسقاط
الاكارع وقلع الراس * وأن فصل الخريف رائد جنوده * وقائد
بنوده * ونموذج طلعته * ومرآى عين غلته * وعنوان مكاتبته *

ومقدمة كتيبته * ثم زمجر بعواصف رياحه الباردة * وخيم على العالم بخيام غيومه الصادرة والواردة * فارتعدت الفرائص من زئيره * ولاذ كل من الحشرات بقعر جحره خوفاً من زمهريره * وخمدت النيران وجمدت الغدران * وارتجفت الاوراق ساقطة من الاغصان * وخرت على وجهها الانهار * جارية من الانجاد الى الاغوار * وتخيست الاسود في اخياسها * وتكنست الظباء في كناسها * وتعوذ الكون من آفته * واصفر وجه المكان من مخافته * واغبرت خدود الرياض * وذبلت قدود الغياض * وراح ما كان بها من النضرة والارتياح * واصبح نبات الارض هشيماً تذروه الرياح * فاستسمج تيمور لفظات هذه النسمات * واستبرد نفثات هذه النفحات * وامر باعداد لبوس القباب * واستعداد بركستوانات الجباب * واتخذ لصفاح الجمن وسهام البرد * من المبطنات الدرق ومن الفراء الزرد * ثم ضاعف لملاقاة الشتاء مضاعفات اللباس * وافرغها على قامة عزمه الثاقب وامد بها من كافات كفايته باتراس * ولم يلتفت الى كلام وملام * واستكفى من الشتاء ما لبسه واعده من كل كاف ولام * وقال لعسكره لا تكترثوا

بأمر الشتاء فإنما هو برد وسلام * وحين اجتمعت عساكره * والتأمت

أموره وأمره * أمران يصنع له خمس مائة عجلة * وتضبب بالحديد

لتحمل عليها ثقله * فبادر الشتاء خروجه بالدخول * وأورد بانقطاع

جرايته عمره من ديوان الفناء الوصول * فبرز في شهر رجب * وقد

أصبح البرد عجبا وأي عجب * وسار لا يرق لمرق * ولا يرثي لجسد

من البرد محترق * فوصل في سياحته الى سيحون وقد تجمد * وبنى

عليه رائق النسيم الصرح الممرد *

قلت فيه نظما * شعر *

* على النهر قد عاينت جسراً ممدداً * بناه إله العرش صرحاً ممرداً *

* بكيت فحلت الدمع في جنباته * رقيق رحيق في زجاج تجمدا *

فعبره ومر * ومضى على ذلك واستمر * وتمادى على لجاجه وأصر * فدمر

الشتاء عليه بالدمار * وانحط عليه من الجوانب بكل إعصار فيه نار *

وحطم جيشه بكل نكباء صرصر * وضرب أثبات عسكره بصرة طول فيها

وما قصر * وهون لك الجمع الكثير يسير * لا يحن لأسير ولا يجبر من كسير *

يسابق البرد ببرده * ربما رمى أجرده بجرده وزمرده * فجال فيهم

الشتاء بجراجف عواصفه * وبث فيهم حواصب قواصفه * وأنام عليهم
نائحات صنابره * وحكم فيهم زعازع صنابره * وحل بناديه *
وطفق يناديه * مهلا يا مشوم * ورويدا أيها الظلوم الغشوم *
فإلى متى تحرق القلوب بنارك * وتلهب الأكباد بأوامك وأوارك *
فإن كنت أحل نفسي جهنم فإني أنا ثاني النفسين * ونحن نحسان
اقترنا في استيصال البلاد والعباد فانحس بقران النحسين * وإن كنت
بردت النفوس وبردت الأنفاس بنفحات زمهريري منك أبرد *
أركان في جرائدك من جرد المسلمين بالعذاب فأصماهم وأصمهم ففي
أيامي بعون الله ما هووا صهروا جرد * فوالله لاحاييتك * فخذ ما آتيتك *
ووالله لا يحميك يا شيخ من تردد ريب المنون * لواعج جمر مجمرة ولا واهج لهيب
في كانون * ثم كال عليه من حواصل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك
الزرد * وأنزل عليه وطئ عساكره من سماء الزمهرير من جبال
فيها من برد * وأرسل عقيبها زوابع سوافيه فحشتها في آذانهم ومآقيهم *
ودستها في خياشيمهم فاستقبلت بها نزع أرواحهم إلى تراقيهم *
وجعلتهم تلك الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته

كالرميم * واصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج

المنقضه * كأنها برعرصات القيامة او بحر صاغه الله من فضه *

فكانت اذا ابزغت الصقعاء ولمع الصقيع ترا آه شيء عجيب * سماء

من فيروزج وارض من بلور ملأ ما بينهما شذر الذهب * فاذا تنفس

فيما بين ذلك والعياذ بالله نسمة ريح * على نسمة ذي روح

اخمدت نفسه * وجمدت قوته * وكذلك الجمل والجمان * حتى اتت

على كل مرمق الحال * وانتهى الشان الى ان طابت النار ورادها *

وصارت لواردها سلاما وبردا * واما الشمس فانها ارتجفت *

وجمدت عينها من البرد وتشقت * وصارت

كما قيل

* يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها *

وكان الرجل اذا تنفس جمدت انفاسه على سباله ولحيته * فيصير

كانه فرعون وقد رصع لحيته بحليته * وان لفظ من فيه نخامة

عاقدة * لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا وهي بندقة

جامدة * فانكشف ستر الحيوة عنهم * وانشد لسان حال كل منهم *

* شعر *

* فيا رب ان البرد اصبح كالحا * وانت بحالي عالم لا تعلم *

* فان كنت يوما مدخلي في جهنم * ففي مثل ذا اليوم طابت جهنم *

فهلك من عسكره الجم الغفير * واتى الشتاء على كبير منهم وصغير * وشاط منهم انوف وآذان وسقط * وانحل عقد نظامهم وانفرط * ولا زال الشتاء يهب ويصب عليهم ريحا وبحارا * حتى اغرقهم فيها وهم عاجزون حيارى * ونودي عليهم مما خطيآتهم اغرقوا فادخلوا نارا * فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا * وهو مع ذلك لا يلتفت الى من مات * ولا يتأسف على ما فات *

ذكر رسوم ارسله الى الله داد * بت منه الاكباد * وفت القلوب والاعضاد * وزاد ما خيله فيه من هموم بانكاد *

وكان تيمور حين مخرجه من سمرقند ارسل الى الله داد باشارة * مرسوما اذهب فيه قراره * ونفر طائر نومه عن وكر اجفانه واطاره * وفهم من فحواه بالاشارة * انه طالب دماره * وموتم اولاده ومخرب دياره * شدد عليه فيه المضائق * وسد في وجهه الطرق والطرائق *

واقترح عليه فيه بأمور * يسهل عنده ما قطع الجبال ونقل الصخور *
ويعذب عنده أدناها شرب البحور * من أقلها أن يهيئ له بمفرده
إقامة ليوم قد رمه دون غده * خصيصا يأكله ليله * وقضيما يطعمه
خيله * ومن عرض ذلك مائة حمل جمل طحينا خاصه * وهو مخصوص
به لليلة واحدة خاصه * وأنه مع عساكره الجراره * لا يبيت سوى
ليلة واحدة بأشباره * إلى غير ذلك * فلما أطلع الله داود على هذا
الكتاب * وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب * علم أنه قد حل به
العذاب فسلبت وعيه * وبذل سعيه * وأخذ في إعداد الطحين *
واجتهد في إدارة الطواحين * وكانت الطواحين أوقف من حال أديب *
في هذا الزمن العجيب * ومجاري مياهها أيبس من كف شحيح *
كلف زمن القحط تذرية الدقيق في الريح * ودماء الأنهار في مجاري
عروق الجبال ناضبه * ودموع العيون في آماق الغروب غاربه *
فبذل ما كان أعده * لكل نائبة وشده * وامان نفائس الأموال *
واستعان على إجراء الماء بالمال * واستغاث بأولي النجدة من الرجال *
واستمد المدد * من كل عدد وعدد * واستنهض آراء المتفقين من الأصحاب *

واشتد فيهم ما نزل به من مخالب البلاء ات وناب * وقرع لفتح ما رتج عليه مما لا طاقة له به كل باب * فاستجابوا دعاءه * واجابوا صدا ه ونداءه * وتأزروا المضيه * واستطبوا المرضيه * وجمعوا من العملة والفعلة الاسود والسواحين * فعملوا في سوق الانهار من الاعمال ما يبهر الطواحين * وجعلوا يعاندون البرد * ويقطعون في طريق الماء الجمد * فكانوا كالضارب في حديد بارد * والكايل بتزويق وعظه تليين قلب الجاحد * حتى سهلت حزونه * ورق لمكابدتهم فدمعت عيونه * وصاروا لا يقطعون من الجليد * مقدار ذراع بالحديد * الا وتهب نسيمة يابسه * على تلك الوجوه العابسه * فاذهب بارد النسيم * قابله الماء بوجه بسيم * فيبرد قلبه عن نارهم * ويصرد ليه عن اوارهم * فيجمد ما فوق ذلك * فتضيق عليهم المسالك * فيرجعون القهقرى * ويمشون كالحبالى الى ورا * والله دادمغ ذلك يبذل الاموال * وينادي مستغيثا يا للما ء يا للرجال *

* قلت *

* فكان كل منهم كالحمار * يخرج ما امكنه بالمدار *

* يوقفه الماء لاجرائه * وكلما اوقفه البرد دار *
الى ان وقع الاتفاق بين الرفاق * ان هذه مسئلة تكليف ما لا يطاق *
وحين تبين له امرهم * وتعين عنده عذرهم * قارنه الحظ الحالك *
وتيقن انه لا محالة هالك * وانه قد وقع في البلاء العريض الطويل *
وان محمد ومه ما طلب منه في ذلك العجز الدقيق الا لامر جليل * وكان
بلغه ما وشاه به اضداده * ونقل الى تيمور عنه اعداؤه وحساده *
وعلم ان خاطره تغير عليه * وفعله مع محمد جلد مشيل جا معه قد
نقل اليه * وكيف قتله شر قتله * ونهب امواله واسر اولاده واهله *
وكان متوقعا من تيمور * اضعاف هذه الشرور * لا يقر له قرار *
ولا يسكن له ليل ولا نهار * وقد غسل من الحيوة يده * وودع
حيوته واهله وماله وولده * وقد قرب شهر الصيام * وصار بينه
وبين تيمور نحو من عشرة ايام * وقد انقطعت الدروب * وضعف
الطالب والمطلوب *

* مفرد *

* اذا تضايق امر فانتظر فرجا * فاضيق الامر ادناه الى الفرج *

ذكر سبب انكدار ذلك الجبار * وانتقاله الى دار البوار * واستقراره

في الدرك الاسفل من النار *

وجعل تيمور يواصل التسيار * حتى وصل كورة تدعى اترار * ولما

كان بظاهره من البرد آمنا * اراد ان يصنع له ما يرد الابردة عنه باطنا *

فامر ان يستقطر له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحاره *

والافاويه والبهارات النافعة غير الضاره * وابى الله ان تخرج تلك

الروح النجسه * الا على صفات ما اخترعه من الظلم واسسه *

فجعل يتناول من ذلك العرق * ويتفوق افاويقه من غير فرق *

لا يسأل اخبار عسكره وانباءهم * ولا يعبأ بهم ولا يسمع دعاءهم *

حتى سقته يد المنية كاس وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم * فانه لم يزل

للقضاء معاندا * وللزمان مجاهدا * ولنعم الله تعالى جاحدا *

ولا شك انه جاء ناقصا وتحمل مظالم فراح زائدا * فاثر ذلك العرق

في امعائه وكبده * فتزلزل بنيان جسمه ورتج اركان جسده * فطلب

الاطباء * وعرض عليهم ملء الداء * فعالجوه في ذلك البرد *

بان وضعوا على بطنه وجبينه الجمد فانقطع ثلاث ليال * وعكم احمال

الانتقال * الى دار الخزي والنكال * وتفتت كبده * ولم ينفعه ماله
وولده * وصار يتقيا دما * ويأكل يده حسرة وندما

* مفرد *

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع *

وجرعه ساقي المنية امر كاس * وآمن حينئذ بما كان جاحده فلم
ينفعه ايمانه لما رأى الباس * فاستغاث فلم يوجد له مغيث * ونودي
عليه اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث * اخرجي
ذميمة * ظالمة اثيمة * وابشري بحميم وغساق * ومجاورة الفساق *
فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق * ويخمد لونه ويزبد شدقاه
كالبعير المشنوق * ولو ترى ملائكة العذاب وقد اظهروا استبشارهم *
واخذوا على الظالمين ليخربوا ديارهم ويطفئوا نارهم ويهدموا
منارهم * ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم
وادبارهم * ولو ترى نساءه وحاشيته وهم حواليه يجأرون *
واعوانه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون * ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون

عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ثم انهم احضروا من جهنم المسوح * وسلوا السفود من الصوف المبلول تلك الروح * فانتقل الى لعنة الله وعقابه * واستقر في اليم زجره وعذابه * وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان ذي الانوار * سنة سبع وثمانمائة بنواحي اترار * ورفع الله تعالى برحمته عن العباد العذاب المهين * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

قلت * شعر *

* * الدهر دولاب يدور * فيه السرور مع الشرور * *

* * بينا الفتى فوق السما * واذا به تحت الصخور * *

* * كم من شموس في سما * فلك العلاء لها بدور * *

* * لما استوت في عزها * زالت واكسفها الفتور * *

* * وملوك دنيا اضرمت * من نار رعد واها البحور * *

* * ملكوا البلاد واهلها * ماضي الاوامر والامور * *

* * اغراهم الدهر الخئون وغر بالله الغرور * *

* ضحك الزمان بثغره * لهم وقد ملكوا الثغور *

* فغدوا ذئابا في الأذى * وغدوا أسودا في الشرور *

* غنى لهم فترا قصوا * مثل الشخوص بلا شعور *

* وحكوا لدى بابيهم * طيف الخيال اذا يدور *

* وتوهموا أن الزمان مطاوع غير النفور *

* أو أن ما نالوه من * دنيا يفور ولا يغور *

* فتواثبوا وتضاربوا * وتكالبوا شبه النمور *

* وتلاكزوا وتلاحزوا * وتناجزوا الضرب الهصور *

* وتناخزوا وتلابزوا * وتناقروا نقر النسور *

* مذ أو أن يتصالحوا * يتصافحوا مينا وزور *

* فتهافتوا في نارها * متصورين النار نور *

* بيناهم في عزهم * والله ذو مكر غيور *

* انقض فيهم صرفه * كالصقر في دقل الطيور *

* أمسوا وكل منهم * كاللحم يلقى للصقور *

* لا ملك رد الردى * عنهم ولا ملك ودور *

* كلا ولا جيش ولا * ولد ولا مدد نصور *

* ثم انمحت آثارهم * محو الحيا نقش السطور *

* لم يبق منهم دهرهم * شيئاً سوى ذكر يدور *

* تأهيك منهم فتنة * كالابحر الطلما تمور *

* الأعرج الدجال من * قضم الجماجم والظهور *

* داخ البلاد ودارها * ونوائب الدنيا تدور *

* أملى له الله الحليم * فزاد عدواً في فجور *

* وأمده مستدرجاً * إياه في شيء يبور *

* ليراه في إمضائه * حكماً أيعدل أم يجور *

* فاجتاح كل الخلق من * عرب ومن عجم القطور *

* ومحا الهدى وغدا الردى * بحسامه الباغي يمور *

* أفنى الملوك وكل ذي * شرف وذي علم وقور *

* وسعى على إطفاء نور * الله والدين الطهور *

بفروع جنكزخان ذاك * الظالم النجس الكفور *

* فأباح أعراق الدما * من كل صبار شكور *

* ما بين ايران وتوران البلاد لهم عبور *
* وامتد ذاك من الخطا * آخذا الى اقصى القطور *
* لما انتهى افساده * وتكاملت تلك الشرور *
* هجم القضاء لاخذه * ولكل تكميل قصور *
* حتى فتته ايدي المو ت من * تلك القصور الى القبور *
* وتبدلت منه الكرامة بالمذلة والعثور *
* ومضى الى دار النكال بما تحمل من وقور *
* وتفرقت تلك الجموع وهد ما شاده الثبور *
* ابقت عليه دعاله * لعنا على مر العصور *
* وتخلدت آثارها * آذى على كر الدهور *
* فانظر اخي ثم افتكر * في ذا المساء وذا البكور *
* لا فرق عند الموت بين شكور فضل او كفور *
* اين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالزبور *
* اهل السعادة والحجى * وذووا السيادة والوقور *
* المطفئوا بدر السما * والمخجلو فيض البحور *

*كانوا عظاماً في الصدور وروهم * صدر وفي البدور*

*طحن الردى تلك العظام * وفتت هاتيك الصدور*

*وسقتهم ريح الفنا * سفي الرمال يد الدبور*

*اين البنون ومن غدا * للقلب افراحاً ونور*

*كانوا اذا رفع الحجاب * وزحزحت عنهم ستور*

*تلقى الدنا اذا اشرقت * كالشمس من حجب الخدور*

*من كل ظبي احور * او ظبية تزري بحور*

*نشر الجمال عليهم * ثوب الدلال على حبور*

*وفدتهم مهج الورى * من شر احداث الدهور*

*كانوا اذا سكنوا امكا * نا حركوه من السرور*

*كانوا على وجه الدنا * حدقاً وللاحداق نور*

*وحدائقاً لرياضها * وعلى حدائقها زهور*

*بينا هم في سكرهم * قد مازج الدل الغرور*

*والعمر غض والزمان * مسلم لهم الامور*

*واذا بساقي الموت فا * جأهم بكاسات الثبور*

* فتبقى رياض حياتهم * قد هامدا الكل بور *

* تركوا فسيح قصورهم * رغما الى ضيق القبور *

* وسقوا كؤس فراقهم * صبرا لكل شج غيور *

* من شق حزنا جيبه * ولفقدهم دق الصدور *

* لو كان ينفعه الثرى * او كان تجديه النذور *

* لفداهم ووقاهم * ورعاهم رعي الخدور *

* سكنوا الثرى فتغيرت * تلك المحاسن والشعور *

* وزعاهم دود البلى * وفراهم فري الجزور *

* امسوا رميما في الثرى * وثووا الى يوم النشور *

* يسعى المحب مخاطبا * اجداثهم يوما يزور *

* ينعى ويندب نائحا * قبرا تناوشه الدثور *

* ويمرغ الخدين في * ترب يراها كالذرور *

* يدعو فليس يجيبه * الا صدى صم الصخور *

* بينا تراه زائرا * واذا به امسى مزور *

* هذا بتقدير الاله * وحكم فعال صبور *

* دنياك جسر فاعتبر * واحرص على زاد العبور *

* واطمح الى اللب الهني * فجميع ما فيها قشور *

* لو لم تك الدنيا وما * فيها هباء اخيتعور *

* ما كان يزوى برها * عن كل صبار شكور *

* كلا ولا انقادت لمن * قد صار منحتا لا فخور *

* هذا وغالب من عتا * في ارضها عرج وعور *

* خلقوا الحق فانثنوا * عنه الى مين وزور *

* يا رب ثبتنا على * ما ترتضيه من امور *

* واغفر لنا ما قد علمت * من الخطا يا يا غفور *

* واختم لنا بسعادة * نكفى بها شر الغرور *

* وامنن لنا بتجارة * من باب فضلك لن تبور *

* وادم سحائب رحمة * تهمي على بدر البدور *

* خير الانام محمد * الشافع الزاكي الطهور *

* والآل والصحب الكرام * وتابعيهم يا شكور *

فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور * من حوادث وامور * وما ظهر

من سرور وشرور *

وكان لالله داد احد الخلان * يئن على سعادات نائب انك كان *
من ذوي النباهة والشهرة * وهو احد الامراء الذين توجهوا
لعمارة باش خمرة * فارسل قاصدا الى الله داد * انه ارتفعت
مادة الفساد * وان تيمور ترك تبعة الممالك * وتوجه بتبعاته الى درك
مالك * فوصل القاصد بهذا السرور * رابع عشر شهر رمضان من العام
المذكور * ففرج من الله داد همه * وازاح عنه غمه * وكانه استانف له
الحيوة * او رد راحلته التي عليها طعامه وشرابه بعد ان اضلها
في فلاة * وسياتي حكاية الله داد وامره * وما جرى له بعد ذلك
الى آخر عمره

ذكر من ساعده البخت * واستولى بعد تيمور على التخت *

فلما قضى تيمور نحبه * وازال الله عن العالم كربه * لم يكن معه
في اجناده * من اقاربه واولاده * سوى خليل سلطان بن اميران
شاه حفيده * وسوى سلطان حسين ابن اخته الذي هرب الى السلطان
في الشام عند وروده * فارادوا كتم هذه القضية * وان لا يشعر بها احد

من البرية * فشاعت وراعت * وعلى رغمهم ذاعت * فاضطربوا
واضطرموا * واصطدموا واصطلموا * فاطلع الناس كلهم على ذلك
ونموا وعلموا * انه قطع دابر القوم الذين ظلموا * فجفلت العساكر
واجفلوا * وحملوا عظامه والى سمرقند قفلوا * وساعد خليل سلطان
البخت * وخلا له الجو فاستولى على التخت * وكان ابوه اميرانشاه *
متولي ممالك اذربيجان وما والاه * وعنده ولداه عمر وابو بكر *
وبينهم وبين ما وراء النهر * من الاطواد والاشجار مائة سياج
والف سكر * وكان ابو بكر هذا في الجغتاي من الفوارس * والضاربين
بالبيض الهام والقوانس * يذكر انه كان يوقف بقرة * او ينيخ بكرة *
ويضربها بالسيف ضربة لا ضربتين * فيجعلها قطعتين مفصولتين *
واميرانشاه هذا قتله قرا يوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك
اذربيجان * وولده عمر قتله اخوه ابو بكر وابو بكر قتله ايدكو
متولي كرمان * ومصافاتهم مذكورة * وحكاياتهم مشهورة *
وشاه رخ كان في هراة وممالك خراسان * وبير عمر كان في ولايات
فارس وتلك البلدان * وتيمور كوركان * جعل ولي عهده محمد سلطان *

وعمر وان كان من احفاده * لكنه قتل مع طى اولاده * الا
لاح له من فلاحه * وظهور رشده وصلاحه * فعاندة القضاء
فيما يروم * ومات كما ذكر في آق شهر من بلاد الروم * وكان له
اخ يدعى بير محمد * فجعله تيمور ولي عهده من بعده * فلما هجم عليه
رائد الموت * واهاب روحه الخبيثة بازعج صوت * كان مستغرقا في
بحار غفلته * مسترجيا ارجاء مهلته * فلذ بغته اغتباطا * وسام
عسكره احتباطا * وكان اذ ذاك من اولاده واحفاده بعيد الدار *
مستقرا للقرار آمنا من البوار فارغا عن الدمار * وهم كتيمور غافلون
وبير محمد في قندهار * وهي بين حدي خراسان والهند وبينه وبين
ما وراء النهر سباسب وقفار * فلم يكن اقرب الى دار الملك التي انشاه *
وهي سمرقند سوى خليل سلطان بن اميرانشاه * مع ان قطان الشتاء
وندافه * كان قد بسط على فراش الارض لحافه * وندف عليه من
اقطان الثلوج ما غطى وجه العالم واطرافه * وطم ظهره واكتافه *
فلم يقدر احد من اولئك الحشرات ان يخرج راسه عن اللحاف *
او يضحك ثغر زهرة انملة في كم كميم خوفا من جاني النسيم ان يبادرها

باختطاف الاقتطاف * فضلا ان يتمطى في فراش امية الى حركة سفو
قيد يده نحو بطش او رجله نحو طواف * فاستولى خليل سلطان على
ذلك المغنم البارد من غير منازع وعديل * واستبدل الملك بل العالم
من جهنم الكوثر والسلسبيل * ونادى لسان السلطنة في رفعتها نعم
البديل * بدلت عن بغيض بحبيب وعن علة بخليل * وتمكن من
العساكر والامراء * وخلاصة الجند واساطين الزعماء * واحتوى
على تلك الامم * وطوائف الروس من العرب والعجم * وادخل عنق
الجميع في ربقة المتابعه * وفتح لهم في اسواق الصداقة حوانيت الصلات
فعاملوه بعقود المبايعه * ولم يمكن احدا منهم الخروج عن الدخول
في الطاعه * والتخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم ولا ساعه *
فاطلق لهم البشرة * واحسن معهم العشرة * وكان يوسفي الخلق *
محمدي الخلق * خليلي الرفق * اسمعيلي الصدق * جمع حروف
الملاحه * وحاز صنوف الصباحه * نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف
والنون * على احسن ما يكون من الحركات والسكون * فاول ما مشق
على لوح الجمال الف قده القويم * فباء له كل من فاء عن لام عذاره

متقوسا في خدمته كالدال والجيم * وحسن لكل راء ما فيه من زين *
وما شين سين ثغره وميم فمه من فاها بخلف ولا مين * فاستقفى بوابله
كل قاف * واستكفى بنائله كل كاف * وامطر من غين كفه العين * فصاد
من الجنن كل ذي لام وباء * ودال بذلك على كل من باء عن وعده
ورجع عن عهده وفاء * فغدت الواقيات مهجته * ورقت من حين
الحوادث بهجته * وعوذت منه الأرداف * بالطور والأحقاف *
وحمت نون حاجبه رقاة وطرفه وطرته وردفه بحم عسق * وفتحت له
الملوك بالثناء فاها * وخفضت لارتفاعه خدودها معوذة له وقالت
ياسين وطاها *

ذكر خلاص العساكر من البند * وقفولهم مع عظامه الى سمرقند *

ولما ذبح قصاب الفناء تيمور ونحره * جزره كالجزور وجعل نحوره
كالثور وبقره * ثم اراد ان يصليه من نار الجحيم حفره * فاستغاث
بخليله فاجاره واخره * وقال لا تعجل عليه وحمله في محفة بعد العجلة
وصيره * والوى راجعا الى سمرقند * وكان قبل انحل نهر خجند *
وطالب الشتاء قد ادرك ثاره * وبرد قلبه وسكنت الحرارة *

* قلت *

* ورق للعالم قلب النسيم * واقبل الدهر بوجه بسيم
ثم هجم جيش الربيع المنصور * فانهزم جند البرد فولى وهو مكسور *

ذكر ما اضمره وزراء تيمور * واخفاه كل منهم في التامور *

وكان في افلاك ذلك العسكر * سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر * وبآرائهم
يقتدى * وبرؤيتهم يستضا *

* قلت *

* من كل منتخب للامر منتجب * كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما *

قد مثل بهم الامور * وشد بهم بلايا تيمور * واستفتح بهم المغالق *
واستوسع بفضل ما بهم المضائق * وتخلص بحملاتهم من شدة كل مارق *
وتوصل بعزمهم الى نيل المآرب * وتوسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب *
وكان هو البدر وهم الهاله * وهو الفاعل وهم الآله * وهو الروح
وهم الحواس * وهم الاعضاء وهو الراس * فلما كورت شمس
كواكبهم * وانتثرت كنس كواكبهم * ورحل زحلهم * وخاب املهم *

* قلت *

وهو في تلك البلاد بمنزلة الراس والعين * فلم يسع خليل سلطان الا مسالمته * واقراره في بلاده ومهادنته * اذ اموره كانت في اوائلها * فغوض اليه امرها والقلوب في غوائلها *

ذكر وصول خليل سلطان * بما ناله من سلطان الى الاوطان *

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤها * وخرج اليه نوابها وزعماؤها * ووفد عليه نواب البلاد * متنعمين في السواد * لابسين اثواب الحداد * وجاء الاكابر والعظام * معظمين ماتم العظام * ومهنين خليل سلطان بالسلامة * ونيل سرير الزعامة *

قلت *

* ووجه كلي قد غدا * مثل الربيع القادم *
* بعين سحب قد بكى * وثغر زهر باسم *

وجعلوا يقدمون التقادم السنيه * والحمولات الوسيه * وهو يقابل كلا منهم بما يليق بحشمته * وينزله في منزلته * وقابل لمن لايق لا تثريب * وقابله مقابلة الخليل الحبيب * ومهد له بساط المباسطه * وسلم اليه مسئلة المغالطه * وحين ثبتت اوتاده اتبلعه * والقاه على غفلته

في فم اسد المنية فابتلعه * ثم اشتعل على دياره لهب التهاب * وشهابه
الالتهاب * فخرق اديمها * وهتك حريمها * ومحا حديثها وقديمها

ذكر مواراة ذلك الجسد * والقائه في قعر اللحد *

ثم انه اول ما اشتغل بمواراة جسده * وتجهيز امره والقائه في حفرة لحده *
فوضعه في تابوت من آبنوس * وحمله الرؤس على الرؤس * ومشى
في تشييع جنازته الملوك والجنود * حاسري الرؤس لابسين
الثياب السود * ومعهم طوائف الامراء والاعيان * وانزلوه
على جفيلة تخت سلطان * في مدرسة جفيلة الملك كرن *
بالقرب من مكان يسمى روح آباد وهو موضع مشهور * فكان هناك
على آثاف * في سرداب معلوم غير خاف * واقام عليه شرائط العزاء *
من اقراء الختمات والربعات والدعاء * وتفريق الصدقات * واطعام
الاطعمة والحلاوات * وسنم قبره * وانجز امره * ونشر على قبره
اقمشته * وعلق على الجدران اسلحته وامتعته * كل ذلك ما بين
مكلل ومرصع * ومزركش ومصنع * ادنى شيء من ذلك خراج
اقليم * وحبة من كل من تلك الجواهر تعوزت التقويم * وعلق نجوم

قناديل الذهب والفضة في سماء غواشيها * وبسط على مهادها فرش
الحرير والديباج الى اطرافها وحواشيها * ومن جملة هذه القناديل
قنديل من ذهب زنته اربعة آلاف مثقال * رطل واحد بالسمرقندي
وبالدمشقي عشرة ارطال * ثم رتب على حضرته القراء والخدمة *
وارصد على المدرسة البوابين والقومة * وقرر لهم الادرارات *
من المسانهات والمياومات والمشاهرات * ثم نقله بعد ذلك بمدة
الى تابوت من فولاذ * صنعه رجل من شيراز ماهر في صنعته استاذ *
وقبره في مكانه المشهور * تنقل اليه النذور * وتطلب عنده الحاجات *
وتبتهل عنده الدعوات * وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما * وربما
تنزلت عن مراكيبها اجلالا له واكراما *

* فصل في اعتلال الزمان * واخبار خليل سلطان *

ولما اخذت تيمور الصيحة بالحق نصارعنا * وقعد خليل سلطان
على التخت وقام الشتاء بعد ان كان جثا * مد الشعراء السنتهم للزمان
بالمدح ولخليل سلطان بالتهنية ولتيمور بالرثا * فسمع الشتاء وغنى
صوته واجاز * ورفع عن العالم في نهوضه الكلاكل والاعجاز * فابتهج

الكون بورود الربيع * وشكر الروض للسحاب ما أسداه إليه من حسن
الصنيع * ورفع على الروابي من الشقائق أعلامه * ونصب مما زهر خيام
الصنع من أزهار الأشجار خيامه * ونور الحدق بأنوار الحدائق *
واستنطق بتسبيح الخالق * من خطباء الأطيار على منابر الأغصان
في جوامع الرياض ما استنصت بلغاته كل ناطق * من كل معرب في
ديوان الفصاحة رائق * ومعجب بأسرار البلاغة فائق * فرقصت الأشجار *
لغناء الأطيار * وصفقت الأنهار * واعتدل الليل والنهار * واكتسى
البسيط الأغبر * خلع السندس المزهر * وتبدلت الأغصان من قطني
الثلوج * كل ثوب بأصباغ القدرة مزهر وبلمقس الأزهار منسوج *
وكل قباء صار مزهرا في كل دف اغن لكل طائر وفروج * وبسط الكون
على المكان * لا قل إم خليل سلطان شقق الورد والريحان *

* فصل *

ولما فرغ خليل سلطان من ذلك * شرع في تمهيد الممالك وتسليك
المسالك * وعلم أنه لا يتقيد به إنسان * إلا بقيد الإحسان * ولا يجتمع
له البال * إلا بتفريق المال * فعقد القلب على فك طلسمات المختوم وحل

الرموز * وصرف الموانع والتوابع عن تلك المطالب والكنوز * وقوة العزيمة على فتح الخبايا * ومنيل عصا نير القلوب بمن وحبات الهبات تحت شباك العطايا * ففرق ما كان شتت جملة في جملة شمل البرايا * وتقن الكواهل بتخفيف ما اثقل ظهر غيره بالمآثم والخطايا * واوسق احمال الآمال * وربوع الاطماع بالاموال * وامطر ايادي يمينه بالنوال * ففاض الخير من صوب الشمال * وملأ الافواد والمسامع والمقل من الناس * بما افرغ من حواصل الكنوز والصناديق على اغنام الجنس والاكياس * فنشر اغصان الروح عند ورود الربيع اصناف ازهاره * فكأنه انامل كفه المنتظمة في نثار درهمه ودينارة * رجاد السحاب بدرره وامطاره * قضاعي جود جوده الهامي على العالم واقطاره * فقيد الناس كلهم بهذا القيد * وتحوا صراف بذله معربين له بالاطاعة فترك عمرو وزيد *

ذكر من اظهر العناد والمراء * وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء *

غير ان بعض تلك القواد * وزعماء الوزراء والاجناد * اعلن

بما كان أسر * ووضع المضمر من العصيان موضع المظهر * فأول من شهر سيف
العصيان * وفوّق سهام العدوان * وشرع بمخالفة الرديني *
خدايداد الحسيني * متولي ما وراء نهر سيحان * وأطراف
تركستان * فوجد من كان عزم على نقض يده من عقد الطاعة *
إماماً يقتدى به في البغي ومفارقة الجماعة * لاسيما وقد كان صواغ
الربيع قد أذاب بحراراته سبائك الجمد والثلوج * ورصع بما أخرجه
من ذلك ديباجة الأرض وروضات الجنات وأرباض المروج *
واستمعت أموات البشرات صيحة الرعود بالحق فقالت ذلك يوم
الخروج * فاقتفى خدايداد * في العصيان والعناد * شيخ نور
الدين * وكان عند تيمور من المقدمين * وذوي الآراء والتمكين
فانخزل جهاراً * وسار ليلاً ونهاراً * فوصل إلى خدايداد * وقوي منه
الظهر والأعضاد * وشاركه في التمرد والفساد * ثم بعده فرط نظام الطاعة
شاه ملك * وأخذ في طريق المخالفة وهو منهمك * وخرج من سمرقند وهو
يصرخ * وقطع جيحون ووصل إلى شاهرخ * وكان نظير شيخ نور
الدين * وذا رأي مكين وفكر رصين * فلم يكترث خليل سلطان

بالعاصي واكرم من ثم يعص * وعمم بتاج انعامه كل راس وما خص *

ذكر اخبار الله داد صاحب اشبارة * واخلائه اياها وقصد ديارة *
وما صنع في تدبير الملك واثارة * قولا وفعلا واشارة الى ان ادرك
في ذلك دمارة وبوارة *

ثم ان الله داد جمع اخصاءه ليلة ورود الخبر اليه * وشاورهم فيما يصنع
وما ينبني امورة عليه * فاتفقت كلمتهم * واجتمعت مشورتهم *
على قصد ديارة * واخلائه اشبارة * فانهم كانوا في ذلك المكان *
كالفسيق في شهر رمضان * والزنديق بين قراء القرآن * فلما طوى
الجو ملاءته المسكية * ونشر على المكان مروطه الكافورية * والقى ثعبان
الفجر من فيه على هذا السقف المرفوع خرزته المضيه * حضر الى خدمة
الله داد * امراء الجيش على عادتهم ورؤس الاجناد * من الترك
والخراسانيين * والهنود والعراقيين * فاختلى بافاضلهم * ومن اراذل
مقاولهم * ونشر لهم من هذه القضية طيها * وطلب من آرائهم فيها رشدها
وغيها * واستكتمهم امرها * لئلا يستنشي المغول نشرها * واني
لعين الشمس في الصحو الاستتار * وكيف يخفى على ذي عينين

ولا يحلّوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده * فأمّر عليهم رأس

جنود العراق * وكان هو اكبر الرفاق بالاتفاق * وقرّر لكل مسكّنة

في أسوارها من كل سالح جزءا مقسوما * وصار زعيم اولئك السالحين

كالنبي في امّته مع انه كان يدعى معصوما

* فصـــــل *

ثم أمر الله داد بتنجيز الأمور * وخرج سابع عشر شهر رمضان

المذكور * ولم يلتفت الى برد وحرّ * وكان قد استوطن اشارة واستقر *

ونقل اليها حريمه واولاده * وبذلك امر حاشيته واجناده *

فاقتلع الكل معه كبيرا وصغيرا * ولم يدع بها مما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا *

فساروا تارة دبيبا وحينا زحفا * وطورا تسومهم الارض من

ثلجها خسفا * وآونة تسقط السماء عليهم كسفا * فادركهم العيد

المرموق * في مكان يدعى فولانجوق * من ابرد

البلاد * كأنه ينبوع ريح عاد *

قلت * شعر

اذا احتاجت جهنم زمهريرا * تنشق منه انفاس الهجير *

ذكر ورود مكتوب إلى الله داد * من خليل سلطان

وخدايداد * تخالفت معانيهما * وتعارضت فحاويهما *

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان * يذكر فيه ما حصل لجده
من حادث الزمان * وأنه استولى على سريره * وأطاعه من الملوك
كل كبير القدر وصغيره * وأن الأمور بحمد الله مستقيمة * وقواعد
الملك على عاداتها القديمة مقيمة * فلا يحدث أمرا * ولا يخرج
من تحت ربقته شبرا * وليتمسك بمكانه * وليتثبت بأشبارة مع طوائف
جنده وأعوانه * وليطيب خاطر الجزء والكل * فإنه عقيب ذلك
يرسل إليهم بدل الكل من الكل * فتحير الله داد وتفكر *
وحاسب نفسه هل يربح في سفرة ذلك أو يخسر * فكر وقدر * فقتل
كيف قدر * فبينما هو في أمره يعيد ويبدي * ويلحم في شقة أفكاره
ويسدي * وإذا بقاصد خدايداد ورد عليه * يستحثه على الخروج
من أشبارة والوصول سريعا إليه * فوجد لخروجه من أشبارة عند خليل
سلطان مندوحه * وعاش فنام وهو مغمض العينين بعد أن مات
وعيناه مفتوحه * فطوى بساط تردده * وتوجه ببسط آماله نحو مقصده *

ولكن كان بينه وبين المراد خرط القتاد * والموانع التي ذكرها صاحب
الوصول الى سعاد * مع زيادة نهر سيحون وخداياداد * فواصل التأويب
والاساد * حتى وصل الى خداياداد فابتهج برؤيته * واستنجح
مقصوده بطلعته * ثم قطعا نهر خجند * وقصدا ضواحي سمرقند *
ووصلا على حين غفلة وفترة الى مكان يسمى تيزك * وقد شهرا العدوان
الجسام وشرعا للفتك الى تيزك * فاحتاطا على جشار تيمور فنهباه *
وتغلبا على ما وصلا اليه من نقد وجنس فسلباه * واكثرا هنالك شرا
وفسادا * واشبها في ذلك تسعة رهط ثمود او عادا * وكانت هذه اول
شرارة شر وبدعة سقطت من سقط الزند * وبسطت يدها بالفتن
بعد قبض تيمور في ممالك سمرقند * لان اهلها كانوا قد امنوا الشرور *
ووقوع الفتن في حيوة تيمور * فحين دهمهم اولئك المغترون *
اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * وذلك في شوال سنة سبع *
وهو العام الذي خلا فيه من تيمور الربع * ما امكن السلطان خليل * تدارك
هذا الخطب الجليل *

ذكر من خلفه الله داد باشبارة من الطوائف * وما وقع بعده بينهم

من التناكر والتخالف *

وأما أمر من خلفه الله داد * في اشبارة من طوائف الأجناد *
فانهم خافوا من المغول حلول حينهم * فتحزبوا واختلف الأحزاب
من بينهم * فمنهم فرقة قال قائلهم أنا على عهد يقوي فلا اخون
وأمين * وقد استمسكت يدي بعروة عهد مكين * وارتبطت
بحبل حلف فلا اصير من أهل الشمال باليمين * وأدنى ذلك أن نصبر
حتى يصل من الله داد رسول او كتاب * وننظر ما يبين فيه من سلوك
سنة فنميز بصائب نظرنا الخطا في ذلك من الصواب * فان وافق ذلك
مرادنا امتثلنا ما يقول * واتبعنا في ذلك الكتاب والرسول * وتوجهنا
في تلك الساعة * سالكين السنة مع الجماعة * وان جالحنا في كلامه
بخطاب أجلح * عدلنا الى الاعتزال ومال كل منا في مصلحة نفسه
الى القول بوجوب رعاية الأصلح * ومنهم شيعة مالت الى رفض تلك
الدارة * والمبادرة الى الخروج من اشبارة * وانتقلوا من تكرار هذه
المجادلة الى القتال * وقطع رأس أحد رؤس الخراسانيين في مصاف
النزال * ومنهم طائفة اهمتهم انفسهم فلم يلبثوا الا عشية او ضحاها *

ثم تحملوا وخرجوا من المدينة وتركوا البلاد تنعى من بناها * فلم يسع الباقين الا اتباعهم في الخروج * لان مقامتهم من اول الزمان هناك كانت كبنيان القصور على الثلوج * فتحملوا ببعضهم وقضيضهم * وتجهزوا بصحيحهم ومريضهم * وتركوا البلد بما فيه من غلات * ومستغلات ونعم وخيرات * واموال واقمشة * ونفائس مدهشة * ولم يبق فيه من تلك الامم المشحونه * سوى ما عجزوا عن حمله من اموال مشحونه * وسوى امرأة واحدة مجنونه * ولحقوا بالله داد * وموعنب خداي داد * فلم يعنف واحدا منهم بما فعل * واعتذر اليهم بان خدايداد منعه ان يتوجه الى سمرقند ويجهز لهم البدل * وامرهم بالاقامة معه مستوفزين * وان يكونوا لفرصة التوجه الى سمرقند اذ الاحت منتهزين

ذكر ما تم لالله داد مع خدايداد وكيف ختله وخلبه * وابتز عقله وسلبه *

ثم ان خدايداد تحقق بوقوع هذا الفساد * تأكد العداوة بين خليل سلطان والله داد * فركن اليه بعض الركون * وجعل يستشيره

فيما يصير من امره وما يكون * وكان عند خدايداد * طائفة
من مماليك الاجناد * تخلفوا من العساكر في تلك البلاد * وقد ضيق
عليهم المسالك * واراد ان ينقلهم من مالك الى مالك * فلم ينعم له الله
داد بذلك * وقال ان عادة الاكياس * استجلاب خواطر الناس *
خصوصا في مبادي الامور * وحدوثا وائل الشرور * فلا تنفر عنك
الخلق * وعاملهم اولا بالاحسان والملق * واي فائدة في قتل هؤلاء
وتمزيق اديمهم * سوى نفي الصداقة وتأكيد العداوة بيننا وبين
مخاديمهم * وربما يكون في خاطر احد من مخاديمهم نفرة من خليل
سلطان * ويروم لذلك ظهرا وملجأ يلوذ به من رفيق ومكان *
فتلجئه الضرورة الى ان يقصد ممالك تركستان * فاذا آذيته
في متعلقيه انى يبقى له اليك ركون واطمئنان * واقل ما تفعل مع
هؤلاء يا انسان * امساك بمعروف او تسريح باحسان * ومخاديم
هؤلاء لنا رفقاء * ولخليل سلطان اصدقاء * فان زرعت معهم
الجميل * ملكت كل رقيق وجليل * والقيت العداوة بين من عاداك
من صديق وخليل * فلما سمع كلامه * القى الى يده من ذلك

الأُمرِ زِمامَهم * فاشارَ عليه بسَراحِهم * واحسانِ اليهم في غدِهم ورواحِهم * فزادَ في نجاحِهم * وراشَ مخصوصَ جناحِهم * وصرفهم بالعزّ في طريقِ مراحِهم * فدارت بالسعدِ افلاكُهم * واجتمعت بهم املاكهم وملاكهم *

ذكر ورود كتاب من خليل * فيه لفظ رقيق لحل امر جليل *

ثم ان وافدَ خليل سلطان وفدَ على الله داد * يطلب منه السعيَ في لمِّ الشعثِ فيما وقع بينه وبين خدايداد * وان يستعطف خاطره الى الرضى * ويستقبل المودّة في الحال ويعفو عمّا مضى * ومهما طلبه يتكفّل به * ويعدّ قربه من افضلِ قربه * ويكون هو السفير بينهما * ويقرّب الصلح عينهما * فتوجه الله داد الى خدايداد وابلغه هذه الرسالة * وبيّن له ما في هذا القولِ من رقيقةٍ وجزاله * وسببُ العداوةِ التي كانت بين خليل سلطان وخدايداد على ما ذُكر ان خليل سلطان كان في اوائلِ الزمانِ مجاورا لخدايداد في تلك البلاد * وكان جده جعله ناظرا عليه * وفوّض امورَ تربيته اليه * وكان كزًّا جافيا * وجِلفًا جاسيا * فكان يعامله بالفظاظه * ويقابله بالكثافة

والغلاظه * وكان خليل سلطان لطيف الذات * ظريف الصفات * نسيم اخلاقه لا تحمل من خدايداد زعازعه * وبرد مزاجه اللطيف لرقة حاشيته لا يثبت لمجاذبة المشاقة والمنازعه * فتولد من تلك القساوره * بينهما العداوه * وسعت بينهما الوشاه * الى ان دس له مهلكا فسقاه * فكانه احسه * فتدارك نفسه * وتعاطى علاجه * وما يصلح مزاجه * فقضى الزمان ان نصل من تلك الداهيه * وليتها كانت القاضيه * وبقي فيه من ذلك ارج * واورثه العرج * فصارت العداوة الخاصة عامه * وغدت هذه الفعلة لهذا المعلول علة تامه *

* فصـــــل *

ثم ان الله داد حلف لخدايداد * الايمان الغلاظ الشداد * واكد هذه الايمان * بان استصحب معه القرآن * واشار اليه * ووضع يده عليه * وزاد تاكيدا بايمان الطلاق * وبالالتزامات والنذر والعتاق * انه لا يقبض عن طاعته يدا * ولا يستحيل عليه ابدا * وانه ان توجه الى سمرقند يجهد في رأب ما انصدع

وَرُدّ ما انصدع ورتق ما بين الجانبين انفتق * ورقع ما في خواطرهما
من الشحناء والعداوة انخرق * وان يجهز له توما ن احدى نساء
تيمور * وحاصل الامر انه تكفل بحسم مواد الشرور واصلاح الامور *
وان عجز عن رفع الشنان * ومحو سطور العدوان * فانه لا يستحيل
عن مصادقة خدايداد في السر والاعلان * وصار يتملق ويترقق *
ويتوصل بتمويهات زخارفه الى مجاري فكره ويتسلق * ويشد ايمانا
ترجف القلوب وتصدع * بالله الواحد ويثني بالطلاق الثلث من
زوجاته الاربع * وكان مخيمهم على ساحل سيحون ممتدا * وهو عن شاه
رخية نحو من بريد ين بعدا * فعبر سهم ختله الى سويداء قلبه بمكر
ودخل * وغربله اذ طحن معه ناعما ما زرعه بيمينه في ساحله
ونخل * الى ان سمح باطلاقه * بعد تأكيد عهده وميثاقه * فرجع الله
داد الى وثاقه * واجتمع بحاشيته ورفاقه * وكانوا في شاه رخية *
واخبرهم بهذه القضية * وكان قد هيأ قبل ذلك امره * واخذ من
كل جهة اسلحته وحذره * ثم انه شمر الذيل * وقطع سيحون
بالمراكب تحت جنح الليل *

ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان * وحلوله مكرما معززا

في الاوطان *

وحين حصل على هذا الجانب * ولم يبق له في ذلك الجانب حاضر
ولا غائب * امر في الحال * بحكم الاحمال وشد الاثقال * واخذ
الاهبه * قبل النهبه * فافرغ عليهم سوابغ السلاح * واذن بصلوة
الرحيل قبل الفلاح * وقدم ضعفة اهله والاثقال امامه * ونقض بندا
الاذان شروط الاقامه * وطير الى خليل سلطان مخبرا بهذه الاخبار *
وما جرى بينه وبين خداي داد وكان رصار * ويستمد باستقبال المدد *
وارسال العدد * لاحتمال ان خداي داد الابله * يتفطن لغائلة هذه
الفعله * فيخطر بباله ردهم * ويرسل وراءهم من يصدهم * ثم ساروا
كالسهم الصائب * وطاروا كالنجم الثاقب * فما اصبح لهم الصباح *
الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح * وجازوا كل قاتم الاعماق خاوي
المخترق * وقطعوا على انوال المسير مما امدته مطاياهم من مزهر
الرياض الوان الشقق * فوصلوا بالسير سراهم * فساروا نهارهم
اجمع حتى غشيهم مساهم * وحين اخذ منهم اللغوب * وكل الراكب

والمركوب * وسدلت عليهم عنقاء الظلام الجناح * عدل بهم
الى بعض البطاح وحط عنه واستراح * ورسم ان توقد نار * ولا يطمع احد
في طعم النوم بغرار * ولا يشام في جفن طرف سيف ولا سيف طرف *
ثم التهموا ما يسد الرمق فصلوا صلوة الخوف فعبدوا الله على حرف *
وامهلوا ريثما قطعت الدواب العليق * ثم امر فحملوا وركبوا متن الطريق *

ذكر تنبه خدايداد بان الله داد * خلب عقله بالنكال والنكاد

ثم ان خدايداد تنبه من رقدته * وارعوى من ليلته * وعلم ان
الله داد خلبه بهارة ذلك وسحره * وكسف شمس عقله ولعب به
في دست حلقه وقمره * فعض كما يعض الظالم على يديه * وعبى في الحال
عسكرا جرارا وانفذه اليه * فاسرعوا وراءه * والتمسوا القاءه * فلم
يروا له عينا ولا اثرا * ولا رووا عنه من اخبار حديثا ولا خبرا * فلم يزالوا
في طلبه حائرين دائرين * ثم غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين *
ووصل الله داد الى مقصده * فوجد وظيفة الوزارة شاغرة فاستولى
عليها بمفرده * اذ قبل دخوله كان شيخ نور الدين قد خرج *
وشاه ملك وكل من رام العصيان كان قد دب ودرج * فابتهج بقدومه

خليل سلطان * وقدمه كما كان على سائر الوزراء والاركان *
فتمكن الله داد كيف شاء * وتصرف في معاني الملك ببديع بيانه
إخبارا وإنشاء * وتعاطى في الحال تمهيد الامور * وتجهيز السرايا
وحفظ الثغور * فتراجع امر الناس وانضبط * وانتظم عقد الملك
بعد ما انفرط * واستقر حال الناس * وتمكنت القواعد على الاساس *
وكان هو وبرندق وارغون شاه وآخرون من كبجول يدبرون مصالح
المملكة * ويسلكون بكل احد مسلكه * ولكن الله داد هو الدستور
الاعظم * والمشار اليه المفخم * وعليه مدار القبض والبسط * ونظام
عقود الحل والربط * واستمر شيخ نور الدين وخدايداد * يغيران
على البلاد ويزيدان في الشرور والفساد * واستوليا على اطراف
تركستان * وممالك تلك البلدان * منها سيرام وتاشكند * واندكان
وخجند * وشاهرخية واترار وسغناق * وغير ذلك مما في تلك الاكناف
والافاق * فكانوا يقطعون سيحون * ويتوجهون الى ممالك ما وراء
النهر ويغيرون * فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان * وتارة يجهز لهم
طوائف من الجند والاعوان * وعلى كل تقدير فانهما كانا

لا يثبتان وينهزمان * وسيأتي ذكر ذلك كما كان *

* ذكر ما وقع في توران * بعد موته من حوادث الزمان *

وأما المغول * فانه لما اتصل بهم خبر ذلك المخذول * وكان بلغهم انه قد صوب احجار كيده الى مشير تلك الثغور * وفوق نبال قصده الى خرق تلك البطون والنحور * ولم يشكوا في ان ذلك شرك مكيده * واحبولة مصيده * فلم يقر لهم قرار * وتنادوا الفرار الفرار * وتشتتوا في البلاد * وتشبثوا باذيال القلاع ورؤس الاطواد * ولجأوا الى الحصون والجروف * وتماوتوا في قعر المغارات والكهوف * وكذلك كل ذي يمين من اهل الدشت والشمال * وتوزعوا في الاحقاف والرمال * وصار اهل المشرق والخطا التي حد وذا الصين زمن في ذلك الوجه يسرحون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون * والحق انه كان في هيبته وعتوه قد عرج * الى ان املك العالم شرقا وغربا بالازج * وصار

* كما قيل *

* تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا *

* تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم امتلالا *

* تكاد سوابق حملته تغني * عن الاقدار صونا وابتذالا *

فلما ترادف هذا الخبر * وتكرر شمرقند هذا الذكر * واشتهر اسناده حتى
ترقى من الآحاد الى التواتر * وتقرر هذا الحق عند كل احد فلم يسع فيه
جحود ولا تناكر * تراجع فؤاد كل الى جوفه * وتبدل امنا من بعد
خوفه * وتنادوا يا للثارات * وشرعوا في شن الغارات * وقصد كل
مستحق استرجاع حقه * وكل مسترق لمسترق استفكاك رقه * فاول
من نهض من الشرق المغول * وقصدوا اشبارة وآسي كول * وامتدوا
في تلك البلاد حتى جاوروا اخذ ايل اد * فهادنهم وصافاهم *
وشرط لهم ردما اخذه تيمور من مأواهم * وان يكونوا يدا واحدة على من
ناواهم * واحسن كل منهم مع الآخر الجوار * واطمأنت
بواسطة هذا الصلح تلك الديار *

* ذكر نهوض ايدكو بالتتار * وقصده ماوراء النهر وتلك الديار *

ثم نهض من جهة الشمال * ايدكو بعسكر كالرمال * وتوجه بحزم
وجزم * الى ممالك خوارزم * وكان نائبها يدعى موسكا فلما احس

بالتتار * وخاف على نفسه البوار * اخذ اهله ومتعلقيه وسار * وذلك بعد ان هجمت التتار الرومية المضافة الى ارغون شاه * وعبروا جيحون ومعهم ورجع ارغون شاه الى ما وراءه * فوصل ايدكو الى خوارزم واستولى عليها * واستطرد بخيله الى بخارى فنهب ما حواليها * ثم رجع الى خوارزم وقد ذكى * في الجغتاى اللهيب انكى * وولى من جهته في خوارزم وولايتها شخصا يدعى انكا * فتمهدت ايضا تلك الاماكن * واطمأنت الظواعن والسواكن * بواسطة ان خليل سلطان قابل كل من اساء اليه بالاحسان * وصار يسترضى كل ساخط * ويستدني بمكارمه كل شاحط * ويصطاد النفوس بالنفائس * ويفترس الاسود بالغرائس * فاحبه الاجانب والاباعد * ورغب فيه كل صادر ووارد * غير ان شيخ نور الدين وخدايداد * تماديا فى الفساد وليا فى العناد * فخرب ما يجوذب بين الطرفين من البلاد *

* ذكر بير محمد حفيد تيمور ووصيه * وماجرى بينه وبين خليله ووليه *

ثم ان بير محمد ابن عم خليل سلطان * وهو الذى عهد اليه تيمور كوركان بعد فوت اخيه محمد سلطان * خرج من قندهار * وقصد سمرقند

* شعر *

* صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم * وشمروا انها ايام من غلبا *
وان زعمت ان جدك عهد اليك * او عول في وصيته لك عليك *
فهو من اين استولى الا بطريق التغالب * واني حصل له ملك وملك
الا بالاغتصاب والتألب * وعلى تقدير التسليم * وان امر وصيته
مستقيم * فانه كان في حيوته قسم بلاده * ووزع عليها اولاده
واحفاده * فولى والدى ممالك آذربيجان * وقرر عمي في ولايات
خراسان * وابن عمي بيرعمر في عراق العجم وتلك الديار * وولاك انت
من جملة ذلك قندهار * وجعلك وصيه كما رسم واشار * وتحمل هو
المظالم وانتقل * فاين نصيبي انا من هذا الثقل * فاجعلوا حصتي
من ذلك ما استوليت عليه * وليقنع كل منكم بما تقرر فيه وفوض اليه *
ومع هذا ان تابعك ابي وعمي تابعتك * او صادقاك على الوصية
وبايعاك بايعتك * وان سلكنا في ذلك طريق الحق * فالملك ضيل
والاولى به من حاز فيه قصب السبق * وان الله ازاح علله اذ
شيبني باسبابه * واباحه لي مباحا ومن سبقت يده الى مباح فهو اولى به *

ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمناصرته * وخروجه

عن خليل سلطان وقبضه على امرائه ومخالفته *

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بهذه الاقوال * واردفها بحقائق الافعال * وامر بتجهيز جند مجند * الى استقبال بيرمحمد * واضافهم الى ابن عمة والده السلطان حسين * وعين فيهم من امراء الجغتاي كل رأس وعين * وضم اليه الظهور والاعضاد * ومنهم كجول وارغون شاه والله داد * فساروا سابغي العدد * كاملي العدد * وذلك في سنة سبع منتصف ذي القعدة * فعبروا جيحون الى بلخ وخيموا في ضواحيها وانتشروا في اقطارها ونواحيها * وبينما هم مرفهوا الحال * فارغوا البال * قريروا العين * تمارض السلطان حسين * ثم انه دعا الامراء ليقرر معهم فيما هو بصدده الآراء * وقد كمن لهم كمينا * وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا * وحين ولجوا خيسه ودخلوا كيسه * وثب عليهم وثوب الليث على الفريسه * واغرى بهم اسوده فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الهريسه * ثم نادى من معه من الرفاق * ضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق *

وكان كما ذكرنا ذا طيش وشجاعة * وتهور ورقاعة * وصولة وجولة *
يسبق فعله قوله * فاهريق في تلك الساعة * دم واحد من تلك
الجماعة * يدعى خواجا يوسف وكان في حيرة تيمور * نائب الغيبة
بسمرقند وهو امير مشهور * ففي الحال قتل * والى الدار الآخرة
نقل * ثم استقل لنفسه بدعوى السلطنة * ودعا الخلائق من ههنا
ومن هنا فدهشت اولئك الروس * وعلموا انه قد حل بهم النقم والبوس *

ذكر خداع الله داد سلطان حسين * وتلافيه تلافه بالمكر والمين *

غير ان الله داد ثبت جاشه المزؤد * واستحضر تلك الساعة عقله
المفقود * فابتدر سلطان حسين مناديا * واستثناه في امرهم
مناجيا * وقال له بعبارة فصيحة ان لي اليك نصيحة * ثم استخلاه وقال *
انا كنت مترقبا منك هذه الفعال * ومترصدا منك اظهار ما انت بصدده *
ومن اين لخليل سلطان ان يحتوي على الملك بمفرده * غير ان هيبة
مولانا السلطان باسطه * ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مباسطة *
ولو كان عندي من ذلك ادنى شعور * لرتبت المصالح على ما تقتضيه
الاوامر الكريمة والامور * ثم ان الخاطر الكريم * يشهد بصدق

هذا الحديث وانا عبدك من قديم * وسل من كان من المماليك

والاجناد * الذين كانوا مقصودين في امر جلد ايكاد * من خلصهم

من حبائل اسره * وانقذهم من صرام ضره * واطفأ عنهم ما التهب

من شرار شره * اذ لولا انا لكان اباد هم وابتهم اولادهم * وقطع بهم طريقهم

وتلادهم * فانك ان تسليم يخبرونك * وعلى حقيقة الامر وجلية

الحال يظهرونك * وربما اخبروك بذلك لما اتوك * ومع هذا استثبت

قلبك وان افتوك وافتوك * ولازال يطفئ بماء خزعبلاته شواظ تفرعنه

ولهيبه * ويذكي في خياشيم رعونته عنبرا حتى اله متمسكا بمسكه

وطيبه * ويرمي عن قوس ختله الى سويداء اختباله نبال مكر نفذت

فيه نصال القضاء والقدر ولانها كانت مصيبة * فاشرب مكره * وتبع امره *

وجعله ظهره * واستقدح في اموره فكره * ثم انه بعد ان امتن عليه

باستبقائه * استشاره في قتل رفقائه * فقال له لا شك ان خليل سلطان *

ملك الناس بالانعام والاحسان * وهو وان كان في الشجاعة *

قاصر اليد قليل البضاعة * لكن استعبد ابطال الرجال * بحسن

الخلق وبذل الاموال * غير ان المال * بمعرض الفناء والزوال

وهل ثم في هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا انت * وما النجدة والكرم والحسب الا راحل حيثما رحلت وساكن اينما سكنت * ولو حدث شاه ملك وشيخ نور الدين * ان وراءهما منك الحصن الحصين * لا سندا اليك رواية السند السديد * ولاويا من جنابك العالي الى ركن شديد * وحاصل الامر انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد * واذا كان الامر كذلك فقتل ملكتهم * فسواء عندك ابقيت عليهم ام ابدتهم * ولكن الابقاء اولى * ولا زالت العبيد تترقب مراحم المولى * فان اقتضى الرأي السعيد ان نكون كلنا موثقين في الحديد * مع زيادة قيد ايمان اكيد * فرأيه اعلى * واتباع ما يقتضيه احرى واولى * فاقتفى رأيه * واتخذه علما لامور رأيه * فاستتبعه لحينه وقال اسلك ورايه *

* ذكر اخذ سلطان حسين على الامراء الميثاق * ومشيه

على خليل سلطان وهم معه في الايثاق *

ثم انه احضر الامراء * وهم في قبضة سطوته اسراء * وقد نادى كل من متعلقيهم مهب ناحيه * وتوجه الى دار كل المخبرون فقامت عليهم

انابة الناعيه * واوثقهم بتقبيل اليد والايمان * بان يكونوا معه
في السراء والضراء على خليل سلطان * فمد كل منهم الى الغيد رجله
والى اليمين يده * وعاهده على ما يختار ان يقدم له نفسه واهله وماله
وولده * فحين استوثق منهم * ازاح بالاماني السوء عنهم * وتركهم
موثقين في البند * ونكص قاصدا سمرقند * وارسل الى خليل سلطان
يخبره بما دب من امره ودرج * فليستعد ابارزته فيما هو قد عبر
جيحون وخرج * وانه هو ايضا طالب من ملك خاله حصته *
ومنازع خليل سلطان في السرير منصته *

*** ذكر بروز خليل سلطان من سمرقند * لملاقاة سلطان حسين * بطوائف**
جند * ورجوع سلطان حسين مما يرومه بخفي حنين *

فاستعد له خليل سلطان * وخرج من سمرقند لاستقباله في اسرع
زمان * ثم ان السلطان حسين احضر الله داد * ومن معه من الشياطين
المقرنين في الاصفاد * واستأنف عليهم العهود * واكد عليهم قيود
العقود * واحل كلا منهم محله * واجار عقده وحله * وخلع عليه واجازه *
واحترم حرم حقيقته ومجازه * وبش بانعامه الى متعلقيهم وهش *

وما رايهم حتى وصل الى مدينة الكش * والله داد كان قبل ذلك بزمان *
ارسل الى خليل سلطان * تخبره بوقوع ملم الهم * وما جرى عليهم
من شرور وماتم * ثم قال له ان فالك سعيد * وامرك حميد * فانهض
براي رشيد * وعزم سديد * وجناحي حديد * وان ضدك مصيد * والله تعالى
ناصرك قريبا غير بعيد * فلا تخف من كيد مكيد * وان كنت طفلا فانك متى شبت
اهواء القلوب نسمات محبته فصرت شيخ السلطنة وكل الانام ملك مريد *
فوصل خليل سلطان * الى ذلك المكان * فعبى السلطان حسين جيشه *
واستعمل تهوره وطيشه * وجعل الله داد على الميمنة * ورفيقيه
على الميسرة * ولما تراءى الجمعان * وتدانى الزحفان * وحقت الحقائق *
وسدت المضائق * وتعادت الاسود والغرانق * وبادر كل منهم
من مكانه * وقصد كل من الله داد واقرانه عساكر خليل سلطانه *
فتخبطت عساكر السلطان حسين * وسلب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا
من ظنونه ثوبي خيبة وحين * ودهمه من البلاء ما انساه سابقه فرجع
بخفي حنين * ومر على وجهه قاطع الفلاة * حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ
صاحب هراة * فلم تطل له عنده مدة * فاما ساقاه مهلكا واما مات

حتف انفه عنده * فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين *

ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

بقية ما جرى لبيرمحمد مما قصده من فرح وهم * وكيف

آل ذلك الى وبال وحزن فنقض ما تم *

ثم ان بيرمحمد تمادى في خروجه * واستمر يرتع في روض الطيش
ومروجه * وتكررت بينهما رسل المراسله * وتحررت مسائلهما بعد
مطاولة المقاوله * ان ينزلوا منازل المنازله * ويحلوا بروج المقابلة
والمقاتله * وكان متوليا مورد ديوانه * ومشيد قواعد ملكه وسلطانه *
شخصا يدعى بيرعلي تاز * حامي حقيقة باب الملك وحارس المجاز *
سرة بطحاء مملكته * وقطب سماء دائرته * وقدوة علماء عواليه *
وقوة خوافي عسكره وقوادمه * فتجرد من عساكر قندهار * كل طود
لو مال على قندهار هار * وتوجه بعزم امضى من البتار * وحزم انفذ
من الخطار * قاصدا ذلك الخصم الهدار * والسيل الثرثار * والغمام
المدرار * حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار * ثم امر ذلك البحر
العجاج * ان يركب من جيحون الاثباج * ويصادم منه تلاطم

الامواج * نمرج الله البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج * فمخروا منه بسفنهم النحر * وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل البحر * وسار بذلك لا ذخشب * حتى ارسى على ضواحي نخشب *

ذكر مقابلة العساكر الخليلية * جنود قندهار بصلق نية * والقائهم بهزيمتهم اياهم في اشر بلية *

وكان قبل ذلك خليل سلطان * قد نجز امره كما كان * ونفث اعطار مندل الايثار * وقوى العزائم على الملوك بالاستنصار * ليجنوا من اشجار الجرايات وثمار الادرار * ما يستعدون به لملاقاة شياطين قندهار * فلبى دعوته العام والخاص * وكل بناء من عفاريت الجنود وغواص * واجتمع من اعيان * اولئك الاعوان * كل مطيع مختطف ثمر احسان * ذلك البستان * من انس وجان * وجاء ذلك البحر افواج امواج العساكر من كل مكان * وهم مابين رؤس الجغتاي والجتا * وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا * وفوارس فارس والعراق ورستمدار * وجان قربانية خراسان والهنود والتتار * ومن كان تيمور * اعدة لمضائق الامور * ولم يفارقه في سفر ولا حضر *

وارصد لكل نائبة من خير وشر *

* شعر *

فوارس لا يملون المنايا * اذا دارت رحى الحرب الزبون *

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح * واستنجب منهم لما دعاه كل صلب تقي
نصوح * واسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات * وضاعف على
قامة املهم من خلع انعامه المضاعفات * ففتحت عليهم الارض خزائنها *
وصبت عليهم من معادنها وفلزاتها ظاهرها وكامنها * فصار
كل راجل منهم وفارس * وقد تجلى فيما تحلى به من تلك النفائس *
يزري بحسن هيبته على مخدرات العرائس * فساروا ونسمات النصر
من انفسهم فائحة * ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم لائحة *
والسبع المثاني لابواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحة * ولا زال
ذلك الراس يرسي ويمشي * حتى حط على ضواحي قرشي * وهي المدينة
المذكورة * فاستقرت تلك العساكر المنصورة * وذلك يوم الاحد
مستهل شهر رمضان * سنة ثمانمائة وثمان * فبات كل من ذينك
البحرين وقد ضم ذيله * وكف عن البث والتبدد سيله * وحفظ

من الاغيار رجله وخيله * واحيى في معتكف المراقبة الى الصباح ليله *

* قلت *

الى ان بدا لمع الضيا في ظلامه * يلوح كموج الماء من سجف طحلبه *

ولما سل الفجر صارمه الفضي وابرز ابريز ترسه * ومسح على لوح الجو ما طرسه مسود الليل من دخان نفسه * تهيأ كل من اولئك الاطواد للاصطدام * واشتعلت في قلوب تلك القبائل نار الحمية للاصطلاء والاصطلام * فعبى كل عسكره ما بين ميمنة وميسرة * ومقدمة ومؤخرة * ثم تدانوا وتكانوا * وتعارنوا وتعانوا * وتواجزوا وتغانوا * وتعاتقوا وتهانوا * وتناجزوا وتغانوا * والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل * وارتفع ظلام القتام الى رؤس الاسنة فراً وافى صلوة الظهر نجوم الليل * وجرى في ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل * ثم عند منتصف النهار * انكشف الغبار عن ان طود قنن هار هار * وسعد اولئك الكبار بار * وعليهم غبار العثار ثار * وخبرهم بالانكسار سار * ومضيت خليل سلطان الى الاقطار طار * والى الآفاق بالانتصار صار * فولى بيرمحمد وعلى راسه بحر الدمار مار * وفي قلبه زناد البوار وار * حتى

كأن في قلبه جمر الغضا والغار غار * او في كبده نار لهب المرخ والعفار *
وجندلت رجاله * وابطلت ابطاله * ونهبت اثقاله * وتحولت
احواله * وسبي حريمه وعبيده * وسلب طريفه وتليده * وتشبث
هو باذيال الهزيمة * وعلم ان ايابه سالما نصف الغنيمة *

* كما قيل *

* ايابك سالما نصف الغنيمة * وكل الغنم في النفس السليمة *

ورجع خليل سلطان * وقد استتا به الكون والمكان * واسفرت
دولته * واستطارت صولته * وشكر الله المليك * واتم صيام رمضان
في مكان يسمى جكل ليك *

ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان * ومجاهدتهم بالخروج
وقصدهم الاوطان *

ثم في ليلة الاثنين غرة شوال * خرج من العراقين الرؤس والابطال *
ومعهم حريمهم واتباعهم * واولادهم واشياعهم * وكبيرهم شخص يدعى
خاجي باشا * وهم جارون تحت امره كيفما شا * وكانوا ذوي صولة
وجولة * وصحبتهم السلطان علاء الدولة ابن السلطان احمد البغدادي

لصلبه * وكان قد وقع في اسر تيمور فسجنه في سجن محنته وكربه *
فافرج عنه خليل سلطان * وجعله عنده ذا امكانة ومكان * فبينما
الناس مشغولون بامور العيد * رفع ايديهم اولئك الصناديد *
وكانه كان تقدم لهم بذلك مواعيد * فخرجوا تحت جنح الليل *
وشمروا نحو عرائس العراق الذيل * وطلقوا مخدرات ما وراء النهر *
ومالوا عنها كل الميل * لانهم كانوا استمعوا ان دار العراق انزلت بانيها *
ومياه انهر سلطنتها عادت الى مجاريها * فلم يقف احد امامهم
ولا مشى خلفهم * ولا قدر على ان يربط عن السير رجلهم وكفهم *
فقطعوا جيحون ووصلوا الى خراسان * فتصدى لهم كل من سمع بهم
من كل مكان * فانفرط نظامهم لعدم اتفاقهم * فتقطعوا في البلاد قبل
وصولهم الى عراقهم * واين ايران من توران * ودجلة من جيحان *
وقعد خليل سلطان في ذلك المكان * ثم الوى راجعا الى الاوطان *

ذكر ما فعله بيرمحمد بعد انكساره * وما صنعه بعد وصوله الى قندهاره *

ولما وصل بيرمحمد الى قندهار * واستقرت به الدار * تلملمت اجوره
وحامت حول قصوره صقوره * ودارت من سيارات عسكره بدوره

يلي ورة * وتسعرت حمومه وحرزره * وتطاير شراره وشرورة * فتأرق

وتمرق * وتحرق اسفا قلبه وتخرق * وتمزق غيظا اديمه وتفرق *

وكان ذا حماقة * وقلة لباقة * فطير اجنحة مراسيمه * الى سكان

اقاليمه * واستنهض على خليل سلطان كل حبيب صحيح الود وكليمه *

واستطب لجريح قلبه كل قريح الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه *

فلبوا دعوته بالاطاعة * واجابوا نداءه بالسمع والطاعة * ثم سالت

الاودية والجبال * بالخيل والرجال * وارسل الى خليل يقول *

بضمن كتاب مع رسول * ان اول مصافنا كان فلتة فتمت * وشرارة

تسوهل في اطفائها فالتهبت وطمت * ولو اني استقبلت من امري

ما استدبرت * وتحرزت ما استحقرت * واستكبرت ما استصغرت *

لا انتصرت وما انكسرت * ولعثرت على مرادي وما عثرت * ولكن اضعت

الحزامة * فحرمت السلامة * وتناولت امرك بروس الانامل فاكلت

يدي ندامة * مع ان صلابة جندك * وقوة ظهرك وعضدك *

ونبال نبالتك وساعد سعدك * وعضب عضبك ورمح رشدك *

وحد صارمك وصرامة حدك * انما كان روس العراق * وما حصل

لك منهم من الاتفاق * واما الآن فقد وقع منهم نفاق * واتفق لك منهم عدم اتفاق * وظهر تباعد وشقاق * فثبت لذلك كيدك * واختل فكرك وجندك * وها انا قد جئتك بجد جديد * وبالحد والحديد * فاستعد للقاء * وتيقن عدم البقاء * فان الحرب كما علمت سجال * وكما اديل لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال *

ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثاني كرة * وما حصل عليه في ذلك من كرة وفرة * وتوليته الدبر كما بدا اول مرة *

ثم توجه بتلك الجنود والاعوان * وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان * فتوجه اليه خليل سلطان * ومعه من عساكر الرجال والفرسان * وجرادا لجيش وقمله وضفادعه ما يجري من الدم الطوفان * فمر بتلك الاطوار الجبار * وجرى وهو ما بين راس ومار * حتى وافى جنود قندهار * وكان كما ذكر من قبل * قد قدح في حراق احشاء العساكر القندهارية من خوف نار الخليل زناد النبل * فكانوا ملسوعين والملسوع يخاف من جرا لحبل * فقبل ان يزعق النفير ويضرب الطبل * نفر من كل فرقة منهم طائفه * وتنادوا

ارفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفه * فألبس بير محمد
خلعة الخلع * ولم يكن له بها طوق فاقلع الى القلعة القلع * واوصد
الابواب واحكم الاسوار * واستعد في حصار شادمان للحصار *
فاحاط به من العساكر * كل جارح وكاسر * ودار عليه من بني يافث
كل سام وحام * وجد في المحاصرة منهم كل طاعن وضارب ورام *
فتندم بير محمد * على ما قصد في ذلك وتعمد * وتذكر ما قال له
أول * الخواجا عبد الاول * لكنه اعتذر * بالقضاء والقدر *
فرماه القضاء بسهم جواب * اجاد فيه واصاب

وقال

* وعاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات امر عاتب القدرا *

فانعكس منه كل رأي وفال * وتغير عليه كل امر وحال * وذهب عنه
منعطفا ما بيده من ملك ومال * ونفر عنه كل أسد أصلى للحرب نارا
حامية للسطا على حام وصال * ورجع عنه لسوء تدبيره كل ذي قرابة
حين لمع له بالاماني الكاذبة كل سراب وآل * وتمزقت شقق تدبيره *
على منوال تفكيره * سدى ولحمة فلم يبق له من دون الله من وال *

* ذكر ما صنعه بيرعن من حيلة * عادت عليه بانكارة الوبيله *

لان جل واما كانت قليله *

ولما عليم حوله * اخذ في اعمال الحيله * فاستدعى عدة مضبوطه * من الجلود المخطوطه * الجيدة الدباغ * المصبوغة بالوان الاصباغ * ثم فصله البرنسا * لكل برنسا * وسمر عليها المرايا المصقوله * وبعض صفائح مصموله * وموهها واحكمها بالمسامير * واحضر من سوقة بلده رؤس الجماهير * واستكثر من الرعاع والهمج الجموع * ثم احضر تلك الدلاص والدروع * ووزع على تلك الرؤس والظهور ما تيك النطوع * قصار كلما مارت الشمس بازغه * اصعدا الى الاسوار وخارج البلد تلك الاسود وعليهم تلك الدروع السابغه * فاذا رآهم الناظر من بعيد * توهم رجالا ولم يعلم انهم بندق العبيد * واذ اتراآي ذلك الهباء * والخيتعور الذي يملأ الفضاء كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء * واستمر على ذلك مدة * يقاسي معاناة ويعاني شدة * وكان الذي تعاطى هذا المكر الجلي * دستور مملكته اعني بيرعلى * ومع ذلك كله لم تنفعه هذه الحيله * وعادت عليه انكارة الوخيمة ووساوسه الوبيله * وانكشف

خبره * وانهتك ستره * فضاق ذرعا وقصر منه باع المجال * وملّ
بنقص عدده وعدده وزاده الى قهر النكال *

* ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم * وطلبه الصلح
والقائه السلم *

فبسط بساط التضرع * وطلب وسائط التشفع * وعلم انه لا عاصم
من امر الله الا من رحم * فناشد خليل سلطان الله والرحم * وقال معنى
ما قلت *

* يعطي الكريم ولا يمل من العطا * والعفو شيمته اذا وقع الخطا *

فاجاب خليل سلطان مقاصده * وتأكدت من الطرفين معاقدة
المعاهده * بان لا يقصد احد منهم بلاد صاحبه * واذا كان الله تعالى
رفعه لا يضع من جانبه * ويسلم اليه ما في يده * ويبقى على الود الصداقة
في يومه وغده * ثم تحالفا * ان لا يتخالفا * وتوافقا ان يتوافقا *
وتصادقا ان يتصادقا * وتفارقا على ان يترافقا * وتوافقا ان لا يتنافقا *
وراقبا الال والذمة * وراعيا القرابة والحرمة * وانشمر كل عن صاحبه
بما معه من فئة * وذلك في سنة

تسع وثمانمائة *

* ذكر مخالفة ونكث * وقعت بين بير على وبير محمد * ازاحت ثوب الحيوة
عنهما * وازاحت مخالفيهما منهما *

ولما وصل بير محمد الى وطنه * واستقر بين خدمه وسكنه * خرج عليه
بير على تاز * واستقل بدعوى الملك وامتاز * ثم قبض عليه وكبله *
ثم انه خذله وجدله * وشرع يقول * وهو يصول ويجول * امور
الدنيا اضطربت * واشراط الساعة اقتربت * وهذه دولة الدجالين *
واوان تغلب الكذابين والمحتالين * مضى تيمور وهو الدجال الاعرج
وهذا زمان الدجال الاقرع * وسيأتي بعد هذا الدجال الاعور
وان كان احد يجزع من قرع باب السلطنة فانا اقرع * فلم يجب
احد من الرؤس والاذناب سؤاله * ولا انعم بما اقر عينه وانعم باله *
اذ لم يوجد في تناول هذا الامر المحظور من مبيح * ولم يكن لذلك الوغد
في مهام الملك غير المنيح والسفيح * فدعا ارباب ممالكها تضرعا وخيفة *
فاشر كل في جهة انيابه وجاذبه هذه الجيفة * فلم يبق له قرار ولا ثبات *
فسل يده ومد رجله صوب صاحب هراة * فبمجرد وقوعه عنده في شرك

الاقتناص * قبض عليه واجرى عليه احكام القصاص * وصفت له
الممالك قندهار * من غير مضارب ولا مضار * واستراح خليل
سلطان ايضا من الانكاد والمضار *

* ذكر ما وقع من حوادث الزمان * في غيبة خليل سلطان *

وفي هذه السنة بادرت بالهجوم * تتار الروم * ووصلوا بالعزم * وقطعوا
جيحون بالرجل وهو جمل من خوارزم * وقصدوا بلادهم * فتصدى
لهم من كل جانب من شتتهم وابادهم * وحصل لهم من عدم الاتفاق *
ما حصل لعساكر العراق * وايضا في غيبة السلطان خليل * واشتغاله
بهذا السفر الطويل * اغتنم الفرصة خدايداد وشيخ نور الدين فتوجهوا
الى سمرقند مطمئنين * واخنوا عليها * ونهبوا ما حواليها *
فتحصنت منهم * وترفعت عنهم * فنهبوا خارجها ورجعوا *
ونحو بلادهم انقلعوا *

* ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد * وتوجهه الى شيخ نور الدين وخدايداد *

ولما رجع خليل الى سمرقند * اراح طوائف عسكره وجنده * ثم دعا اصحابه * ووجه نحو مماركابه * وهيأ انصاره واطلابه * وسار بتلك القبائل المضطرمة * والاسود الخوادر والفحول المغتلمة * واستمر ذلك الطود الركون * بين حركة وسكون * حتى وصل الى سيحون * وحين شرع ذلك الطور * والنار ذات النور * على نهر سيحون في العبور * رأيت البحر المسجور * فاذعن له شادرخية وخجند * وتحصنت منه تاشكند * فتوجه لحصارها * وعزم على هدم احجارها * فبعد ان حاصرها مدة * واذاقها لباس الجوع والشدة * لجأت الى طلب الامان * وسلمت اليه قياد الاذعان * فاجاب سوألها * ورفع بالصلح خالها * ثم قفا آثارهما * طالبا دمارهما *

* ذكر ايقاد شيخ نور الدين وخدايداد * نار الخليل ليحرقاه * فاطفأها الله تعالى ووقاه *

وكان خدايداد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى * ويترقبان من فرص النهب والسلب معاني عسى ولعلما * فتوجه وراءهما * ورام

ولم يعلم احد من راق * وظن انه الفراق * فتقهقر شيخ نور الدين

نحو سغناق * واستولى على تلك الاطراف والآفاق *

ذكر رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار * والتنصل عند خليله مما كان منه وصار *

ثم راسل شيخ نور الدين خليل سلطان * واعتذر عما صدر منه

من العصيان * وطلب منه ان يقابل اساءته بالاحسان * ويرجع اليه

عوائد صدقاته كما كان * فاجابه الى سؤاله واسبل على سوءة جرمه

ذيل النسيان * وارسل اليه امرأة جده تومان *

* فصـــــل *

ولم يزل على الوفاق * وشق شقة الشقاق * مرتبقا ربقة الرفاق *

حتى وقع خليل سلطان في الرباق * وصفا لشاه رخ سمرقند وراق *

وتوجه اليه شاه ملك مظهرا الصلح ومضمرا النفاق * واستنزله بالمكر من قلعة

سغناق * بعد ان احكما العهد والميثاق * ووقع بينهما الاتفاق *

وان يتلاقيا ركبانا ويتباثا الاشواق * بعد السلام والاستسلام

والعناق * وكان في جماعة شاه ملك شخص يدعى ارغوداق * ثم اقبل

شاه ملك بجماعته * ونزل شيخ نور الدين من قلعته * وسار شاه ملك
وحده * من غير عدة وعدة * وتعانق هو وذلك المغرور * وبثه ما نابه
في غيبته من امور وسرور وشرور * فأكد عليه الميثاق والعهد *
ووصى كل منهما ما يفعله الآخر من بعد * ثم ودعه وانصرف *
واتصل بجماعته ورفقته * وسارع كل من جماعته بمفرده * الى مصافحة
شيخ نور الدين وتقبيل يده * حتى افضت النوبة الى ارغوداق *
فتوجه بما اضمره من الخداع والنفاق * وكان في الشجاعة اسدا *
وكالفيل قوة وجسدا * فوصل اليه * وقبل يديه * ثم التزمه
عناقا * واحكمه اعتناقا * فاقتلعه من سرجه * واهبط نجمه من برجه *
وقطع راسه * وفجع به ناسه * ولما سمع بذلك شادرخ * طفق يندب
ويصرخ * ولعن شاه ملك ونهره * وضرب ارغوداق وشهره * لكن
ما امكنه وصل ما قطعاه * ولا غرس ما قلعاه * كما قيل ع * وليس لما تطوي
المنية ناشر * واستمر مدة لا ينظر اليهما * ثم بعد ذلك رضي عليهما *
واستمر خليل اد * متشبثا باذيال العناد * مشتركا بين العتو والفساد *
غير مسلم الى الصلح القياد * الى ان اباره الله هو واباد *

وسنذكر كيف جاد بأعلى امه واجاد *

ذكر امر خليل سلطان ببناء ترمذ التي خربها

جنكيز خان * وتجهيزه العساكر لهذا الشان *

ثم في شهر صفر سنة عشر وثمانمائة * ارسل خليل سلطان من الجنود فيه *
واضافهم الى الله داد * وضم اليهم من رؤس الاجناد * الياس
خواجا وابن تمارى منصور * وتوكل قرقرا ودولة تيمور * الى
ترمذ مع آخرين * ليعمروها فاستمروا سائرين * حتى وصلوا الى
ترمذ * فجمعوا في الحال احتياجاتهم من الاحجار والاخشاب والقرمد *
ثم تقاسمت تلك الرؤس ابدانها * وعلوا عن ان يتسوروا قلبة اسوارها
وحيطانها * وجعلوا يعملون ولا يلبثون * ويبنون بكل ريع منها آية
يعبثون * وتركوا بالنهار الا وبالليل نوما * فاتموا بنيانها في نحو
من خمسة عشر يوما * وحين ميزوا محلاتها * وفرزوا دروبها وطرقاتها *
ورفعوا اعلام مساجدها ومناراتها * وبنوا مواضع اسواقها وابياتها *
امروا الباقين * من ذريته النازحين عنها من اهلها * وكل من رحل
من خراب ونزها الى عمران سهلها * ان يرجعوا اليها * ويخيموا عليها *

وكان اولئك المساكين * قد استوطنوا منها البساتين * وبنوا
فيها اسواقهم وبيوتهم * وجمعوا فيها اسباب معائشهم وقوتهم واستمر
ذلك من وقت جنكيزخان * الى وقت تيمور كوركان * فكانوا في وطنهم
آمنين * وعن حركات الانزعاج والتقلقل ساكنين * فلما مات
تيمور * وحدث شرور وامور * اراد خليل سلطان ان يصونهم *
فارسل من شيد حصونهم * وكانت الجديدة عن العتيقة نحوا من فرسخ *
فصارت العتيقة احصن من الجديدة وارسخ * لاسيما وقد طم البانون
منارها * ونهر جيحون يصافح اقدام طود حمل اسوارها * بخلاف
الجديدة * فان قصور مساكنها غير مشيدة * وهي عن النهر بعيدة *
فلما نادوا الناس ان ادخلوا الى دار قرار كم * فكأنهم كتبوا عليهم
ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من ديار كم * فلم يتقبل الله داد عليهم *
ولا اكترث في ذلك ولا التفت اليهم * ولم يظهر في ذلك عنادا * ولكنه
حشر فنادى * ان كل من سبقت يده من اهل البلد * الى شيء من هذه
الاماكن والعمائر الجدد * فهو له من غير منازع * ولا ممانع
ولا مدافع * ثم امر بانتقال الخبازين * والقصابين والطباخين

والسابيين * وميزلهم منزلهم ومأواهم * ولم يتعرض لمن سواهم *
فجعلوا يبيعون على العساكر ويشترون * ويربحون في ذلك ولايخسرون *
فاختل نظام سائر الجمع اذ الانسان مدني بالطبع * فالجأهم الاضطرار *
أن يتبعوهم بالاختيار * فتفقد ما يليق به أحوال كل من كبيرهم
وصغيرهم * وقرر على ما اقتضته آراؤه قواعد أمورهم * ثم جمع
رؤس جنده * وتقفل الى سمرقنده *

ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان * في مقابلة ما فعله خليل سلطان *

ولما سمع شاه رخ بما فعله خليل سلطان * جهز طائفة من عساكر
خراسان * وجعل يملك ذلك السحاب المنجاب * من بحر أمرا ميرزا
يل جي ميرزاب * وهو أخو جهان شاه * الذي كان تيمور على محاصرة
قلعة دمشق ولاه * وأمر رؤس تلك الجنود * أن يبنوا قلعة تسمى
حصن الهنود * وهي من اقصى بلاد خراسان * يفصل بينهما وبين
ترمذ نهر جيحان * ففعلت من البناء العساكر الخراسانية * نحو
ما أعربت عنه العساكر الخليلية السلطانية * وفي أثناء مدة البناء تراسل
الله داد وميرزا ب وتصافيا * وتواصلا بالاحتشام والاحترام وتهاديا *

اشارة الى ما حدث في اقاليم ايران * وما جرى من سيول الماء

عند تصوب ذلك الطوفان *

ثم ان السلطان احمد وقرا يوسف رجعا الى العراق * ووقع بينهما
على سياسة الملك الاتفاق * واستقر السلطان احمد في بغداد * ووثب
قرا يوسف على الجغتاي بالعناد ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد *
وكتب الفتح على اياالاته آيات نصر من الله * فاستخلص ممالك اذربيجان
بعد ان اباد طوائفهم وقتل اميرانشاه * ومد عنان الكلام * في استيفاء
هذا المقام * يخرجنا عما نحن بصدده من المرام * الى ان وقع بينهما
الشقاق * وتخبطت اذربيجان والعراق * ثم قتل قرا يوسف السلطان
احمد باشارة بسطام * وذلك في شهور سنة ثلثة عشر وثمانمائة
من هجرة النبي عليه السلام * واما عراق العجم * فانها كانت احصن
آجم * فاستقل بدعوى الملك متوليها بير عمر * فنهض عليه ذو قرابة
له يدعى اسكندر * فقاتله وكسره * ثم قبض عليه وقصره *
واستقل بدعواه * فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراة * فقبض عليه
وابادة * ورجع به اهله واولاده واستصفى بلاده * فخلصت لشاه رخ

ممالك العجم كلها * وانثال الى خزانته من أموالها وابلها وطلها *
من غير أن يعاني في ذلك نصبا * او يقاسي في تحصيله تعبا ووصبا *
مع أن مملكته كانت أوسط الممالك * فلم يتطرق اليه احد بسوء
لذلك * وانه كان حسن الجوار قليل الحركة * وأبوه قد حسم عنه
بقتله ملوك العجم مادة كل شر وهلكة * فثبتت في مكانه بين أسود شحنته
ونبت * وكبت ماله من الاعداء بماله من أصدقاء وثبت * فاهتزت
اراضي دولته بنبات الثبات وربت * وكأن عيون السعد كانت ترقبه *
وعرائس الملك تناجيه وتخاطبه *

* بقوله * شعر *

* نزه فؤادك عن سوانا والقنا * فجنابنا حل لكل منزه *
* والصبر طلسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه *

ذكر خروج الناس من الحصر * وطلبهم اوطانهم
من ماوراء النهر *

وفي أثناء هذه الحالات * قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات *
وطلب كل غريب وطنه * وتحرك يبغي سكنه وقطنه * اما بإجازة

واحتيا * واما بهزيمة واختفا * فاول من استجاز من اهل الشام
وراء المسير * شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * ثم تفرقت
الطوائف عجما وعربا * وتبددوا في الآفاق شرقا وغربا * ووقع في سمرقند
القحط وغلاء الاسعار * ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار *
ثم حصل بعد ذلك الرفاهية * واجتمع للناس الرجاء والامنية * وطاب
الزمان * وحصل الامان * وذهب المقت * وصفا الوقت *
* ع * وعند صفو الليالي يحدث الكدر *

ذكر ما اثار الزمان الغدار * من دمار وبوار * القى به الخليل في النار *
وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير *
وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير * فمال بكل جوانحه اليها *
بحيث انه قصر نظره عليها * وصارت محبته كل يوم تزداد * وانست قصته
قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد *

فكان كما قيل * شعر

* اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى *
* والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان *

* كأن فؤادي ليس يهدا الذي به * الى ان يرى الروحين يجتمعان *

واستمر ذلك الى ان ران هواها على قلبه * واخذ بمجامع لبه * وربط جوارحه * وحل جوانحه * وفصل قميصا واسعا فكانا يلبسانه * واتحدا فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه * وصارا ينشدان *

والى حالهما يرشدان *

* انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا *

بل كانت القضية بالعكس

* قلت *

* انما كانا بروح نفخت * منذ براها ربها في بدنين *

وكان لا يصدر امرا الا عن رايها * ولا يستضيء في سياسة الملك الا بآرائها * فسلمها قيادة * واتبع مرادها مراده * وهذا من غاية البله والعته * وكيف يفلح من ملك قيادة امرأته * وكان لها خادم قديم * ليس من بني الاحرار ولا بكريم * بل كان من اطراف الناس * يبيع في اول امره البز والكرباس * يدعى بابا ترمش * بطرف معمش ووجه منمش * وصورة قبيحة *

وسيرة غير مليحة * وكان يتقاضى حوائجها ويدخل عليها * قبل وصول
حاجب سلطان إليها * فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت * وحصلت
لها المرتبة التي لغيرها ما حصلت * ارتفعت درجة خدمها * وزادت
حشمة حشمها * واستفاد بابا ترمش من اضافته اليها التعظيم *
وكسب كرامة المخدوم وحصل للخادم التكريم * فصار يرأس جماعتها
ويسوسهم * وبمجالستها تحلى بخلعة * ع * هم القوم لا يشقى جليسهم *
ثم ترقى حتى صار عليه مدار امرها * ثم تخطت قدمه الى التكلم في اسباب
الملك وغيرها * ثم تدرج الى فصل المحاكمات الديوانية * واجراء
القضايا السلطانية * ثم ترفع الى التولية والعزل * وتعاطى ذلك على
سبيل الجد والهزل * وانتهى في ذلك * فصار دستور الممالك * ولم يقدر
احد على رد كلمته * لحدة شوكته بقوة مخدومته * فبسط يده
ولسانه كما اختار * وامتثل كل احد ما امر به واشار * واستطال على الله داد
وارغون شاه * فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما ابرماه * وبلغ في قلة
الادب الى ان كان يمد رجله بحضرتهما * ولا يقوم بأدنى من واجب
حرمتهما * ثم تجرأ ان لا تفصل قضية * الا بمشورته * وان كان غائبا

فى انتظار حضوره او يتوجه الى حضرته * ومن حين نبغ الى ما بلغ كانت

تجوا من ثلاث سنين * وعفاريت الجغتاى وجنهم لا يثنين معه العذاب

المهين * فحصل لالله داد وارغون شاه من هذا التدرج * غاية

الضرر ونهاية التحرج * وبلغا الغاية * فى الاهانة والنكاية * واعضل

داؤهما * واعجز دواؤهما * واستلذا ذهاب العيش

وزواله * على البقاء فى هذه الحالة *

ذكر ما افتكره الله داد * ودبره فى مراسلة خدايداد *

ثم ان الله داد استعمل فكره * ولكن اخطأته الحفرة * فطبخ

قدره اقا نقلبت عليه * ونسج كل ودالقز شبكة حتفه بيديه *

قلت

* اذا انعكس الزمان على لبيب * يحسن رأيه ما كان قبحا *

* يعاني كل امر ليس يعني * ويفسد ما رآه الناس صلحا *

فلم يجد التدبير الاكياد * الا مراسلة خدايداد *

فجليا عليه صورة هذه القضيه * واخبراه بها عن وضوح

وجليه * واشارا عليه ان يتوجه بامل فسيح * ويقصد

بعساكر سمرقند وخاطره مستريح * فنهض من ساعته * وتوجه
بجيشه وجماعته * ودب دبيب الدبا * فوصل الى مكان يدعى
اوراتبا * فلما سمع بذلك خليل سلطان * ارسل الى الجنود
والاعوان * وتعجب من وقاحته * وتعوذ من كلاحته * وجهز الله
داد وارغون شاه * مع العساكر الجرارة للملاقاه * فسارا حتى
دانياه * فقابلاه وما قاتلاه * ثم ارسلا الى خليل سلطان يستدعيان
المدد ويقولان * ان هذا الرجل بلغ من ملاحاته * وشدة
دعارته وقلة مبالاته * انه لم يتزعزع من مناخه * ولا دخل ريح
هيبتنا في صماخه * فامدهما بباقي العسكر * وجعل يتشوف لما يكون
من الخبر * فارسلا ايضا ان هذا اقل اذى وزاد فسادا * وجار
في عداوته تمردا وعنادا * فاملنا بنفسك * وادركنا بحدك سلك
وحسك * فان هيبتك اقوى * وطلعتك اضوى * وما ارتكب هذه
الجراءة * ولا اقدم على هذه الجيئة * الا وقد اضمر شرا كبيرا *
وطوى في باطنه تارا وقيرا * فادركنا بباقي المقاتلة * فان هذه المرة
تكون الفاصلة * فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن * وخاطر عن خالي

الحوادث مستكن * وامل فسح * وصدر منشرح * معجبا بشبابه *
مغرما باصحابه * متمايلا بين احبابه * متهاديا بين اترابه *
في شرذمة قليلة * وطائفة نبيلة * ابعد ما عنده نزول هم * واشرد
ما لديه حلول نكد وغم * يغلب به الكمال *
ويناديه لسان الجمال *

بقوله

* تهذلا لا فانت اهل لذاكا * وتحكم فالحسن قد اعطاكا *

فوصل بتلك العصابة السلطانية * الى قصبة تسمى سلطانية * فارسل الله
داد الى خداي داد ان الركاب السلطاني * خرج من سمرقند
في اليوم الفلاني * وفي الساعة الفلانية *
يدخل كورة سلطانية *

ذكر ما قصده خداي داد من الكيد * ووقوع خليل سلطان
في قنص الصيد *

فقصد خداي داد المخاتلة * وترك ثقله مقابل المقاتلة * ونبذ العساكر
وراء ظهره * وتابط شر شرارة وهراوة هره * واستصحب من ابطال القتال

ورجال النصال والنزال * طائفة * جاسرة غير خائفة *

* شعر *

رزان اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثيرا اذا شدوا قليل اذا عدوا *

والتحف ذيل الليل * ولطأ بظهر الخيل * واستطرق الى مطلوبه طريقا عوجا * واستقود الى مقصوده قوادا الدجى *

كما قيل * شعر *

* لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد *

حتى وصل الى سلطانية وهي قصبة انشاها تيمور * ولم يكن لاحد به شعور * فلم يفجأ خليل سلطان * الا وقد جاءه موج البلاء من كل مكان * فنهض كل من معه من الاصحاب * واخذوا في الحرب والطعن والضراب * وقاتلوا قتال الموت * وايقنوا حلول الفوت * فعضت عليهم الحرب العضوض * وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ ومرضوض * فقتل حقيرهم وجليلهم * ووقع في نار عدوهم حبيبهم وخليلهم * ثم رجع خدايداد الى معسكره * فاثر انتجه مستبشرا بظفره *

* فصل *

ثم ان خداياداد حلف لخليل سلطان * بأشد ما يكون وابلغ
من انواع الايمان * انه لا يقصده بأذى * ولا يرمي في عين معيشته
بخيال قذى * ولا يؤذيه بقول ولا عمل * ولا يسلط عليه من يؤذيه
بمكر ودخل * وسيرى نتيجة ما حلف * وان الله تعالى عفا عما سلف *

* فصل *

ثم التمس منه ان يرسل الى الله داد * فمن دونه من الاجناد * ان يستسلموا
لخدايداد * وارسل خدايداد ايضا الى الناس * باني قد استوليت
منكم على الراس * فان اطعتموني اطعته * وان لم تصلوني قطعته *
ولما رقع خليل سلطان في هذا الكرب * تصور ان هذا اسهم غرب *
ثم ظهر له مكان ذلك المكمن * وتحقق كيف اخذ في المأمن * وعلم
من اين صب ذلك البلاء عليه * وانى اخذ من ذلك الجانب الذي
يأمن اليه * فقال * بلسان الحال *

* جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف *
* فما سامنا خسفا ولا شفنا اذى * من الناس الا من نود ونعرف *
ثم ارسل الى سائر الامراء * ورؤساء الجيش والوزراء * ان يستسلموا

لخذ ايلداد ولا ينازعوه * ولا يدافعوه فيما يريد ولا يمانعوه *

فاستسلم الكل اليه * واستقبل ذراه وسلم عليه * فاستولى على تلك الجنود

المجندة * وتحصن من غوائل المخاتل بالرماح المسددة * والسيوف

المهندة * وقدم جنود جند وخجند * واغتنام تركستان وطغام

اوزجند * واخر من سوى اولئك وتقدم الى سمرقند * ولم يلتفت

الى الله داد فمن دونه * وتحقق الله داد ان صفقته في ذلك مغبونه *

فسلخ الزمان عنه ما كان البسه من ثوب عز وسلب * وفر من بين يديه

ما كان فيه من جاه ومال وذهب * وكان قيام ذلك الحشر

في سنة ثمانمائة واثنى عشر *

ذكر ما جرى من الفساد * بسمرقند عند قدوم خداي داد *

ووصل خدايداد الى سمرقند ودخل * فتغيرت تلك الرسوم والدول *

وكانه ظهر اختلاف الملل والنحل * وكان له ابن يدعى الله داد *

فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد * وتفحص عن مكامن الخزائن *

ونقب في اطوادها عن الفلزات والمعادن * ونقر عن مضمرات الضمائر

وبحث عن الخبايا والدفائن * وتغيرت الاوضاع * وتبدلت

بالفظاظة رقاق الطباع * وصاروا *

كما قيل * شعر *

* اما الخيام فانها كخيامهم * وارى نساء الحي غير نسائها *

وتنكرت الصفات * حتى كأنما تحولت الذوات * او بدلت الارض غير

الارض والسموات *

* شعر *

* وتنكرت ارض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا *

ذكر بلوغ هذه الامور * شاه رخ بن تيمور * وتلافيه تلك الحوادث *

وحسمه مادة هذه العوابث *

ولما اتصل بشاه رخ هذا الخبر * عبس وبسر * وتضجر وزمجر *

وازور وازبار * وكشر واكفهر * وتغير وجهه وتمعر * واستغاث

وتقلق * وولول واسترجع وحولق * وتحرق وتنكد * وتأوه وانشد *

* شعر *

* لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس *

ثم طير بطائق مراسيمه كل مطير * الى اطراف ممالكه بجمع العسكر *

وأمر شاه ملك * أن يسير غير مرتبك * ويستتبع السير * ويسابق بعتاقه عتاق الطير * فيتدارك ما انفرط من النظام * ويطارد عن وزخ المملكة الاغنام الطغام * فلا يدع رائدهم أن يحل * ويعاجل مستعجل قدرهم أن يمل * فسار شاه ملك في الحال * بعساكر في المدد كالجبال * وفي العدد كالرمال * ثم اتبعه شاه رخ بسائر الاساورة * وكواسر الاكاسرة * وسار لا يلوي على احد * ولا يسكن في حركته الى طالع ولا رصد * فحين وصلوا جيحون وعبروه * غطوا وجهه وستروه * فانبسط ذلك السيل على وجه الماء * فكأن البحر غطي بالغمام المتراكب وغرق في بحر الحياء *

* فصـــــل *

ولما قطع البحر تلك الاطواد * واتصل الخبر بخداياداد * تيقن انه لا طاقة له بابه وقروده * بل ثاب جنود شاه رخ واسوده * وان جل عساكره يفر عنه ويسلمه * ويقبض عليه ولشاه رخ يسلمه * فاسرع في تنجيز مآربه * وبادر الى تجهيز مطالبه * واخذ ما وصلت يده اليه من اموال * واوسق ما بلغت طاقته من نفائس واحمال * واستصحب

خليل سلطان * وتوجه الى ايذكان * واودع الله داد وارغون شاه وبابا ترمش فى القلعه * وانف ان يستصحب احدا منهم معه * وترك شاه ملك ايضاً فى المدينه * بفراق خليلها رهينه * وبسلب ما كانت فيه من العز مهينه *

ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجنديه * وقبل وصول الشواهين الشاهرخية *

ثم ارتحل خداايداد وانفصل * ولم يكن احد من جهة شاه رخ وصل * وما كان للناس * ظهر ولا راس * اراد الله داد وارغون شاه * ان يتوجها الى شاه رخ ويستقبلاه * فرفع خواجا عبد الاول عليهما يده * واقام لمنعهما عن الخروج من القلعة رصده * واستعان بشطار المدينه * وكان الله داد قبل ذلك انكاه نكاية اورثته ضغينه * كما قيل * ع من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا * فلم يختلف في رياسته اثنان * ولا انتطح فيما يأمرهم به عنزان * وصارت اشارته الامرة الناهيه * وجد اول مراسيمه فيما بين الناس جاريه * واوامره المطاعة في تلك الايام الخاليه * ع والعلم يرفع بيتا لا عماد له * ولم يزل خواجا عبد

الأول يسوس الرعيه * ويوصي على الله داد ورفيقيه ومن معهم

ويشدد مضايق القضيه * الى ان طلعت طلائع شاه

ملك واعقبتها العساكر الشاهرخيه *

بجكريك وربك ورالدولة الشاهرخية * في سماء ممالك ما وراء النهر

بعد غروب شمس النوبة الخليلية *

فخرج اهل المدينة لاستقباله * مستبشرين برؤية جبين هلاله *

فنزل كل احد في منزلته * ووضع كلا من الناس في مرتبته * ثم قبض

على الله داد ورفيقيه وعاقبهم بانواع العقاب * وصنف في تعذيبهم

واستخلاص الاموال منهم انواع العذاب * ثم قتلهم صبرا * ونقلهم

من الدنيا الى الاخرى * الا بابا ترمش فانهم عاقبوه * وبانواع

العذاب الهبوه * ففي بعض الايام * وقد انكت فيه من العذاب الالام *

اخذ الموكلين عليه ليطلعهم على قضيه * او يدلهم بهم الى خبيه *

فمر وابه وهو في قيد وثيق * على حوض ماء عريض عميق * فاستل

من قرابه ايديهم عضب يده الدلق * ورمى بنفسه وزخ

في ذلك الماء على غفلة فغرق *

* فصل *

ثم ان شاه رخ زار اباه * واقام شرائط عزاه * وجدد ترتيب القراء على تربته والقومه * واستأنف معالم المرتبين في ذلك والخدمه * ونقل الى خزائنه جل ما كان على حفرته * من اقمشته وامتعته واسلحته * وعفر بيادر الخزائن * وحفر تخوم تلك الكمائن * وشرع في تمهيد القواعد * وترتيب مراتب الاقارب والاباعد *

* فصل *

وقبضوا على شاد ملك وامانوها * وشانوها بتلك الالمن صانوها * وعصبوها بالعذاب عصب السلمه * وهزوها لاستخراج الاموال منها هزات اعوان الظلمه * ثم بعد ذلك الابتذال * واستخلاصهم منها انواع الاموال * حزموها وشدوا منها الوثاق * وشهروها منادين عليها في الاسواق * واستقرت على شاه رخ الامور * وارتفعت صدور وانقصمت ظهور * وعلا انسان * وانحط انسان * فسبحان من هو كل يوم في شان * عز شانه وتعالى سلطانه يغير الدول ويقلب الاحوال * ولا يعتري سلطانه تغير ولا انتقال *

ذكر ما قصده خدايداد * من اتمام النكل والفساد * وكيف آل

ذلك النكال * الى ان جرى عليه وبال *

واما خدايداد فحين حل في مكانه * وخلا بخايل سلطانه في اندكانه *

جدد معه عهوده ومواثقه * انه امنه مكره وبوائقه * وذكر ان

ذلك النكال والنكاد * انما فعله معه ارغون شاه والله داد * مع

احسانه اليهم * واسبال ذيل انعامه عليهم * وانهم كافوه مكافاة

التمساح * وقابلوا بافسادهم منه الاصلاح * ثم قال له اذكر صنيعك

معي اولا وظاهرا * وانظر ما افعله معك باطنا واخرا * وسافعل معك

ما يتحقق به خلوص الطوية * وصدق النية * بحيث يذهب الكدر

ويبقى الصفا * وينمحي الجفا ويثبت الوفا ونعيش باقي عمرنا متصافيين *

وفي رياض الهنا متوافيين متكافيين * فنمحو بما نكتب في الواح

صدورنا من المحبة والشفقة * مساطير الاساطير المكتبة في باب

الحمامة المطوقة * وساردك ان شاء الله تعالى الى دار عزتك * واجتهد

في تحصيل ما يعيدك الى نشاطك وهزتك * ثم خطب باسمه في اندكان *

وامر بذلك في اطراف تركستان *

تتمة ما جرى من خليل وخدايداد من المعاقدات * وتاكيد العهود

والمودات * الى ان ادركهما هادم اللذات *

ثم تأكدت بينهما وثائق الايمان * وذهب خدايداد يستمد المغول

لخليل سلطان * وترك خليل سلطان بذلك المكان * وكان المغول

لما بلغهم موت تيمور المخذول * سلبوا قرارهم * واخلوا ديارهم *

ولجأوا الى الحصون * وتشبثوا باذيال كل كهف مصون * كما ذكر

اولا فلما تحققوا موته * واستثبتوا فوته * تنادوا بالامن والامان *

وجاوروا خدايداد في ذلك المكان * وارسلوا يهنئون خليل سلطان *

وبعثوا اليه هدايا سنية * وتحفا فاخرة ملوكية * من جملتها كرسي

من ذهب * افرغه صائغه في قالب العجب * فاكرم خليل سلطان

رسلهم * واعظم نزلهم * واجمل معهم جوارا واجرا * وجازاهم بكل

حسنة عشرا * قلت *

* الخير ابقى وان طال الزمان به * والشر اخبث ما اوعيت من زاد *

ولا زالت خلع المودة بينهم تنتسج * ووجوه المكارمة والمحاشمة يوما فيوما

تبتهج * حتى عرى له ما عرى * وجرى عليه من بحر القضاء والقدر

ما جرى * فساعة وصول خدايداد اليهم قبضوا عليه * وارسلوا

الى خليل سلطان ينهون صورة الحال اليه * وقالوا تعلم ما بيننا وبينك

من خالص الوداد * وانا عالمون بما وقع بينك وبين خدايداد * وانه

كان السبب في تبديدك * وخروج ملكك من يدك * وقد جاء

يستمد نالك * فارسم لنا ما بدا لك * فان رسمت قتلناه * وان اشرت

امددناه * وفي الجملة مهما امرتنا به امتثلناه * فارسل يقول قد علمتم

كيف آذاني * ومزق عرضي واخزاني * واخرجني من ملكي وسلطاني *

وغربني عن اهلي واخواني * واذلني اذ رأسني بمفارقة حبي واوطاني *

والآن فقد جعلني ترسا * يتقي بي الحوادث والباسا * وقد عرفتم كيف يريد

ان يتصرف * وعلى كل حال فالعارف لا يعرف * ومع هذا فمهما رأيتم

في ذلك من المصلحة فافعلوه * ففي الحال قطعوا رأسه واليه ارسلوه *

* ذكر عود خليل سلطان * من ممالك اندكان *

وقصده عمه شاه رخ * ولعبه بالنفس مع ذلك الرخ *

واستمر خليل سلطان * في ذلك المكان واطراف تركستان * يرسل

بالفارسي الاشعار الغزار فيه * وينشئ في حبيبته ما ينسي القصائد

الزيدونية * وبث كرمانيه من الغربه * وما جرى عليه من الفراق والكربه * فيصدع بذلك القلوب ويفتت الاكباد * الى ان مل المقام في تلك البلاد * فنفض منها ذيله * وضم رجله وخيله * وقصد عمه * وركب الطريق وامه * فاكرم عمه مثواه * ولم يذكر له اخبار ما انشاه * وضم اليه حبيبته * ولم الى خليل خليلته * وقرر قاعدة ذلك الاقليم وشيده * وولى فيه اولوغ بيك ولده * وقفل الى خراسان * مستصحبا معه خليل سلطان * ثم ولاه مما لك الري * فلم يقم بها الا ادنى شي * وانتقل الى رحمة الله * وكان عمه دس له شيأ فسقاه * فدفن بمدينة الري * وطوي نشر ذلك الحاتم اي طي * وحين وقعت شاد ملك في مثل الخطب الجليل * واشتعلت احشاؤها بنار الخليل * قالت لا ذقت فقدك * ولا عشت بعدك * وانت ورنت * وانشدت وغنت *

* شعر *

* كنت السواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر *

* من عاش بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر *

الاكارع مستكمل الابنية * مسترسل اللحية * اشل اعرج اليمناوين * مبناه كشمعتين غير زهراوين * جهير الصوت * لا يهاب الموت * قد ناهز الثمانين * وهو مع ذلك بجاش مكين * وبدن مستمسك متين * صلبا شهما * كأنه صخرة صما * لا يحب المزاح والكذب * ولا يستميله اللهو واللعب * يعجبه الصدق ولو كان فيه ما يسوءه * لا ياسى على ما فات ولا يفرح بما يجيئه * وكان نقش خاتمه راستي رستي * يعني صدقت نجوت * ومبسم دوابه وسرة سكته على الدرهم والدينار ثلاث حلق هكذا ٥٥ لا يجري غالبا في مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم * ولا من سبي ونهب وغارة وهتك حرم * مقداما شجاعا * مهابا مطاعا * يحب الشجعان والابطال * ويستفتح بهم اقفال الاهوال * ويفترس بهم اسود الرجال * ويستهدم بهم وبصدماتهم قلل الجبال * ذا افكار مصيبة * وفراسات عجيبة * وسعد فائق * وجد موافق * وعزم بالثبات ناطق * ولدى الخطوب صادق *

* قلت *

* فكم قد حت آراؤه زند فتنة * حمته لدى البأسا واردت قبائلا *

مُحَاجاً جادَ راً كالَلمْحَةِ وللمزة * مُرتاضاً مستيقظاً لِرمزِه * لايخفى عليه تلبيسُ مُلبّس * ولا يتمشى عليه تدليسُ مُدلِّس * يفرق بين المحقِّ والمبطلِ بفراسته * ويدرك الناصحَ والغاشَّ بدقّةِ درايته * يكاد يهتدي بأفكاره النجمُ الثاقب * ويستتبع بآراءِ فراسته سهمَ كلِّ كوكبٍ صائب *

* قلت *

* يشاهدُ أعقابَ الأمورِ بعقله * كما شاهدَ المحسوسَ بالعينِ ناظرُ * إذا أمرَ أمراً وأشارَ بشيءٍ لا يرُدُّ عنه * ولا يَثني عِنانَ عزيمته عن شيءٍ منه * لئلا ينسب إلى قلّةِ الثبات * وركاكةِ الرأي والحركات *

* قلت *

* إذا قال قولاً وأشار إشارةً * ترى أمرَه في ذاك كالنصِّ قاطعا * وكان يقال له في ألقابه صاحب قِران الأقاليم السبعة وقهرمان الماء والطين * وقاهر الملوك والسلاطين * يُحكى أن قاضي القضاة وليَّ الدين عبدَ الرحمن ابن خلدون المالكي قاضي القضاة بمصر كان صاحبَ التاريخ العجيب * والسالك فيه الأسلوب الغريب * على ما ذكر لي

مَنْ رَآهُ * واطَّلَعَ على لفظِهِ ومعناهُ * من الأذكياءِ المَهَرَةِ * والأُدباءِ البَرَرَةِ * مع أنّي لم أرَهُ * وكان قد قَدِمَ الشامَ * مع عساكرِ الإسلامِ * وحينَ ولَّتِ العساكرُ الأدبارَ * أنشبَتْهُ في مخالبِ تيمورَ الأقدارُ * قال له في بعضِ مجالسِهِ * وقد أنِسَ بتوانسِهِ * باللهِ يا مولانا الأمير ناوِلْني يدَكَ التي هي مفتاحُ فتوحِ الدنيا حتى أتشرَّفَ بتقبيلِها * وقال له أيضاً لمّا أرادَ أن يستصحبَهُ معه وقد سرَدَ عليه شيئاً من تواريخِ ملوكِ الغربِ وكان تيمورُ مغرماً بإقراءِ التواريخِ واستماعِها فأعجبَهُ ذلك غايةَ الإعجابِ * ورغِبَ منه في الاستصحابِ * يا مولانا الأمير مصرُ حَرِجَتْ عن أن يتولّى فيها نائبٌ غيرُكَ * أو أن يجريَ فيها غيرُ أمرِكَ * ولي فيكَ عِوَضٌ عن طريفي وتلادي * وأهلي وأولادي * ووطني وبلادي * وأصحابي وأخداني * وأقاربي وخلّاني * وملوكِ الناسِ * وعن كلِّ ظهرٍ وراسٍ * بل وعن كلِّ الورى * إذ كلُّ الصيدِ في جوفِ الفرا * وما أتأسَّفُ * ولا أتلهَّفُ * إلّا على ما مضى من عمري * وانقضى من عصري * كيف تقضّى ذلك في غيرِ خدمتِكَ * ولم تكتحلْ عيني بنورِ طلعتِكَ * ولكنَّ القضاءَ جازٍ * وسأستبدلُ الحقيقةَ

بالمجاز * وما اولاني * ان اكون طي لساني *

* قوله *

* جزاك الله عن ذا السعي خيرا * ولكن جئت في الزمن الاخير *

فلا ستأنفن في دراك عمرا ثانيا * ولاعدن الزمان بابعادي عن علو تك

هادياً * ولا تداركن ما مضى من عمري بصرف ما بقي في خدمتك

والتشبث بغرزك * ولا حسبن ذلك اعزا وقاتي * واطى مقاماتي *

واشرف حالاتي * ولكن ما يقصم ظهري * الا كتبي التي افنيت فيها

عمري * وصرفت جواهر علومي في تصنيفها * وظمئت نهاري وسهرت

ليلي في ترصيفها * وذكرت فيها تاريخ الدنيا من بدئها * وسير

ملوك شرقها وغربها * ولئن ظفرت بها لاجعلنك واسطة عقدهم *

وخلاصة نقدهم * ولاطرزن بسيرك خلع دهرهم * ولاصيرن

دولتك هلال جبين عصرهم * اذ انت ابو القاسم * والبازغ بدر نصره

في شرق الغرب من دياجير الملاحم * والمكاشف به على لسان كل ولي *

والمشار اليه في الزوائج والجفر المنسوب الى امير المؤمنين علي * وصاحب

القران * المنتظر في آخر الزمان * وهي في القاهرة فلو حصلت عليها

ما فارقت ركابك * ولا هجرت اعتابك * والحمد لله الذي رزقني

من يعرف قيمتي * ويحرز خدمتي ولا يضيع حرمتي مع كلام فصيح صادع *

بديع بليغ خالب خادع * فاهتزت فرحا اعطافه * وتراقصت فرحا

اطرافه * واعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب التواريخ والسير *

واستهواه حبه معرفة احوال الملوك الذي ذكر * حتى شده عما خابه *

بسحر هذا البيان البديع وسلبه * ثم انه استوصفه بلاد العرب

وممالكها * واستوضحه اوضاعها ومسالكها * وقراها ودروبها * وقبائلها

وشعوبها * كما هو داءبه وشانه * والقصد في ذلك امتحانه * لانه

لم يكن محتاجا لذلك * اذ في خزائن تصويره صور جميع الممالك *

وانما اراد بذلك معرفة مقدار علمه * وكيفية ابداء نصيحته له وكتمه *

فاملى كل ذلك من طرف لسانه * كانه يشاهده وهو جالس في مكانه *

وشرح تلك الامور * كما في خاطر تيمور * ثم قال له كيف تذكرني وبخت

نصر مع الملوك الاكابر * ولم ننل في النسب تلك المفاخر * وما نحن

من يعاسيب النحل * فانى تعبينا مع الفحل * فقال افعالكما البديعة

اوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعة * فاعجبه هذا الكلام * وقال لجماعته

اقتدى به فانه امام * ثم اخذ تيمور يخبر القاضي بما وقع في بلاده *
وما جرى بين ملوك الغرب واجناده * ولا زال يذكر له اخبار الناس
حتى سرد عليه اخبار متعلقيه واولاده * فتحير القاضي من املائه *
وقال ان الشيطان ليوحي الى اوليائه * ثم ان تيمور عاهد القاضي
ان يتوجه الى القاهرة * ويأخذ اهله واولاده وكتبه الزاهرة *
ولا يلبث اكثر من مسافة الطريق * ويرجع اليه بأمل فسيح وعهد بنيان
الاماني وثيق * فتجهز الى صفد * واستراح من ذلك النكد *

* فصل *

وكان تيمور محبا للعلماء * مقربا للسادات والشرفاء * يعز العلماء
والفضلاء اعزازا تاما * ويقدمهم على كل احد تقديما عاما * وينزل
كلا منهم منزلته * ويعرف له اكرامه وحرمته * وينبسط اليهم انبساطا
ممزوجا بهيبة * ويبحث معهم بحثا منطويا على الانصاف والحشمة *
لطفه مندرج في قهره * وعنفه مندمج في بره *

* شعر *

* متفرق الطعمين مجتمع القوى * فكانه السراء والضراء *

* وقيل *

* مر المذاق على اعدائه بشع * حلو الفكاهة للاصحاب كالعسل *

وكان مغرما بارباب الصناعات والحرف * اي صناعة كانت اذا
كان لها خطر وشرف * يبغض بطبعه المضحكين والشعراء * ويقرب
المنجمين والاطباء * ويأخذ بقولهم * ويصغى الى كلامهم * ملازما
للعب بالشطرنج لكونه منقحا للفكر * وكانت علت همته عن الشطرنج
الصغير * فكان يلاعب بالشطرنج الكبير * ورقعته عشرة في احدى
عشر * وفيه من الزوائد جملان وزرافتان وطليعتان ودبابتان
ووزير * واشياء غير ذلك وسيأتي وضعه والشطرنج الصغير بالنسبة
الى الكبير كلا شئ * مواظبا لاقراء التواريخ وقصص الانبياء عليهم
الصلوة والسلام * وسير الملوك واخبار من مضى من الانام * سفرا
وحضرا كل ذلك بالفارسي * ومما تكررت قراءتها عليه * وطنت
نغماتها على اذنيه * قبض زمام ذلك وملكه * حتى صارت له ملكة *
بحيث ان قارئ ذلك اذا خبط * رده الى الصواب من الغلط *
وذلك لان التكرار * يفقه الحمار * وكان اميا لا يقرأ شيأ ولا يكتب

ولا يعرف شيأً من العربيه * ويعرف من اللغات الفارسية والتركية
والمغوليه * حسب لاغير * وكان معتقدا للقواعد الجنكيزخانيه *
وهي كفروع الفقه من الملة الاسلاميه * وممشيا لها على الطريقة
المحمديه * وكذلك كل الجغتاى واهل الدشت والخطا وتركستان
واولئك الطغام * كلهم يمشون قواعد الملعون جنكيزخان على قواعد
الاسلام * ومن هذه الجهة افتى كل من مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد
البزازي رحمه الله * ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد
البخاري ابقاه الله وغيرهما من العلماء الاعلام وائمة الاسلام *
بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانيه * على الشريعة
الاسلاميه * ومن جهات اخر ايضا * وقيل ان شاه رخ ابطل
التورة والقواعد الجنكيزخانيه * وامران تجري سياستهم على جداول
الشريعة الاسلاميه * وما اظن لذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار
كالملة الصريحه * والاعتقادات الصحيحه * ولو اتفق انه يجمع
مرازبه ومرابذه في دسكره * ويغلق ابوابها ويطلع عليهم من منظره *
ويفتح عليهم شيأً من هذا الباب * لجاصوا حيصة الحمر الى الابواب *

* فصـــل *

وكان فريد الطور بعيد الغور * لا يدرك لبحر تفكيره قعر * ولا يسلك في طور تدبيره سهل ولا وعر * قد اقعد في ممالكه نواميسه * واقام في سائر الممالك جواسيسه * وهم ما بين امير كالطلاميش اجل اعوانه * وفقيه نقير كمسعود الكحجاني عين اصحاب ديوانه * وكان ذلك في القاهرة المعزية * ومنذ ابك مشق اجل الصوفية بالشمصانية * وما بين محتسب وتاجر * ومصارع شرير وبهلوان فاجر * ومكل وصنائعي * ومنجم وطبائعي * وقلندري قوال * وحيدري جوال * وبحري سباح * وبري سياح * وسقاء ظريف * وحذاء لطيف * وسعلاة دلاله * وشيخة محتالة كل لة المحتاله * ومن مرت به التجارب * وضرب اكباد الابل مشارق ومغارب وبلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال منزلة الكمال * والف بلطيف ختله وداد بين الماء والنار والهدى والضلال * وجاوز في الحيل والكيد * ساسان وابا زيد * والزم في حكمته وجدله ابن سينا * واسكت في منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا * فجمع بين المتنافيين * والف بين المتعادين

الحالة حاضرا * وكان كثيرا ما يطرح عليهم من اغاليط المسائل *
ويحكي صور مباحثات جرت لهم ورسائل * فيتصورون ان له في ذلك
العلم قدمة * اوكان منه للعلماء خدمة * ولذلك تصور بعض الناس *
ان ذلك الوسواس الخناس * وكان مقيما بالسلاريه * وبعض
بالغ حتى قال انه رآه في فقراء الشميصاتيه

* فصل *

ومما يحكى عن فراسته انه لما نزل عن سيواس * وقد حصنها منه اولو
النجدة والباس * قال لعسكره اعملوا الحيلة * انا فاتحوا مدينة في ثماني
عشرة ليلة * فكان كذلك فلا شك ان ذلك الاعرج * كان ملهما
او مستدرج * وكان ذا مغالطات * وحركات لها مغاورات * اذا
دهمه امر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه * وربما يظهر الرغبة
عن شيء وهو مريد حصوله ومشتهيه * وقد مر نظائر هذا كله * فمن
مغالطاته انه اذا كان له في مكان روم * او اراد ان ينزل بساحة
قوم * قصد الاخفاء والتعميه * وطلب الايهام والتوريه * وبعض
عسكره لا يخلو من تمساح متجسس * او سرطان متحسس * ولو لم يكن

لأحد في عسكره عين * فان بزوغ العين لا يخفى على ذي عين *
فانه يجمع اركان دولته * واعيان مملكته * وذوي آرائه ومشورته *
بحيث انه لا يتخلف منهم احد * ولا يجزي مولود عن والده ولا والد
عن ولده * ثم يظهر لهم خفية امره * ويطلب منهم المشورة في جهة
مسيره * ويطلق لهم عنان الكلام * ويقول لا تثريب على من خاض
في ذلك من خاص الانام * ناظرين في اعقاب الامور ما بين يوم وعام *
فليتكلم كل ولا حرج * فسواء هوى الى حضيض الخطأ او الى اوج الصواب
عرج * فان اخطأ فلا نقصان * وان اصاب فله اجران * فيبذل
كل جهده * ويعاني في ذلك وكده وكده * ويبدي في ذلك ما ادى
اليه اجتهاده * ويتصور ان ذلك يوافقه مراده * فتتفق الآراء *
على ناحية من الانحاء * ثم يفض ذلك المجلس * ويجتمع باخصائه
ويجلس * كسليمان شاه وقماري وسيف الدين * والله داد وشاه
ملك وشيخ نور الدين * ويمحضون القضية محضا غير ذلك * ويبحثون
فيها بحثا دقيق المسالك * فيقع آخر الامر الاتفاق * على التوجه
الى بعض الآفاق * ثم يدعو رائدهم * وسابقهم في ذلك وقائدهم

ويأمرهم بالتوجه اليه * فيتصلون على ما عوّل في ذلك عليه

وحين يقوّض الظلام خيامه * وينشر رائد الصبح اعلامه * يضربون

الكوس للرحيل * ويأخذ الناس في التحميل * ويتوجه الناس الى الجهة

التي امرهم بالمسير اليها * ووقع الاتفاق عليها * دعا حاشيته بعد

ما حملوا واخذوا في المسرى * وامرهم ان يمتازوا ويرحلوا الى جهة

أخرى * لم يكن ابداها لاحد من الجماعه * الا في تلك الساعه *

ولولا الضرورة لما افشاها * ولا اعاد سريرتها لاحد ولا ابداها *

فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا * ويأخذ العساكر شرقا ويأخذ غربا *

فتضطرب تلك الاطواد وتختبط * وتنفرط عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط *

وتنحل قوائم سواشيها عن المسير وترتبط * ويموج بعض الناس في بعض *

وينعكسون سماء في ارض وطولا في عرض * ويتوله كل احد ويتدله *

ولا يدري الى اين يتوجه * فان كان في عسكره ربيئه * او من يراقب

ذهابه ومجيئه * فبمجرد ما رأى تحميلهم * وشاهد تحويلهم ورحيلهم *

طار الى مخدومه * واظهر له ما في معلومه * من توجه العساكر

الى الجهة التي اتفقوا عليها * وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا اليها *

فتخاذل وخذله اهل ذلك الجانب * وتطايرت سائر الجوانب من النوائب *
فلم يشعروا الا وقد دمر على الجانب الذي قصده وحطه * وانزل به من انواع
العذاب الموقد في السعير والحطمة * وكم كان له من دهاء * ومكر خفي
وذكاء * ومن جملة ذلك انه لما كان بالشام * وقد قابلته عساكر
الاسلام * اشاع ان سوارا ساورته فتخلخل * وتأخر قليلا الى وراء
وتخلخل * واذاع انه اعوز خيله ورجله الزاد * وانه صائب صوب
بغداد * ثم اسفرت القضية * عن ان انهزمت العساكر المصرية *
وكان قصده بذلك تثبيت جاشهم * واستقرار روسائهم واوباشهم *
وان يكون كل منهم على مازم * فيربض في مكانه ولا ينهزم * فتحيط
بالكل كيده * ويصير الجموع صيده * ومما يحكى من شدة عزمه *
وثباته على ما يقصده وحزمه * وحلول نقمته ممن يعارضه * ويعاكسه
فيما يرسم ويناقضه * انه لما توجه بالجنود * الى بلاد الهنود * بلغ الى قلعة
شاهقة * اقرا طالع راري باذان مراميها عالقة * ورجوم النجوم
الخارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقة * كأن بهرام
في مهواة احد سواطيرها * وكيوان في مهواة خادم تواطيرها *

والشمس في استوائها غرة جبينها * وقطرات السحاب في الانسكاب
تترشح من قعر معينها * وشقة الشفق الحمراء على آذان مراميها
وانوف ابل انها سرادق * وكربات نجوم القبة الخضراء لعيون
مكاحلها وافواه مدافعها طاقات زبنادق * فيها من الهنود طائفة
ثابتة الجنان غير خائفة * جهزت اهلها وما تخاف عليه الى الاماكن
المعجزة * وتثبتت هي في تلك القلعة حافظة لها متحرزة * مع انها شرذمة
قليلة * وطائفة ذليلة * لا خير عندهم ولا مير * ولا فائدة سوى
الضرر والضير * ولا للقتال عليها سبيل * ولا حواليها لاحد مبيت
ولا مقيل * بل هي مطلة على المقاتلة * مستمسكة من المقاتلة * فابى ان
يجاوزها * دون ان ينا جزها بالحصار وينا جزها * واللبيب العاقل *
ما يترك لخصمه وراءه معاقل * فجعلت المقاتلة تنا وشها من بعيد * ونصب
كل من اهلها عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد * فكان كل يوم
يقتل من عسكره ما لا يحصى * والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا *
وهو يابى الرحيل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ففي بعض ايام
المحاصرة مطروا * وبواسطة المطر انحصروا * وصار يحثهم على القتال *

ولا زال يهمهم ويغمغم * ويهذرم ويبرطم * وهم مطرقون لا يحيرون
جوابا * ولا يملكون منه خطابا * ثم ازداد حنقا * وكاد أن يموت
خنقا * فاخترط السيف بيده اليسرى * وهم به على قوم أولئك الأسرى *
وهم أن يجعل رقابهم قرابه * ويسقي من دمائهم فرنده وذبابه * وهم
على تلك الحال * في الخزي والإذلال * باذلوا نفوسهم * ناكسوا
رؤسهم * ثم تراجع وتماسك * وملك نفسه قليلا وتمالك * فأغمد عن
تشريقهم حسامه * ولم يلق لإمرة قبلة ولا دبرة فخلف غربه وشامه *
ثم نزل عن مركبه * واشتغل في الشطرنج الكبير ليلعب به * وكان عنده
شخص يدعى محمد قاوجين * وهو لديه ذو مكان مكين ومقام أمين *
مقدم على كل الوزراء * ومبجل دون سائر الأمراء * مسموع القول *
مقبول الرأي * ميمون النقيبة * محبوب الشكل * فتشفعوا إليه *
وعولوا في حل هذا الإشكال عليه * وقالوا ساعدنا ولو بلفظه *
وراقبنا ولو بلحظه * واعمل معنا * بهذا المعنى *

* شعر *

* ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال *

* وبما قيل *

وأهون ما يعطي الصب بقّ صديقه * من الهيّن الميسور أن يتكلما *

وبما قيل

* وإن امرأً قد ضنّ عني بمنطق * يسدّ به من خلّتي لضنين *

فأجابهم والتزم * أن يرده عما تأزم به وازم * وراقب مجال
المقال * وراعى فرص المجال * وأخذت أفكار تيمور * تفور في أمور القلعة
وتغور * وجعل يستضوي أضواءهم * ويستوري آراءهم * ولا يسع
كلا منهم إلا القبول * لما يستصوبه رأيه ويقول * ففي بعض الأحايين *
اتفق أن قال محمد قاوجين * وقد زلّ به القضاء * وأحاطت به نوازل
البلاء * أطال الله بقاء مولانا الأمير * وفتح بمفاتيح آرائه ورأياته
حصن كل أمر عسير * هب أنا فتحنا هذه القلعة * بعد أن أصيب منا جانب
من أهل النجدة والمنعة * هل يفي هذا بذا * ويوازن هذا النفع
بهذا الأذى * فما احتفل بخطابه * ولا اشتغل بجوابه * بل استدعى
شخصا من المرقد أريه * فظا قبيح المنظر ذا حالة زريه * يدعى
مرا ملك * ذا عرق سهك * ووجه بالسواد سبك * أوسخ من في المطبخ *

وانسلخ من في المسلخ * لعاب الكلب طهور عند عرقه * وعصارة القير

حليب بالنسبة الى مرقه * فجين ما حضر لديه * ووقع نظره عليه *

امر بثياب محمد قاوجين فنزعت * وبالخلقان هو امالك فخلعت * ثم

البس كلا ثياب صاحبه * وشد وسطه بحياصته * وعادوا وبين محمد

ومباشريه * وضابطي ناطقه وصامته وكاتبيه * ثم نظر ما له من ناطق

وصامت * وذائب وجامد * وملك وعقار * واهل ودار *

وحشم وخدم * من عرب وعجم * واوقاف واقطاع * وبساتين

وضياع * ومماليك واتباع * وخيل وجمال * واحمال واثقال *

حتى زوجاته وسراريه * وعبيده وجواريه * فانعم بذلك على الوسخ *

وامسى نهار وجود محمد قاوجين وهو من ليل تلك النعمة منسلخ * ثم قال

تيمور اقسم بالله وآياته * وكلماته وصفاته * وارضه وسمواته *

وكل نبي ومعجزاته * وولي وكراماته * وبراس نفسه وذاته * لئن

آكل محمد قاوجين احدا او شاربه او ماشاه * او صادقه او صافاه *

او اوى اليه او آراه * او راجعني في امره * او شفع عندي فيه او اشتغل

بعذره * لاجعلنه مثله * ولا صيرنه مثله * ثم طرده واخرجه *

وقد سلبه نعمته واحرجه * فصار مسلوب النعم * قد حلت به نوائب النقم * وشبهوه بالحلق * ورأى نعمته على اقل الخلق * واتصل غيره بالحلق وقطع منه الحلق * ففلقت حبة قلبه اي فلق * واستمر على ذلك في عيش مر وعمر حالك * وحاشا ان تشبه قصته قصة كعب بن مالك * فكان يستحلي مرارة الموت * ويستبطئ اشارة الفوت * وكل لحظة من مدة الحيف * اشد عليه من الف ضربة بالسيف *

فلما مات تيمور احياه * ورد عليه خليل سلطان

ما سلبه جده اياه *

* فصل *

وكان من ابهته وعظمته * وشدة شكيمته وعتوه وحرمته * ان ملوك الاطراف * وسلاطين الاكناف * مع استقلالهم بالخطبة * واستبدادهم بالسكة * وانفرادهم بالزعامة والرياسة * وقيامهم بامور الايالة والسياسة * كالشيخ ابراهيم ملك ممالك شروان * وخواجا علي ابن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان * واسفنديار الرومي وابن قرمان * ويعقوب بن علي شاه حاكم كرمان * وحاكم منشا وطهرتن امير ارزنجان *

وسلاطين فارس وأذربيجان * وملوك الدشت والخطا وتركستان * ومرازبة بلخشان * ومراجيح مازندران * وفي الجملة فالمطيعون من ملوك إيران وتوران * كانوا اذا قدموا عليه * وتقدموا بالهدايا والتقادم اليه * يجلسون على اعتاب العبودية والخدمه * نحوا من ميل البصر من سرادقاته قائمين بشرائط الادب والحرمه * فاذا اراد منهم واحدا * ارسل اليه من الفراشين او نحوهم قاصدا * فيهيب ذلك القاصد وهو يعدو كالبريد * وينادي ذلك الواحد باسمه يا فلان من مكان بعيد * فينهض في الحال من مجثاه * مجيبا بلبيك لبيك دعواه * ويعدو ونحوه متعثرا في اذياله * متلقيا ما برزت به مراسيمه بقبوله واقباله * مطرقا راس التذلل والخضوع * متحليا بآذان الخنوع والخشوع * مفتخرا على اضرابه * لكونه اهله ودعاه واعتنى به * وقيل كان اناس من جماعته يلعبون بالنرد * فافترقوا فرقتين واختلفوا في نقش الكعبتين * فقال احد اللاعبين وراس الامير تيمور كذا وكذا نقش الكعبتين * فرفع يده خصمه ولطمه * وسبه ولعنه وشتمه * كأنه ذبح يحيى او زكريا نشر * او كفر بجميل

ارقلم موسى على ابى البشر * وقال يا ابن الفاعلة * والغاسل ابن الغاسلة *
بلغ من انتهاكك الحرم * ان تذكر الامير تيمور بفم * وانى لك
ان تجعل خدك موطئ مداسه * فضلا ان تحلف براسه * انه لاجل
ان يتفوه مثلي ومثلك باسمه * او يتلفظ بشيء من حدود رسمه *
وانه لاعظم من كيخسرو وكيكاوس وكيقباد * الذين ملكوا المشارق
والمغارب وافخم من بخت نصر وشداد * وقيل انه قصد في بعض
الاوقات الاصطياد * وارسل يمنة ويسرة على العادة طوائف الجيش
والاجناد * ورسم ان تخرج مشاة تلك الرقاع * ورجالة هاتيك القرى
والبقاع * فيمشوا في الوهد واليفاع * وحين تلتئم على الوحوش حلقة
الكيد * ويصح ان يتنازع فعلا رمى واصمى كلا من عمرو وزيد *
لا يشيروا احد بضربة ولا طعنة ولا رمية الى صيد * بل انهم يردون
اوابد تلك البيداء الى بهرة ذلك البيد * فامتثل كل ما به امر *
وحين صار كالبنيان المرصوص صف تلك الاحزاب والزمر * واحاطت
هالات تلك الكواسر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر * ماجت بحار
الوحوش في ذلك البر * ولم تجد لها من دون تلك السيول الهامرة

مِن مَخْرَجٍ ولا معبرٍ * فدارت ومارت * وخارت وحارت * وثارت وبارت * واستجارت بعد ما جارت * واستكانت بعد ما زأرت * وانطوت ارضها التي طال ما عليها انتشرت * وطرزت خلع اعلامها باعلام واذا الوحوش حشرت * فبينما هي على تلك الحال * في اشد ما يكون من الاهوال * امر بان تضرب الطبول من كل الجهات * وينفخ في موزي المزامير والبوقات * ودق الكوس وزعق النفير * وامتلأت الدنيا من الشهيق والزفير * ورجت الارض رجا * ومارت الاقطار مرجا ومرجا * وحين سمعت السباع صوت الطبول * ورأت الوحوش شدة الامر المهول * سقطت قواها * وتقطعت كلاها * وجثت وما ابعدت ثم تقاربت وتلاصقت * وتقارنت وتضامت * وتصورت ان القيامة قد قامت * فاخذ بعضها بعنق بعض ونامت * فعانق النمر منها اللبوة * وضاجع الاسد فيها الظبية * واختفى السرحان بين الغزلان * واستجار الثعلب * ببنات الارنب * ولاذ بالاروى النعام والارنب بالعقاب * وعاذ الضب بالنون واليربوع بالغراب * فعند ذلك امر الاطفال من اولاده * واولاد الامراء واحفاده *

ان يرموا ويصموا ويغنوا * مهما ارادوا ولا يطنوا * وجعل ينظر اليهم *
ويتفرج عليهم * ويزهزه لافعالهم * ويقهقه على احوالهم * ويجرأهم
على الاقدام والنضال * ويشجعهم بذلك على صيد الابطال * وجعلت
حواشي الجيش تنجز على ما اضمروا * وتجهز على ما انووا * وصار ذلك
المفسل * يترنم وينشد *

* شعر *

* صيد الملوك ارانب وثعالب * فاذا ركبت فصيدي الابطال *

* فصـــــل *

وكان يحمل اليه البلخش من بلخشان * والفيروزج من نيسابور
وكازرون ومعادن خراسان * والياقوت من الهند * والماس منها
ومن السند * واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا * والبشم والمسك
وغيره من الخطا * ومن سائر الاقطار * خالص الفضة ومصفى النضار *

* فصـــــل *

وانشأ في سمرقند بساتين عديدة * وقصورا شوامخ مشيدة * كل له
ترتيب غريب * ووضع انيق عجيب * احكم اساسها * وطعم بالفخر

الفواكه غراسها * سمى احدها بستان ارم والآخر زينة الدنيا *
والآخر جنة الفردوس والآخر بستان الشمال والآخر الجنة العليا *
ثم انه هدم مصرا * وبنى في كل بستان منها قصرا * وصور في بعض هذه
القصور مجالسه * واشكال صورته تارة ضاحكة واخرى عابسه *
وهيآت مواقعاته * وصور محاضراته * ومجالس صحبته مع الملوك
والامراء * والسادات والعلماء والكبراء * ومثول السلاطين بين
يديه * ووفودها بالخدمات من سائر الاقطار اليه * وحلق مصائده *
وكمائن مكائده * ووقائع الهند والدشت والعجم * وصورة انتصاره وكيف
انكسر عدوه وانهزم * وصورة اولاده واحفاده * وامرائه واجناده *
ومجالس عشرته * وكاسات خمرته * وسقاة كاسه * ومطربي ايناسه *
وتغزلات مقاماته * ومقامات تغزلاته * وحظايا حضرته * وخواتين
عصمته * الى غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك *
مدة عمره المتقارب المتدارك * كل ذلك كما وقع ووجد * ولم ينقص
من ذلك شيأ ولم يزد * وقصد بذلك الافادة * لمن كان في عالم الغيبه
عن احواله بالشهادة * فكان اذا توجه الى مكان * وحلت سمرقند

من الظلمة واعوان الشيطان * تخلو تلك البساتين * ويتوجه اليها اهل

المدينة الاغنياء والمساكين * فلا يوجد اعجب متنزها منها ولا احسن *

ولا اوفق مرتفقا ولا آمن * واما ثمارها الطيبة فانها مسبلة * بحيث

انه لا يباع منها قنطار بخردله * وانشأ في ضواحي سمرقند واطرافها

قصبات * سماهن باسماء كبار البلدان والامهات * كمصر

ودمشق وبغداد * وسلطانية وشيرازعزائن البلاد * وانشأ بستانا

في ضواحي سمرقند على طريق الكش وبنى به قصرا سماه تخت قراجا

يحكى ان بعض مشيدي عمارته ضاع له فرس واستمرت ترعى في البستان

ستة اشهر حتى وجدوها *

* فصل *

نساؤه الملكة الكبرى * وهي اقدم واكمل * والملكة الصغرى *

وهي احسن واجمل * وهما من بنات ملوك الخطا * وتومان بنت

الامير موسى امير نخشب المار ذكره في اول الكتاب * وجلبان

كانت كالبدر عند الكمال * وكالشمس قبل الزوال * قتلها في حيوته

لشيء بلغه عنها * وكان غير واقع وانما فعل ذلك معها * لانه قيل

إِنْ صِدْقًا وإِنْ كَذِبًا * وأَظُنُّها كانَتْ من الحَظَايا * وأَمَّا السَّرارِي

والحَظَايا * فأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَيْنَ * فالمَلِكَتانِ المَذْكُورَتانِ سُمُّهُما

شادملك خُوَنْدًا منهما على خَلِيلِها وتُومان آرْسَلَها خليل سلطان الى

شيخ نُورِ الدين بسغناق كما مَرَّ وبَعْدَهُ جاءَتْ الى سمرقند وسَمِعْتُ انَّها

عَزَمَتْ في يَوْمِنا هذا أَعْني سنة أَرْبَعين وثَمانِمائةٍ

على الحَجِّ والله تعالى اعلم *

* فصـــــل *

أَوْلادُهُ لِصُلْبِهِ المُتَخَلِّفُونَ من بَعْدِهِ أَميرانشاه قَتَلَهُ قرا يوسف كما ذُكِرَ وشاه رُخ

وهُوَ المُتَمَلِّكُ في يَوْمِنا هذا وبِنْتٌ تُدْعَى سُلْطانْ بَخْت زَوْجُ سليمان

شاه كانَتْ مُتَرَجِّلَةً لا تُحِبُّ الرِّجالَ وذلك لِما أَفْسَدَها النِّساءُ البَغْلُ اديات

قَبْلُ من سمرقند ولها تواريخ سوءٍ * أَحْفادُهُ غالِبُهُم انْقَرَضَ إِلَّا أَوْلادَ

شاه رُخ وأَمْثَلُهُم الوغ بيك حاكِمُ سمرقند وابراهيم سلطان حاكِمُ

شيراز وباي سنقر حاكِمُ كِرْمان ماتا كِلاهُما في سَنَةِ ثَمانٍ وثَلاثِينَ

وثَمانِمائةٍ وجوكي وهُوَ الَّذي مَشَى على اسكندر بن قرا يوسف

وشَتَّتَ شَمْلَهُ بعد موتِ قرا يلوك وذلك في شهور سَنَةِ تِسْعٍ وثَلاثِينَ

وثمانمائة ثم مات في اواخرها *

* فصل *

امراؤه ووزراؤه لا يحصون واشهرهم من ذكر في هذا الكتاب *
ودواوينه الخواجا محمود بن الشهاب الهروي ومسعود السمناني
ومحمد الساغرجي وتاج الدين السلماني وعلاء الدولة واحمد الطوسي
وغيرهم * منشي ديوانه وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس
الدين قاضي زمانه وفاضل ابانه فارسيا وعربيا يصرف اخبار الانشاء كيف
شاء كان قلمه في فتح اقاليمه * انفذ من سنان مخذومه * ولما مات تيمور
احتجب * وطوى بساط الادب * فقيل له فككت البشرة الا تباشر * وصفت
العشرة فهلا تعاشر * فقال ذهب الذي كان يعرف قيمتي * فانا لا اذهب
في خدمة الاحداث حرمتي * امامه عبد الجبار بن النعمان المعتزلي *
صدور مملكته مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك وابن عمه
الخواجا عبد الاول وغيرهم * قارئ قصصه وتواريخه مولانا عبيد *
اطباؤه فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام وغيرهما وكان
دائما يستعمل معاجين الاحجار * وفي سنة ذلك يجتني باكورة

الابكار * منجموه لا تحضرني اسماؤهم *

* فصـــل *

حصل في ايام استيلائه بسمرقند من الفقهاء مولانا عبد الملك وهو من اولاد صاحب الهداية كان يلقي الدرس ويعلم الشطرنج والنرد وينظم الشعر في حالة واحدة ونعمان الدين الخوارزمي ابو عبد الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثاني وكان اعمى والخواجا عبد الاول ابن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة في ماوراء النهر بعد ابن عمه ومولانا عصام الدين بن عبد الملك انتهت اليه الرياسة في يومنا هذا بعد ابن عمه عبد الاول * ومن المحققين مولانا سعد الدين التفتازاني توفي في محرم الحرام سنة احدى وتسعين وسبع مائة بسمرقند والسيد الشريف محمد الجرجاني توفي بشيراز * ومن المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن الجزري كان اخذه من الروم وكان قد هرب اليها من مصر بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة توفي بشيراز والخواجا الكبير المفسر الحافظ المحدث محمد الزاهد البخاري فسر القرآن الكريم في مائة مجلد توفي بمدينة النبي صلى

الله عليه وسلم سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة * ومن القراء مولانا

فخر الدين ومن حفاظ القرآن المجودين قراءة وصوتا عبد اللطيف

الدامغاني ومولانا اسد الشريف الحافظ الحسيني ومحمود المحرق

الخوارزمي وجمال الدين احمد الخوارزمي وعبد القادر المراغي

الاستاذ في علم الادوار * ومن الوعاظ والمتكلمين مولانا احمد بن شمس

الائمة السرائي كان يقال له ملك الكلام عربيا وفارسيا وتركيا وكان

اعجوبة الزمان ومولانا احمد الترمذي ومولانا منصور القاغاني *

ومن الكتاب المجودين السيد الخطاط ابن بنت كبير وعبد القادر

المذكور وتاج الدين السلماني وغيرهم * ومن المنجمين اناس برعوا

لا اعرف من اسمائهم غير مولانا احمد الطبيب النحاس المستخرج

قال لي استخرجت من رابعة الطالع الى مائتي سنة وكان هذا الكلام

في سنة ثمان وثمانمائة * ومن الصواغين الحاج علي الشيرازي والحاج

محمد الحافظ الشيرازي وغيرهما * ومن الحكاكين طائفة جمة وامثلهم

التون وكان آية في فنه ينقش الفصوص ويحفر اليشم والعقيق بخط

احسن من ياقوت * ومن الشطرنجيين محمد بن عقيل الخيمي وزين

اليزدي وغيرهما وعلامة ذلك علاء الدين التبريزي الفقيه المحدث

كان يحط لزين اليزدي بيذقا ويغلبه ولابن عقيل فرسا ويركبه

ولقد داخ تيمورا لا قاليم شرقا وغربا * وقمر في دست مصافاته كل

سلطان وكل شاة مات عنده جدا ولعبا * وكان يقول له انت

في ملك الشطرنج فريد * كما اني في سياسة الملك وحيد * وكل مني

ومن مولانا علي شيخ في فنه ذو كرامات لم يوجد له نديد *

وله في لعب الشطرنج وعلم مناصبه شرح * وما كان احد

يقول انه ينتج ولا ذكره في لعبه معه من غير طرح *

وكان فقيها شافعيا * محدثا اريحيا * حسن البهجة * صادق اللهجة *

حكى لي انه رأى امير المؤمنين عليا كرم الله وجهه في المنام * وانه

ناوله الشطرنج في كيس فلم يغلبه احد بعد ذلك من الانام * ومن

اوصافه في لعبه انه كان لا يتفكر * وبمجرد ما يلعب خصمه بعد التفكر

والتامل الطويل ينقل من غير ان يتدبر * وكان يلعب على الغائب مع

خصمين * ويغلبهما مع الطرح لمن هو في جهته على الجهتين * وكان يلعب هو

والامير * بالشطرنج الكبير * ورأيت عنده شطرنجا مدورا وشطرنجا طويلا

والشطرنج الكبير فيه من الزوائد ما مر ذكره * وطريقة تعلمه بالفعل

اقوى * وليس في شرحه بالقول كثيرا جدوى * ومن المطربين

عبد القادر المراغي المذكور وولده صفي الدين وختنه نسرين وقطب

الموصلي واردشير الجنكي وغيرهم * ومن النقاشين كثيروا علاهم

عبد الحي البغدادي وكان ماهرا في فنه * ومن التجرية شهاب الدين

احمد الزردكاشي * ومن نقاشي الزجاج والنحاس وغيرهم ما لا يحصى

وهؤلاء كل منهم كان علامة دهره واعجوبة عصره * ولو رصعت حلي

الالفاظ بجواهر اوصاف هؤلاء الاعيان * لملأت الاكوان من فرائد

الجمان وقلائد العقيان * وهؤلاء من حضرني ذكره ممن اعرفه واما من لا اعرفه

او اعرفه ولا يحضرني ذكره فاكثر من ان يحصى * واغزر من ان يستقصى *

وحاصل الامر ان تيمور كان جنى كل حي * وجبى الى سمرقند ثمرات

كل شيء * فكان بها من اهل كل فن عجيب * واسلوب من الصنائع غريب *

من هو على جبين الفضل شامه * وبرز على اقرانه

فصار في فنه علامه *

* فصل *

وكان في سمرقند انسان * يسمى بالشيخ العريان * فقير اذ همي * بشكل بهي وعزم سمي * قيل ان عمره على ما هو فيهم شائع * وبين اكابرهم واصاغرهم ذائع * ثلاث مائة وخمسون سنة * مع ان قامته مستوية وهيئته حسنة * كان المشائخ الهرمون * والاكابر المعمرون * يقولون لقد كنا ونحن اطفال * نرى هذا الرجل على هذا الحال * وكذلك نرويه عن آبائنا الاكرمين * ومشائخنا الاقدمين * ناقلين ذلك كذلك عن آبائهم * والمعمرين من كبرائهم * وكان اطلس وله قوة ناهضة وحدة * من رآه يتصور انه لم يبلغ اشده * لم يكن للكبر * بوجهه تجعيد ولا اثر * وكان الامراء والكبراء * والاعيان والصلحاء * والفضلاء والرؤساء * يترددون الى زاويته * ويتبركون بطلعته ويلتمسون بركة دعوته * وفي سمرقند مسجد يسمى مسجد الرباط * يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط * والروح والنشاط * وقيل ان احد فعلته كان وليا * يسمى الشيخ زكريا * هو معتقد تلك البلاد * ومزاره في مكان مشهور على طود من الاطواد * وقبره يستجاب عنده الدعا * وهو عن سمرقند نحو يوم في المدى * وهو بالكرامات

موصوف * وفي كرخ هذه المقامات معروف * وهو في ربوة ذات قرار *

فيها جنات تجري من تحتها الانهار * محفوف باليمن والانس * كانه

اقتطع من حظيرة القدس * يحكى انه لما كان * فاعلا في ذلك البنيان *

وقع في جبهته نقطة من الطين * فرأى ذلك احد المباشرين * واستمر

ذلك الطين على هذه الحال * نحوا من ثلاث ليال * فلما اراد واضع

المحراب * وقع الاختلاف في الخطأ والصواب * وكثر في ذلك الصخب

والاضطراب * فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب على هذه الفقرة *

ولا تعدلوا عنها يمنة ولا يسرة * فقال ذلك المباشر * لمن في ذلك المكان

حاضر * يا للعجيبة * والقضية الغريبة * رجل لم يغسل وجهه ثلثة

ايام * يرشد الناس الى معالم الاسلام * فقال ذلك العابد الزاهد * او رجل

هو من لم يتم ثلاثة ايام بوضوء واحد * ولكن تعال ايها الجاحد

قف مكانك * وثبت جنانك * ولا تكن ممن انكر وتولى * وانظر

الى عروس الكعبة كيف تجلى * فنظر ذلك الذي انكر * فاذا الكعبة

امامه تتبختر * ثم التفتوا الى الشيخ ففقدوه * وطلبوه ارضا وسماء

فلم يجدوه * وهذا المسجد فيه شيء عجيب * عدة اسطوانات من خشب *

من جملتها سارية شمخت ارتفاعا * نحوا من خمسة عشر ذراعا * وغلظ
جسمها وبدنها * فلا يقدر الرجل يحتضنها * وباقي السواري بها
قدر حطن * قيل انها شجرة قطن * ولها خاصية عجيبة * طريقة
غريبة * من كان به وجع الضرس * يضع عليه مقدار رحبة من خشب
ذلك البرس * فانه ينفعه * ويسكن في الحال وجعه * جربته فصح
ويسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأى فيها من العجائب *
وشاهده من علامات الطرف والغرائب * فان اخبر برؤية هذه السارية
الفائقة كانت رؤياه صادقة * واعتد له بصدق الكلام *
والا كانت رؤيته اضغاث احلام *

* فصـــــل *

سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان * ولا يجري على جنس المكيلات
فيها بالكيل حسبان * وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان *
ورطل سمرقند اربعون اوقيه * كل اوقية بالمثاقيل مائة * فيكون
رطلهم اربعة الآف مثقال * كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة
ولا اخلال * فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة ارطال * حكى لي مولانا

محمود الحافظ المحرق الخوارزمي ولقب بالمحرق لأن سهام ترجيعاته
كانت تصيب حبات حشاشات إذ ترمي * وتفوق رنات أوتارها
فتحرق آذان القلوب فتصمي طائرها ولا تنمي * فإن صدعت من القلوب
حجرا * تطاير من اقتداحها في الأرواح شررا * فيحرق برناته الأرواح *
ويشعل بنغماته الأشباح * قال استصحبني تيمور في بعض أسفاره *
فكنت ملازم خدمته في ليله ونهاره * فنزلت عساكره على حصن
لحصاره * بضرب خيمته على مكان عال * ليشرف منه على القتال * ويتفرج
في صنع الرجال * ففي بعض الزمان * حضرت عنده أنا ورجلان *
وكان قد حصل له حمى * أورثته كربا وغما * وكانت سماء النزال
ذات حبك واحتباك * ورماح القتال في التواء واشتباك * فأراد
أن يطالع أحوالهم * ويشاهد أفعالهم * وأفرطت شهوته إلى
العيمه * فقال احملوني إلى باب الخيمة * فدخل ذلك الرجلان تحت
إبطيه * وأوقفاه بباب الخيمة وأنا بين يديه * فجعل يشاهد
حربهم * ويتميز طعنهم وضربهم * ثم أراد أن يأمرهم بشيء * فقال لي
يا محمود الي * فأسرعت إلى يده * ودخلت تحت عضده * فأرسل أحد

الرجلين الى عسكره * يأمرهم بما عن له من عجره وبجره * فكأنه لم يمر
عليلا * ولم يروغليلا فقال لنا دعاني * وعلى الأرض ضعاني * فوضعناه
فسقط كأنه رمة باليه * اولحمة على بازيه * ثم ارسل ذلك الرجل
الآخر اليهم * وامرهم بما اقتضته آراؤه واكد عليهم * فبقيت انا وهو
وحدنا * لم يبق احد عندنا * فقال لي يا مولانا محمودا نظر الى ضعف
بنيتي * وقلة حيلتي * لا يد لي تقبض * ولا رجل تركض * ولو رماني
الناس هلكت * ولو تركوني وحالي ارتبكت * لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا * ولا اجلب خيرا ولا ادفع شرا * ثم تأمل كيف سخر الله تعالى
لي العباد * ويسر لي فتح مغلقات البلاد * وملأ برعبي الخافقين *
واطار هيبتي في المغربين والمشرقين * واذل لي الملوك والجبابره *
واهان بين يدي الاكاسرة والقياصرة * وهل هذه الافعال الا افعاله *
وهذه الاعمال الا اعماله * ومن هوانا غير سطيح ذي فاقه * لا باب لي
في الدخول الى هذه الافعال ولا طاقه * ثم بكى وابكاني * حتى ملأت
بالدموع اردانى * فانظر الى هذا الوزير * كيف سلك بهذا القول مسلك
القائلين بالجبر * وانشد وافيه بالفارسي بيتين وهما

* شعر *

* نيم تنى ملك جهانرا كرفت * چشم كشا قدرت يزدان ببين *

* پاى نى و تخت بزير قدم * دست نى و ملك بزير نكين *

ترجمته فقلت ذو بيت

* قد اظهر قدرة الخافي حكمه * من ملك شقّ الله ناجا في قسمه *

* لا كف له والملك في خاتمه * لا رجل له والتخت موطي قدمه *

* فصل *

واما عساكره وطرائق سلوكهم * فانهم على دين ملوكهم * كانوا استدرجوا من حيث لا يعلمون * ورزقوا من حيث لا يحتسبون * مسخرا لهم خفيات الدفائن * مفتوحا عليهم خبيات الخزائن * ميسرا لهم مكامن المطالب والمعادن * كل طرف منهم قد جال وبطا * وصار بطرق الروم اهدى من القطا * قد دبروا الامور * وجربوا احوال الدهور * وقاسوا معاصر العصور * وكابدوا المكائد * وعالجوا الشدائد * ومارسوا الاشيا * وذاقوا الناس والدنيا * وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه * وادركوا مداركه ومعارجه * لا يدهيهم داهية *

ولا يطغيهم طاغيه * ربما يمرون بقفراء * ويجيزون بمهمه صحراء *

* شعر *

* لا يفزع الارنب اهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر *

فيقف بعضهم ثم تراه * ينظر الى ارض ذلك المكان وثراه * ثم يقول ليس هذا الثرى * من هذا الثرى * ثم ينزل عن دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمه * ثم يلتفت الى جهاته الاربع فيقصد منها جانبا ويؤمه * ثم لا يزال يسير بمن معه من الاعوان * حتى يصلوا الى مكان فيحفرون ويخرجون كمين الدفائن * وما في ذلك من الغلات والخزائن * وكذلك اذا وصلوا الى عمائر * اومروا على مقابر * يتوجهون الى الخبء كأنهم وضعوه بايديهم * او وكلت شياطينهم بذلك اليهم * وربما يجيئون الى مقام * مر على ساكنه فيه ايام * ومضى عليه فيه شهور واعوام * وفيه شيء مطمور * لم يكن لصاحبه وساكنه به شعور * فبمجرد دخولهم اليه * يفتح ذلك عليهم ويطلعون عليه * وحين يطلع ساكنه على ذلك يأكل ندامة وحسرة يديه * وكان لهم درايات في ذهرهم عجيبه * وسهام آراء في عمرهم مصيبه *

وكانوا يحملون البقر ويركبونها * ويسرجون الحمر ويلجمونها *
ويسابقون على ذلك اصحاب الخيل العراب الى قصبات المغانم فيسبقونها *
ويطعمون الجمل * لحم الكلب والحمل * ويعتاضون عن شعير
الفرس * بالقمح والارز والدخن والزبيب والعدس * وربما اعوزهم
ذلك في السفر * فاطعموا دوابهم لحاء الشجر * حكى لي القاضي
برهان الدين ابراهيم القوشة الحنفي المذكور رحمه الله تعالى ان قازان
والتتار * لما قدموا مدينة الديار * خرج من له قوة الفرار فارا من الشرور *
كما فعلوا في قضية تيمور * ومن جملتهم تاجر بالصالحية * كان
في عيشة رخية * وله اموال وافرة وفية * فجمع ماله من صامت المال *
ووضعه في قدرة نحاس * ثم عمد الى بركة ماء فحفرها * ووضع تلك
القدرة تحتها وطمرها * ثم ردها الى مبانيها * واعاد مياهها الى مجاريها *
وحين استتب الوثوب * وقد هيأ الدواب للركوب * قالت له امرأته
قد نسينا قرطين * واخاف ان يحدث علينا في الطريق شين * فانظر لهما
مكانا * وحصل لنا بذلك امانا * فقال اما الآن * فلا مكان * ثم
اخذهما ووضعهما في سقف سقيفة * على خشبة لطيفة * ثم ركبا *

وتركا الديار وذهبا * فلما حل بدمشق التتار * نزل منهم فرقة
في تلك الدار * فجعلوا يأكلون ويشربون * وهم في خوضهم يلعبون *
فبينما هم بعض الايام في النشاط * قرض الفار احدى تلك الاقراط *
فتلك خرجت لؤلؤة وسقطت على البلاط * فتبادرت الجماعة اليها جارية *
كأنهم يتسابقون الى قرطي مارية * فسبقت الجماعة * ودخلت
البلاعة * فكشفوا عن وجه الارض ستر خدرها * فوجدوا الاموال كما هي
في قدرها * فأخذوها واللؤلؤة واخرجوها * وقصدوا باقي القرطين
واقتسموها * وجماعة تيمور ايضا كذا كانت * وكل معضلة من القضايا
اذا وصلت اليهم هانت * وكل منهم كان على دين ملكه وفي فتنة الى غاية
حرج * فان كنت محدثا عن احوالهم واخبارهم فحدث
عن البحر ولا حرج *

* فصل *

يحكى ان واحدا منهم من اهل الذكاء والكيد * اراد في فصل الشتاء
التنزه فقصد الصيد * فاخرج مركوبه وهو بقرة * فشد عليها سرجه
وهو خشبة مكسرة * غرزه قضيب من ذر * وحزامه حبل مبتر *

وتجمل بلباسه وهو جلد فروة منهوش * وبتاجه وهو طرطور من لبد
منفوش * وشد كنانته وهي جلود ممزقة * مثل دودة تحبل وعليها
خرق ملزقة * سيلفها قبل التوت * وحنيتها قبل استوت * ومعه
بازي قد نتف القرناص ريشه * وقلع على حقل بدنه زرع خوافيه
وحشيشه * ثم ركب جواده * وحمل بازيه وقصد اصطياده *
فرأى جماعة من البط * على ساحل غدير حط * فرفع يده بالبازي
ساعة * حتى عاين تلك الجماعة * ثم وضع يده بخفض * وأرسل البازي
على الأرض * فصار يحجل رويدا * قد أضمر للبط كيدا * إذ
لم يكن له قوة الطيران * ولا جناح عليه به يستعان * فوصل الى الطير
يسكون * وهي آمن ما يكون * لأنها لا تتوقع البلاء * إلا من جهة
السماء * فدخل بينها فما نفرت منه * ولا هربت عنه * فلم تشعر إلا وقد
وثب على واحدة وقلّدها * فأدركه صاحبه وأخذها * ولما رحلوا
عن دمشق * وقد مشقوا أوراق نعيمها من اغصان وجودها أي مشق *
وكان مع بعضهم بقرة نهبها * وحملها ما اخذه من الاموال التي سلبها *
واركبها اسيرة * وسار بها مدة يسيرة * فبعد سيرها يومين او ثلاثة

قلقت * ونادت بلسان حالها أنها ما لهذا خلقت * فلما لم تجد ملجأ فما شكت * توكلت على الله وبركت * فأنزلوا الراكبة عنها وصاحوا عليها فلم تقم فحلوا أحمالها وضربوها فلم تتحرك فأوجعوها ضربا * وأشبعوها العصا وسبا * وتلك المباركة باركة فأدموها وهم يضربونها * إلى أن كادوا يهلكونها * فمن شاحط يمقود فيها * ومن جاذب بمؤخرها * ومن متعلق بقرنها * ومن متشبث بأذنها * وهي جاثمة مشبهة فيل أبرهة * فعجزوا عنها * وأيسوا منها * فبينما هم على ذلك * وقد ضاقت عليهم المسالك * وإذا هم بشيخ كوسج * كأنه شجرة عوسج * قد سلك المشارق والمغارب * ومرت به أنواع التجارب * وقاسي برد الأمور وحرها * وذاق حلوها ومرها * وعرف خيرها وشرها * مر بهم وهم في كربهم * فلما رآهم أسارى * عاجزين حيارى * سكارى وما هم بسكارى * قال تنحوا عنها أي جنة * ثم دنا منها ودنا الراقي من ذي جنة * وأخذ كفا من تراب * أنعم من عيش الشباب * ثم قبض على قرنها * وصبه في أذنها * ثم هز رأسها في مناخها * حتى وصل التراب إلى صماخها * فوثبت قائمة * وهي من ذلك الرغام راغمة *

واما الجغتاي فلهم قلم يسمى اويغور * وهو بالقلم المغولي مشهور * وعدته اربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في مثل العدد ان حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذه الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء ومثل الزاي والعين والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم * وتواريخهم واشعارهم * وقصصهم واخبارهم * وسجلاتهم واسفارهم وجميع ما يتعلق بالامور الدنيويه * والتورة الجنكيزخانيه * والماهر في هذا الخط لا يبور بينهم * لانه مفتاح الرزق عندهم *

* فصل *

وكما كان فيهم من جبل على الفظاظه * والقسوة والغلاظه * ومن هو قليل الرحمة بل وعديم الاسلام * كفرة فجرة اوغاد انذال طغام اغنام * قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا * واستكبروا به في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا * استجرهم كفرهم وحبهم اياه * الى انه لوادعى النبوة او الالهية لصدقوه في دعواه * كل منهم يتقرب الى الله تعالى

بيره * ينذر له اذا وقع في شدة ويفي بنذره * واستمر على اعتقاده
الباطل وكفره * مدة حيوته وبعد موته ينقل النذر ويقرب القربان
الى قبره * وكان ترقى معه في المصاحبة * حتى وصل الى مقام المراقبة *
قيل انه كان في السفر * فراق واحد من العسكر * لان الكرى عطف
رقبته * او السرى امال شقته * او على حال لا يتوجه عليه فيها لوم
ولا عتب * فضلا ان يترتب عليه ضرب او سب * فقال تيمور ترى ما ثم
احد قاطع * يقطع رأس هذا الغافل الصائع * ولم يزد على هذا الكلام *
فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام * اسمه دولة تيمور * وهو
امير كبير مشهور * قد البسه الله ثوب النقمة * ولم يشمه شيئا من روائح
الرحمة * ففي الحال سل رأسه من بين كتفيه * وحمله الى تيمور ووضعه
بين يديه * فقال تيمور ويلك ما هذا الامر الافظع * فقال هذا الرأس
الذي اشرت ان يقطع * فاعجبته هذه العبارة * وابتهج بان امره
يمتثل بادنى اشارة * وكان فيهم الظرفاء والادباء * والاذكياء
والشعراء * ومن هم في الفضل اعلام وعلماء * وفيهم المحقق * والباحث
في العلوم والمدقق * ومن شارك في كل العلوم * وبحث فيها بحثا شافيا

من طريقي المنطوق والمفهوم * ويقرر مذهب الصوفية واحياء العلوم *
ومع هذا فبعضهم يمضي على مقتضى ما علمه * وكان من الذين آمنوا
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * وبعضهم كان مع رقة الحاشية *
واللطافة الفاشية * والعلم الوافي والظرف الشافي * والجمال الفائق *
والكمال الشائق والكلام الرائق * قلبه أقسى من الحجر * وفعله
انكى من ضرب الصارم الذكر * يقولون من قول خير البرية * ويمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية * واذا وقع مسلم في مخاليبهم *
او بلي غريب بتعذيبهم * صنف ذلك العالم المحقق * والحبر المدقق *
في استخراج المال انواع العذاب * واصناف العقاب * واستحضر
في فنون تعذيبه كتبا ومسائل * وسرد في علوم تعذيبه خطبا
ورسائل * فيصير ذلك المسكين يتكوى * ويستغيث ويتلوى *
ويستجير بالله وآياته * ويستشفع بكل ما في ارضه وسمواته *
من ملك ونبي * وصديق وولي * وذلك المليح يضحك ويتظارف *
ويتمايل ويتلاطف * وينشد لطائف الاشعار * ويتمثل بطرائف
النوادر والاخبار * وربما تحرق وبكى * وتاؤه لما يفعل بذلك

من التعب يمي وانتكى * وصار كبعض قضاة الإسلام * المستولي على مال
الأيتام * يخطب ويبكي * وفعله في قلوب المسلمين ينكي * ولما كانوا
في دمشق دخلوا الى بيت واحد من الأعيان بزقاق العجم *
واذا هو مملوء من النفائس والخيرات والنعم *

* شعر *

* قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الأيام *

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه * وبأنواع العذاب والعقاب
عذبوه * ثم احكموا رجليه شدا وعلقوه * واستخرجوا النفائس *
واستجلوا من حسانها العرائس * واحضروا لذيذات المطاعم والمشارب *
وقضوا من التفكه والتنعم ما لهم من مآرب * وجعلوا يأكلون ويشربون *
ويلهون ويطربون * واذا تحرك في واحد منهم الخبيث * او تمل
واخذه في سكرة العبث * عمد الى ذلك المسكين وهو في شدة النكاد *
فسقاه الماء والملح وسففه الكلس والرماد * وكان فيهم عالم متقشف *
عن تناول المسكرات متعفف *

* كما قيل *

* تجيب من شنبي ومن زبيدة * وتذكره النار وامواليها *
* يكره ان يشرب في فضة * ويسرق القضة ان تناليها *

وكانوا اذا راوا القدح المزعفر * احضروا له السكر المكرر * ووضعوه في صيني الخوانق * وصبوا عليه الماء الرائق * فيفكرون ثم بالاقداح القوادح * ويسكر ذلك التامق المحروم من الروائح * ثم يتوجه الى صاحب المنزل ويضحك عليه ويلقي اشد ما يكون من العذاب ويشتمه ويهزل * ثم يتمايل على صوت المثاني والمثالث * ويتناول من تلك المآكل والمشارب ويقول بشر مال البخيل بحادث او وارث * وكان في عسكره كثير من النساء * يلجن مغامع الهيجاء ووقائع الباساء * ويقاتلن الرجال * ويقاتلن اشد القتال * ويصنعن ابلغ ما يصنع الفحول من الرجال في النزال * من طعن بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال * واذا كانت احداهن حاملا واخذها وهم سائرون الطلق * تنحت عن الطريق واعتزلت الخلق * ونزلت عن دابتها ووضعت حملها ولفته وركبت دابتها واخذته ولحقت اهلها * وكان في عسكره ناس ولدوا في السفر * وبلغوا وتزوجوا وجاءهم اولاد ولم يسكنوا

المحضر * وكان في عسكره ناس صلحاء عباد * ورعون زهاد أجواد
أمجاد * لهم في الخيرات أوراد * وفي ورد ما اصدار وإيراد * دأبهم
خلاص مأسور * أو جبر مكسور * أو اطفاء حريق * أو إنقاذ غريق *
أو اصطناع معروف * أو إغاثة ملهوف * مهما امكنهم * ووصلت
اليه يدهم * إما بقوة وأيد * وإما بنوع خديعة وكيد * وإما
باستيهاب واستشفاع * أو تعويض وابتياع * وكانوا مأمورين منه
بالاضطرار * ومأذونين معه لهذه المعاني بالاختيار * حكى لي مولانا
جمال الدين * احمد الخوارزمي أحد القراء المشهورين المجودين *
وكان إمام مجد سلطان في حيوته * وإمام مدرسته بعد وفاته *
ثم خطيب بروسا وبها أدركته المنية * سنة احدى وثلاثين وثمانمائة *
رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في مدرسة محمد سلطان *
أعلم مماليكه وأولاد الأمراء القرآن * فأرسل اليه جده الظلوم *
وهو متوجه الى بلاد الروم * ان يتوجه اليه * ويقدم هو والأمير
سيف الدين عليه * فامتثل ما به أمر * وأخذ في إعداد أهبة السفر *
وقال لي هيئ مرافقتك * واقطع علائقك * وخذ أهبة سفرك * واحمل

فضلية رهطك ونفرك * ووافقنا في المرافقه * فإن من حسن المرافقه الموافقه * فاستفتيته من الله باب * وفتحت له في سبب خروجه السفر كل باب * فقلت له يا مولاي أنا رجل من أهل القرآن والفاقه * مالي بفتح باب السفر من طاقه * لأني ضعيف البنيان * رخو الأركان * لا جلد لي على الحركه * وإن كان في صحبة مولانا الأمير كل خير وبركه * خصوصاً على هذا السفر البعيد الشقه * الكثير المشقه * ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقه * لا جول لي في مناخ السفر ولا ناقه * وأما أنتم فالسفر عليكم حتم لازم * وحق ملازم * لا يسعكم فيه التخلف * ولا يفسح لكم فيه المطل والتسوف * فلم يعفني * وتعلل لي بعلل غالمني فيها ولم يشفني * فلم أر بداً من الاستعداد * وتحصيل الرفيق والزاد * ثم سرنا حتى وافينا جلنده * وقد ركب في الجادة جلاده ونجده * ورأينا من تلك العساكر * ما لا أول لها ولا آخر * إن انفرط أحد من سلكها جما عنه * وضل معتزلاً عن سنن سنته * لا يصل إليهم بالسرج والشمع * ولا يهتدي إلى سنة جماعته إلا أن كان يوم الجمع * فبينا أنا معهم أسير * وقد وهن مني العظم الكسير * وأثر في التعب *

والشرور * ثم سألاني عن تجارتي وجاري * وعن رفيقي في هذا السفر وجاري * فأخبرتهما عن مولدي ومحتدي * ومسقط رأسي من بلادي * وأني من أهل القرآن * وأني مع محمد سلطان * فقالا لي يا سيدنا الشيخ انما جئنا اليك لتحسن الينا * وانا سائلوك عن شيء فلا تجد فيه علينا * فقلت قولا وطولا * فلن تجد اني ملولا * فقالا يا مولانا * هذا شيء يعنينا وان كان قد عنانا * وكل من اشتغل بما لا يعنيه * فقد ترك ما يعنيه ووقع فيما يعنيه *

* شعر *

* ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه *

فبالله يا سيدنا قل * من أين تأكل * فقلت على خوان * محمد سلطان * فقالا مأكول هذا العسكر حلال * ام حرام ووبال * فقلت الغالب عليه الحرام * بل كله والله مظالم وآثام * لانه من التاراج والنهب * والغارات والغصب * والاختلاسات والسلب * فقالا والله يا امام * لقد اسأنا الادب اذ واجهناك بهذا الكلام * ولكن انتم اهل العلم * شيمتكم العفو عن الجاني والحلم * وانتم اولى بجبر الكسير وفك الاسير *

وتيسيرا لامر العسير * فقابل منا هذا الفحص بالصفح * ولا تعامل هذا
الالحاف باللفح * فقلت سلا * ولا تسليلا * فقالا نسألك بالله
الذي اصطفاك بحفظ كلامه * الذي تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم
حلاله وحرامه * لا تؤاخذنا بما تهجمنا عليك به * فان الشيخ المرشد
كالوالد الشفوق لا يؤاخذ ولده بغفلة ادبه * فقلت كلا ما شئتما *
وسلاما مهما اردتما * فقالا يا سيدنا اما كان لك مندوحة عن
مرافقة هؤلاء اللئام * والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام * فقلت
اني دخلت فيهم وانا مضطر * وخرجت معهم وانا كاره مجبر * واكرهني
بعد سلطان * وحاباني بما حباني من الاحسان * فصحبتهم وعيني
ذاتي من كحل الراحة مرها * وحملتني فرسي في سفري كرها ووضعتني
كرها * فقالا ارأيتك لو امتنعت عن الخروج اكانوا يريقون دمك *
ويأسرون اولادك ويسبون حرمك * فقلت لا والله * وحاشا لله *
فقالا اكانوا يحبسونك ويضربونك * وفي مقام المصادرة يجلسونك *
فقلت انا امنع جنابا * ان يسوموني خسفا وعذابا * لاني حافظ
القرآن * والقرآن حافظي من هذا الخسران * قالا نغاية فعلهم

معك * اذ ارأوا تعززك وتمنعك * انهم كانوا يشتمونك * ويعملون
الى معلومك فيقطعونك * ويسخطون عليك * ويمنعون برهم الواصل
اليك * قلت ولا كانوا ايضا يفعلون كذا * وتعززي وتمنعي اما حطمن
مكانتي عند هم الى هذا الآن * ولكنهم جاؤني فاستحييت * او خادعوني
فانخدعت وليتني ابيت * فقال لا يصلح هذا الا على راحته * ولا يسلكه
بك الى صحة الا اعتذار بين يدي الله تعالى سواء الحجة * فلا تجالس
في مكانك * واشتغل بتلاوة قرآنك * ومطالعة علمك ومباحثة
اخوانك * وفرغت بدنك عن الكلال * وملأت بطنك من الحلال *
واحتميت في حمى دينك عن هؤلاء اللئام * واسترحت من
الاضطرار الى تناول الحرام * مع انا سمعنا من امثالكم * ما قيل في ضربه
في امثالكم * اهل القرآن وقاصته * اهل الله وخاصته * وانهم
عتقاؤه بين خلقه * وبركاتهم ادر سحاب رزقه * وان السلاطين *
ملوك الناس اجمعين * وانكم انتم ملوك الملوك والسلاطين * واذا
اعتقكم الله واعفاكم الناس * وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب
والكبد والرأس * ولم يبق لاحد عليكم سلطة * ثم القيتم انتم انفسكم

بأيديكم الى هذه الورطة * وتهافتم على التهالك تهافت الفراش على النار *
وتشبثتم مع كونكم قادرين على الخلاص باذيال الضرر والاضطرار *
فكيف يصح هذا الاعتذار * وانى ينجيكم هذا العذر من عذاب الملك
الجبار * وهل صرتم الا

* كما قيل *

* معاشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد *
فقلت اما اذا حررتما القضية * فكلنا في هذه المصيبة سوية * مصراع *
بي مثل ما بك يا حمامة فاندبي

* وقيل *

* بي مثل ما بك يا حمام البان * انا بالفؤاد وانت بالاغصان *
فبكيا وانتحبا * وتأوها والتهبا * وتنفسا تنفس الصعداء *
وقالا اين ما بين قصتنا وقصتك في المدى * فورب الخافقين * ان بين
القصتين لبعد المشرقين * ولكن ما للمقال مجال * وما كل ما يعلم
يقال * واين السر من الاعلان * وان الحيطان لها آذان * فقلت
هذا ايضا ليس بحجة * فلا تعدلا عن سواء المحجة * فقالا نحن المضطرون

جبراً * المأخوذون قهراً وقسراً * وانا مكتوبون في الديوان * مضافون

الى واحد من اعيان الاعوان * اذا ورد علينا موسوم بالبروز *

في يوم عيد مثلاً او نوروز * ويكون الخروج وقت الظهر * وتأخرنا

واحد الى وقت العصر * لم يكن له جزاء فيما ارتكبه * الا الصلب اوضربه

الرقبه * فضلاً عن ضرب وشتم وشناعه * او رفع عذل او تقديم

شفاعه * واين انت عن قعود ما او تخلف * او استتار بذيل توار او توقف *

فنحن مدى الدهر لمثل هذا مستوفزون * ومن مثل ما جرى على اضرابنا

من هذا البلاء متحرزون * مصيخون ابداً لما اشاروا امر * عاملون

بمقتضى رحم الله من رأى العبرة في غيره فاعتبر * ويا ليتنا امكننا التحويل

عن مملكته * والرحيل عن اقليم ولايته وسلطنته * وكيف لنا بذلك

وهي مسقط راسنا * ومحل اناسنا ومحط ايناسنا * وايلاف رحلتنا *

ومزدرعات معيشتنا * ومدرج آبائنا ومخرج ابنائنا * ومقام قبائلنا

وعشائرنا * ومثابة قاطنينا وغابرينا * ولو غاب من هوام قبائلنا جل جل *

فضلاً عن بلبل او هدهد * لجحف الباقين سيل الظلم والحيف * ولتحكم

في رقاب سائرنا صائل الموت بالسيف * واما اذا برزنا وعزمنا *

على المسير معه وتجهزنا * فنسأل كم سنة نغيب * وأي جهة يريد ذلك
المريد المريب * فنأخذ أهبتنا لذلك المقدار * وكل منا ابن عم الآخر
نجار * وله جراب فيه سويقه * ومعه كلفة نفسه وفرسه وعليقه *
يصوم طول الدهر ويفطر على ما يسد الرمق * ويلبس ما يستر العورة
من رث الثياب والخلق * كل ذلك من زرع أيدينا وكدنا *
وما بذلنا فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا * لا نتعرض لمال
أحد ولا لعرضه * ولا نقف في طريق إبرامه ولا نقضه * ولا لأحد
عندنا نشب * ولا بيننا وبين أحد علاقة ولا سبب * ولكن يا مولانا
البلاء الطام * والمصاب العام * ثم رقصا رؤوسهما يمينا وشمالا *
وارتعدت فرائصهما هيبة وجلالا * وابيضت شفاههما * واسودت
جباههما * وأخذا في البكاء والعويل * وانتحبا الانتحاب العريض
الطويل * فوالله لقد ذابت نفسي لديهما * واستصغرت كبار
المشائخ بالنسبة إليهما * وتفكرت فيما دهاهما من شدة الأمر *
وعلمت أنهما هما القابضان بكفيهما على الجمر * ثم تأوهت آها بعد آه *
وقلت بالله يا إخوتاه * وما هذا البلاء الطام * والمصاب العام * المبني

في كرتيماه * قالا خيولنا ومواشينا * وجوامل مهادينا وغواشينا *
ترزق بها في التجميل * وما نركبها الا وقت الاعياء في الرحيل *
وامر قصبيها اقصم ظهورنا * واعجز امورنا * واضطرنا الى الخوض
في دماء المسلمين واموالهم * والجأنا الى رعي زرعهم وتحمل وبالهم *
وما ندري كيف المخلص * واني ننجو من ذا المقنص * فبالله يا سيدنا
الشيخ هل تجد لنا في هذا الامر الغالي رخصه * او هل من قطرة برود
تطفئ هذه الحرارة وتسكن شرق هذه الغصة * فقلت لا والله * الا عناية
الله * وايم الله لقد اشبعتماني شرا * وجرعتماني صبرا ومقرا *
واوسعتماني نكدا وضرا * وكان همومما بي * من نصبي وعنا ابي *
يكفيني * الى يوم تكفيني * فقد زدتماني بلاء على بلائي * وعناء على
عنائي * فبالله من انتما وما اسماؤكما * وفي اي قطر ارضكما وسماؤكما *
ومع من انتما فحييتما ما حييتما * فخبراني ولا تحيراني لاجيء
في كل وقت اليكما * واقوز بالسلام عليكما فقالا يا مولانا * الحمد لله
الذي برؤيتك حيانا * ان معرفتنا لا تجديك شيئا ولا تبركك * وعدم
المعرفة بنا لا يؤذيك ولا يضرك * والغالب على ظننا يا مولانا انك بعد اليوم

لن ترانا * وان قدر اجتماع فنحن نسعى على رؤوسنا اليك * وخليفتنا الله والسلام عليك * ثم ودعاني وما وقفا * واودعاني اليم الفراق وانصرفا * هذا من البحر قطرة * ومن الطود ذرة * ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يصون عن الزلل اقوالنا * وعن الخطل والخلل افعالنا واحوالنا * وحسبنا الله ونعم الوكيل *

* خاتمة الكتاب *

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذي ادب عبده احمد فاحسن تأديبه * وخصه اذ رباه يتيما وانشاه غريبا بكل يتيمة غريبه * واظهر له في بيان بديع المعاني منهج كل فن واسلوبه * فاعجب اهل زمانه اذ اعجزهم بما اتاهم به من كل اعجوبه * احمده حمدا تفتقت في رياض آلائه انوار فصاحته * واشكره شكرا تعبقت في رياض نعمائه ازهار بلاغته * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة طابق خبرها الواقع والاعتقاد * واسندت الى حقيقة الصدق فصارت حقيقية الاسناد * فتمنطق الايمان باقوالها * وتعلق الاسلام بافعالها * واشهد ان سيدنا

نحمدك اعبده و رسوله الذي انشأ اخبار بعثته على التوحيد * وقصر نصل رسالته على وصل الاخلاص بالتعبيد * صلى الله عليه صلوة باقية ببقاء اعجازه * موصولة بطنب الاطناب وصل فصيح الكلام بايجازه * وعلى آله واصحابه شموس سماء الفصاحة * وبدور افلاك البلاغة * وسلم تسليما كثيرا * اما بعد فيقول العبد المفتقر الى مولاه * المعترف بتقصيره وخطاياه * المغترف من بحار كرمه وعطاياه * الراجي في حدائق المغفرة ثمرة العفو مما جناه * احمد بن محمد بن عبد الله الحنفي مذهبا * العجمي لقبا * الانصاري نسبا * الدمشقي مولدا * المدني معتقدا * عامله الله بما كان اهله * وحفظ عليه دينه وعقله * لما كانت الدنيا دار انقلاب * ومحل تغير واضطراب * قد مت على الاخرى للاكتساب * اما لجزيل الثواب * واما لوبيل العقاب * وكان سيرها سريع الاجتثاث * واذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث * اردت ان يخلد لي ذكر * ويجول لي في خواطر الآخرين فكر * لعل رحمة تتبعني * او دعاء صالحا ينفعني * فنادا اني لسان الحال * ع لا خيل عندك تهديها ولا مال * واما

الا ولا دفليت صالحيهم كفانى شره * ووازن فى حيوتى نفعه وضره *
فلم يبق الا علم ينفع * او افادة ترفع * وقد صنف العلماء فى كل فن
من العلوم ما بلغوا فيه الغاية * وتدرجوا فى تقريره وتحريره من البداية
الى النهاية * وعينوا معانيه متونا وشروحا * وبينوا خفاياه خفاء
ووضوحا * مع ان دروس العلوم قد درست * وحدائق رياضها ذبلت
ويبست * وصار الكلام فيها عيا * والمستوى فى تحقيقها وتدقيقها نيا *
ولم يبق لطالب العلم به انتفاع * الا انه اذا احتاج الى القوت عرض
كتبه لتباع * غير ان بعض كبراء العصر * ورؤساء الدهر *
وبقايا الاكياس * متشوقون لتواريخ الناس * ومتطلعون لمعرفة
احوال من ساس * من ذنب وراس * ومستشرفون لسالف
الاخبار * كيف كان امر الناس وصار * ولم يكن فيما مضى *
من هذه الامة وانقضى * من متغلبيها وبغاتها * ومتمرديها وطغاتها *
مسلميها وكافريها * مقسطيها وجائريها * عاتيها ومواتيها * مصادقيها
ومعاديها * صالحيها وطالحيها * سانحيها وبارحيها * غابرها وداريجها *
عابرها وخارجها * مثل تيمور الاعرج * ولا اعبر منه فى العتو

ولا افخر * بسيرة كلها عبر * وكل عبرة منها فيها سير * اموره اظهر من ان تخفى * وما اضرمه من فتائل الفتن شرقا وغربا اعظم من ان يطفا * فقصدت ماذكرته * وذكرت ماقصدته * وتوخيت الافادة والاعتبار * لا التفاخر والاشتهار * فاعترضتني نوائب الخطوب * وكثرت دون مرامي انياب القطوب * وجبهتني يد الردع * وصدمتني قارعة المنع * بان اكبر الكبائر * في هذا الدهر الدائر * ادب اديب * او فضل اريب * او علم عالم لاسيما غريب * لقد كره الاديب والفقيه * كراهية التحريم لا التنزيه * وقد تقرر هذا في الاذهان ورسخ * ولهم الذنب اذ يد اهم اوكتا وفوهم نفخ * ثم ذكرتني شاني * وخاطبتني بلساني *

* شعر *

* اتصرف غض العمر في طلب العلى * فتظمي اكمادا وتسهر اعينا *

* تقاسي صروف الدهر فقرا وغربة * وبعدا عن الاوطان للقلب موهنا *

* وعيلة اطفال ضعاف كانهم * جوازل زغب انهكتها يد الضنا *

* ففي مثل تلك الحال ماكنت ضائعا * وكنت بنفس فقرها واسع الغنى *

النطق سنان الكلام عضبه وشحذت غربه * فجاءت بحمد الله تعالى

طريقة المعاني كاملتها * لطيفة المباني فاضلتها *

قلت في مرآة الادب *

* يا لفاظ الحاظ تشير الى النهى * تعلم فن السحر كيف يكون *

حوت دقة الجزل ودقته * ورياقة الغزل ورقته * ولطافة الادباء *

وظرافة الشعراء * وفصاحة البلغاء * وبلاغة الفصحاء * وحقائق

الحكماء * ودقائق العلماء * مع الامثال الفائقه * والاستشهادات

اللائقه * والاستطرادات الرائقه * والتشبيهات الغريبه * والاستعارات

العجيبه * ونوافث السحرة من علماء البيان * ونوادر المهرة

من ارباب الديوان * ومزجت جليل التحمس فيها برقيق التغزل *

ونسجت جليد الجد بمتق التهزل * وطرزت طلع ذلك كله باعلام

الآيات الشريفه * ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفه * اصبت

بكل ذلك محز الفصل * وطبقت بحسامه مفصل الضرب *

* قلت في مرآة الادب *

* كأن النهى قد كان عني ناعسا * فمر على اذنيه ما اتلفظ *

* ذاق اهل الشهد منه حلاوة * ففتح عينيه وجا يتلمظ *
فمن اراد التنزه فى التواريخ فعليه بمداومة تكرارها * ومن قصد
التفكه فى رياض الانشاء فليقتطف من بهى ازهارها * ومن سلك
طرائق الادب فليجن من حدائقها جنا ثمارها * ومن رام التسلق
الى ذروة العلوم فليتشبث باذيال اسنادها * ومن طلب الاعتبار
بتقلبات الزمان فليتأمل حقائق اخبارها * ومن اعتنى بسياسة
الملك فليتبرد بدقائق اسرارها * مع انى لم اوفها حقها فى التهذيب *
ولم تنل استحقاقها فى حسن الترتيب والتشذيب * لأن الكلام كالدر
المنتظم * والدر المنسجم * لا بد ان يتعانق لفظه ومعناه اولا وآخرا *
ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا * والا اختل نظمه * واعتل
فهمه * وانحطت منزلته * وسقطت من سلم الفصاحة درجته *
وهذا يحتاج الى بحر ذهن صاف * ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود
جواهره واف * وذوق احلى من العسل * وفكر امضى من الاسل *
ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاون صالح من التنبه * فان
غروب الالسنة ربما جاوزت الى ما يثبت على القائلين الحجة * ومن لى

بذلك * وانني يتيسر لي سلوك هذه المسالك * وكنت طالما افوق سهم النظر في بيداء التأمل نحو قنص معنى دقيق * واصوب غواص الفكر في دأماء التدبر الى جوهر قصد رقيق * حتى اذا قلت فاز القناص * وما زال الغواص * واذا بقاطع الشواغل قطع بترس الشواغل والحوادث على سهم خاطر الطريق * وبتمساح الهموم التقم غواص فكري فاذا هو في بحر الغموم غريق * فتسد في وجه قصدي المسالك * واصير من نهار زهر الى ليل حالك *

* قلت *

* فانني انتقي للنظم درا * ولم تظفر يدي منه بودعه *

لكن لما كان الشروع ملزما * واتمام ما شرعت فيه متحتما * لم ار بدا من اتمام ما ابتديته * وامضاء ما انميته * فصرت في وعورة اقع واقوم * وفي بحوره اغطس واعوم * ان راق راكد الخاطر او حمى الفكر الفاتر * تذكرت من الكلام اوائله * والحقت بكل منه ما شاكله * واذا ازعجه من الزمان الجفا * تكدر منه ما صفا * وتبلدت الافكار * وتولدت الاخطار * وتباوى عند بعض

البصيرة الليل والنهار *

* قلبي *

* أكمل كل سطر بعد شهر * وأبني كل بيت بعد عام *

فلا أضع المحمول إلا وقد حمل الموضوع * ولا أذكر الخبر إلا وقد نسي

المبتدا *

* قلت مضمنا شعرا *

* والفكر كالبحر يبدي لي جواهره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر *

فتنخرم القاعدة * ويختلط راس المال والفائدة * فقل لي أنى ينتظم قال *

وقد انفرط نظام الجال * هذا وان الكلام له مقامات * ولكل

من الفصاحة والبلاغة درجات *

* قلت فيما مترجما *

* ما استوى في موقف افصاح منطيق ولو *

* قس بعد باسحبان واضحى الاصمعي *

* فانتكر فيما ترى في منزل اعيى الورى *

* هل ترى تبت تحاذي قيل يا ارض ابلعي *

واين من يوفي المقا ماتِ حقها * ويعطي كل مستحق منها مستحقها * ولقد سلكت في هذا الكتاب مسلك ابناء العصر * وطريقة اولاد الدهر * فان الناس بزمانهم * اشبه منهم بآبائهم * ولو اخذت فيه اخذ العرب العرباء * والبستهُ في الفاظه ومعانيه ثوب الاستعصاء والاباء * فابرزت ما تضمنته من المعاني الجزلة العجيبة * في قوالب فحلة غريبة * لما التفت اليه * ولا عول لقصور الهمم والافهام عليه * ولما كانت المجازات المشهورة * خيرا من الحقائق المهجورة * والغلط المستعمل * اولى من الصواب المهمل * ابرزتها في اشارات رشيقة * وعبارات رقيقة * وعملت في بعض المواضع بقوله *

* شعر *

* عمد اكسوك مرهبا مغتمرا * ولو اشاء حكته محبرا *

* وقد قيل *

* اذا احسست في لفظي قصورا * وخطي والبراعة والبيان *

* فلا تعتب لفهمي ان رقصي * على مقدار ايقاع الزمان *

ثم ان بين هذا الكتاب * وبين ما صنعه قبله ذووا الآداب * لبونا

الخاطر واعادة على طبق ما اريد منه ووفق ما اراد * وليتني

في هذا وهذا كفافا * من خيرها وشرها معافى * ولئن ساعد الزمان

بترفيه الحال * وخلا من سكان الهموم ربع البال * لا تبعن آثاره *

ولاسترن بقدر الامكان عواره * ولا بذل الجهد في ترقيحه *

واصلاحه وتنقيحه * والا فالصفح مأمول * والعذر عند خيار

الناس مقبول * والمسؤول من صدقات ذوي الادب * البالغين

في البلاغة اعلى الرتب * ان يسبلوا ذيل الاغضاء عليه * وينظروا

بعين الافادة والاستفادة اليه * ويقيلوا العثار * ويقبلوا الاعذار *

فيشدوا اسره * ويجبروا كسره * ويرقعوا خلله * ويحققوا امله *

راجين من لطف الله ما ارجوه منهم * لعل الله سبحانه ان يعفو عني

وعنهم * مع انا كلنا في الهوى سوا * وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ

ما نوى * الحمد لله حمدا يملأ اركان الامكنه * ويعطر خياشيم

الازمنه * وصلى الله على سيدنا محمد صلوة تبلغ قائلها ما تمنّاه *

وتحله بشفاعته في جنة الفردوس الاعلى مسكنه * وعلى آله واصحابه

الذين استمعوا القول فاتبعوا احسنه * ونستغفر الله من حصائد الالسنه *

صحيفة	سطر	غلط	صحيح
٣	١٥	سمه	اسمه
٦	٥	خلا	جلا
٩	٩	تكزت به	تكثرت به
١٩	١١	عضونه	مصونه
٣٨	١٣	احوق	احوز
٥٣	٣	غير المرد	الغير المرد
٥٥	١٣	علي	علي
٧١	٥	اخا	آخا
٨٦	١	وزعرا	وزعوا
٣٢٠	٦	فاخز	فاخر
٣٢١	٣	الرءس	الرؤس

بعد

تم عجائب المقدور في اخبار تيمور للفاضل الاديب الكامل

لا ريب وحيد عصره وفريد دهره اقضى القضاة شهاب الدين

احمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الانصاري المعروف بابن عرب

شاه طيب الله ثراه *

اعتنى بطبعه الحقير الفقير احمد كبير المذنب لا لامر كميتي مرة بعد

اخرى باعانة موالاء العظام المولوي محمد وجيه والمولوي

محمد بشير الدين والمولوي نور الحق والمولوي حافظ

محمد مرتضى والمولوي محمد مظهر والمولوي

نجيب احمد والمولوي يار علي بردوني

ثم الدهلوي والمولوي غلام حسين

والمولوي رحيم النبي غفر الله

ذنوبهم وستر عيوبهم

سنة ١٢٥٧

هجرية